



سلسلة الدراسات الكبرى

مذكرات

وليام شالز

قنصل أمريكي في الجزائر

[1816 - 1824]

تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العيسوي



مذكرات وليام شالير الاصغر قنصل أمريكي في الجزائر



تعريب وتعليق وتقديم
إسماعيل العربي

المركز الوطني للدراس والبحوث
الجزائري

4Histoire.com

© الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
رقم النشر : 982 / 81
الجزائر 1982

مقدمة المترجم

ظهر القنصل شالر على مسرح الأحداث في الجزائر ، في مرحلة شهدت فيها العلاقات الجزائرية الأمريكية تطورا مهما لم يكن في صالح بلدنا . فبعد فترة الضعف التي أعقبت حرب الاستقلال (1776) والنظام الكونفدرالي الذي كانت فيه الولايات غيرة على استقلالها السياسي والمالي ، انطلق الولايات المتحدة في طريق القوة ، في ظل الدستور الفيدرالي (1787) . وبنت اسطولا حديث التجهيز والتسليح . وقد قامت الجمهورية الناشئة بهذه الخطوة ، خصوصا ، نتيجة للضغط الذي كانت تواجهه سفنها التجارية في البحر الأبيض وفي المياه الشرقية من المحيط الأطلسي . من اسطول القرصنة الجزائرية . وبعد الفترة التي كانت تغطيها المعاهدة الأولى مع الجزائر ، والتي تحملت أمريكا في ظلها نوعا من التبعية التي لم يكن يقلل من أثرها سوى كون عدد من الدول الأوروبية تجد نفسها في نفس الوضع ، جاءت الحرب الأمريكية - الإنجليزية ، واستجاب الداي للضغوط اللطيفة التي كان يمارسها الوصي على عرش إنجلترا ، وأعلن الحرب على الولايات المتحدة (سنة 1812 م) .

وهذه الخطوة لم يكن أحد يستطيع أن يلوم الداي عليها ، فيما عدا الولايات المتحدة ، إذا نظرنا إلى الموقف طبقا لقواعد المنطق التي كان يسود العلاقات الدولية في ذلك الحين . فإن مجاهدة بريطانيا العظمى التي لم يكن الداي يشك في أنها ستنتصر في هذه الحرب ، كان لها أثر من مزلة واحدة ، فهذه الدولة التي تارجح ميزان القوة في صالحها وضحت سيطرة لا منازع لها فيها منذ معركة الطرف الأغر (سنة 1805) ، ضرورية لبسط « مظلة » حمايتها على الدول التي تمارس القرصنة في المغرب . وعلاقات بريطانيا بالباب العالي قديمة ، مثل علاقاتها بالجزائر ، ومن الملأمة المحافظة عليها . وأما المليون دولار (أو نحو ذلك) الذي تجنيه الجزائر سنويا على سبيل الضريبة من المعاهدة الأمريكية ، فهو مبلغ ، على أهميته ، يمكن تعويضه (بل وأكثر) بأمر عشر سفن أمريكية . .

ولكن نتيجة الحرب الأمريكية الإنجليزية كانت مفيدة للآمال ، حيث أن هذه المبالاة البحرية أسفرت على ما يصرف في لغة الرياضيين بالتعادل .

ولما عقدت الصلح مع بريطانيا ، وجهت الولايات المتحدة كل اهتمامها الى الجزائر ، حيث كان الساسة الأمريكيون يعتقدون ان تحرير قوتهم البحرية من الحرب مع انجلترا قد اصبح عاملا قويا يكفي لان يضمن لهم فرصا معقولة في حرب بحرية مع الجزائر . والمهم انهم قرروا الان انهم لم يعودوا يستطيعون قبول الشروط التي تطلبها الجزائر .

ومما زاد من قوة آمال الأمريكيين في الخلاص من السيطرة الجزائرية ، ان الاسطول الجزائري كان حينئذ منهمكا في الحرب مع كل من ايطاليا واسبانيا ، وهولندا ، وبروسيا ، والدانمارك ، وروسيا . . في وقت واحد .

ان كل شيء يدل على ان ساعة تسوية العم سام لحسابه مع الادي قد حانت . وان المستقبل قد لا يوجد ابدا بافضل من هذه الساعة !

وفي 23 فبراير ، 1815 اوصى الرئيس ماديصون الكونجرس باعلان الحرب على الجزائر .

وفي شهر مارس التالي ، حول الكونجرس رئيس الولايات المتحدة السلطة لتجهيز اسطول ونفسيته واستخدامه بالطريقة التي يراها لشن اعمال عدوانية على الجزائر .

واثر ذلك اقلعت قوة بحرية كبيرة تولى قيادة جزء منها الكموذور وليام بينبريدج (عشر سفن حربية ، من بينها ثلاث بواج) ، وتولى قيادة الجزء الآخر ، الكموذور استيفان ديكتاتور ، الذي كان يحمل معه على متن بارجة الاميرال ، وليام شالر الذي عينه رئيس الولايات المتحدة قنصلا عاما لامريكا في بلدان المغرب ، والذي فوضه لعقد الصلح مع الجزائر (قبل المعركة ، ان امكن ، او بعدها ، اذا لم يكن بعد من ذلك) .

وقبل ان يفلح الاسطول ، اصدر وزير الخارجية تعليمات الى القائدين البحريين ، تقضي بان يعملوا لعقد صلح مع الجزائر في اقرب وقت ممكن ، ولإطلاق سراح الاسرى الأمريكيين المحتجزين في الجزائر ، وذلك بدون تعهد بدفع أي نوع من الضريبة او الفدية ، ولكنها تأذن بتقديم هدايا للادي مرة في كل سنة .

وكانت التعليمات التي يحملها ديكتاتور تقضي بان يسمى ، لدى وصوله الى جبل طارق لمعرفة المنطقة التي يعمل فيها الاسطول الجزائري ، وفي حالة ما اذا كانت بعض قطعه تعمل في المحيط الاطلسي ، ان يقوم بأسر هذه القطع ، او تدميرها .

ولدى وصوله الى الجزائر ، كلف ديكتاتور بان يدخل في مفاوضات مع الداي ، مباشرة .

ويختم وزير الخارجية تعليماته قائلا :

« مهما يكن الوقت الذي تبدأ فيه المفاوضات ، وسواء اكان ذلك قبل الاتجاه الى الحلول المتطرفة (الحرب) ، ام بعدها ، يجب ان تكون شروط الصلح مشرفة للولايات المتحدة » .

وفد وصلت قوة ديكتاتور البحرية الى جبل طارق في 15 يونيو ، وهناك علم القائد ان بعض قطع الاسطول الجزائري قد دخلت الى المحيط الاطلسي فعلا ، ولكنها عادت ادراجها الى البحر الابيض المتوسط .

واستنادا الى المعلومات التي جمعها ديكتاتور ، اتجه الى المنطقة التي يرجح ان تكون قطع الاسطول الجزائري فيها .

وفي 17 يوليو ، لمح البارجة الامريكية « كونستليشين » بارجة على مقربة من رأس « بوجا » ، كانت البارجة هي بارجة الاميرال الجزائرية « مشهودة » التي كان يقودها القبطان العظيم ، حميدو ، وكانت تتجه الى الجزائر .

وعلى الفور ، شرع الاسطول الامريكي في مضايقتها ومطارقتها ، ولما حاول اللحاق بها ، حولت وجهتها الى السواحل الاسبانية ، ولكن الامريكيين قطعوا عليها الطريق ، فاستسلمت لهم .

وفي هذه المعركة ، قتل حميدو ، واختتمت بذلك اسطورة قائد من اعظم القواد البحريين في زمنه ، والقارئ سوف لا يجهل ان ينسبه لوصف شاعر لهذا البحري في مذكراتها بأنه كان « يتسم بالذكاء الخارق ، والشجاعة النادرة » .

وبعد هذه المعركة العائرة الحفل بيومين ، اكتشف الاسطول الامريكي ، سفينة حربية جزائرية اخرى ، ذات صارتين . ولما التقى الفريقان وقعت بينهما معركة شديدة ، كانت كل عناصر التوازن مفقودة فيها ، وانتهت بأسر السفينة الجزائرية . وبوقوع السفينتين في ايديهم ، ضمن الامريكيون بهما عربونا للمساومة ، حيث اودعوهما في ميناء قرطاجنة باسبانيا .

وعقب ذلك ، اتجه الاسطول الامريكي الى الجزائر ، حيث ينوي قائد ان يدخل في مفاوضات مع الداي ، عمر باشا .

وفي 29 يونيو ، وصل ديكاتور الى الجزائر ، وبعدما أدرسى الاسطول في الخليج ، رفع علما ابيض وعلما سويديا على بارجة الاميرال ، وهي اشارة معناها انه جاء للتفاوض ويطلب وساطة قنصل السويد .

وعقب ذلك ، صعد قنصل السويد ورافقه امير البحرية الجزائرية الى ظهر البارجة الامريكية «جيرير» . وهناك ابلغهما الاميرال ديكاتور الاخبار المذهلة التي تتعلق بمقتل القائد البحري حميدو ، واسر السفينتين «مهيودة» و «استوديو» .

كانت هذه الفجعة اسوأ ما عرفتة البحرية الجزائرية منذ اجيال ، وكان من الطبيعي ان تهتز لها الدوائر البحرية ، وخصوصا ، وان هذه الضربة جاءت من دولة اشتهرت بالجشع التجاري اكثر مما عرفت بتوجيه الاساطيل العربية ، على ان هذه الالباء ، على ضخامتها ، لم تكن سوى مقدمة للمساواة السياسية .

تساءل المسؤول الجزائري عن شروط الصلح التي يريد الامريكيون فرضها ، فاجابه الرد في شكل رسالة قدمها اليه وليام شالر ، وديكاتور ، موقعة من رئيس الولايات المتحدة وموجهة الى الداي ، فتسلمها هو ، وقنصل السويد ، ونزلا الى البر .

وفي اليوم التالي ، عاد المسؤول الجزائري ومعه قنصل السويد الى البارجة «جيرير» ومعهما اذن بالدخول في مفاوضات مع الطرف الأمريكي .

ولكن ، الواقع ان «التفاوض» كلمة ليس لها معنى ، حينما تكون شبه اسير فوق سطح بارجة العدو ، وحينما تكون مبادع اسطول ضخم مسددة الى المدينة التي جئت لتفاوض باسمها . وهكذا ، وبجلا من الحادثات والمساومات التي كان ينتظرها الطرف الجزائري ، اخذ ديكاتور ورقة من درج مكتبه وهي عبارة عن مشروع للمهادنة جاهز للتوقيع ، وسلمه اليه .

وبينما كان الطرف الجزائري ينتظر مناقشة حول الضريبة التي تدفعها الولايات المتحدة والتعويضات التي تقدمها للجزائر عن عدوانها على سفينتين جزائريتين ، فاذا بالشروع الامريكي يقلب الوضعية راسا على عقب ، حيث ينص على الفاء الضريبة الامريكية المتفق عليها قديما وعلى ضرورة تحرير الاسرى الامريكيين بدون فدية ، بل وايضا على دفع الجزائر تعويضا قدره عشرة آلاف دولار ، في مقاسيل استيلائها على السفينة «اينوين» .

وقد اكتفى الطرف الجزائري ازاء هذا الوضع ، بأن لاحظ ان الشروط
الامريكية لا نظير لها في تاريخ علاقة الجزائر بأية دولة أخرى ، وأعرب
عن شكه في أن يقبلها الداي . وبعد ذلك سعى لاستعادة السفينتين
الاسيرتين في قرطانه ، وأسفرت المداوولات على استجابة الطرف الأمريكي
لهذا الطلب ، حيث كان يعتبرهما لا قيمة لهما بالنسبة للولايات
المتحدة .

وبذلك انتهت الجولة الاولى من هذه المفاوضات الغربية ، وطالب
الطرف الجزائري بهدنة للمزيد من التفكير والتروي ، ولكن رد الطرف
الامريكي على هذا الطلب كان حاسما :

" ان نضحكم دقيقة واحدة للتفكير ! واذا ظهرت قطع اسطولكم في
الافق قبل توقيع المعاهدة واطلاق سراح الاسرى ، فان بوارجنا مستولى
عليها غنيمة من غنائم الحرب ! " .

وفي نهاية الامر ، توصل الطرفان الى حل وسط : وقف اعمال
الحرب ، بمجرد ما يقابل المايكس مركب يحمل علما ابيض في طريق
عودته الى البارجة الامريكية ، وقد وعد القنصل السويدي بأن العلم الابيض
لن يرفع على المركب ، الا اذا تم توقيع الداي على المعاهدة ، ووضع
الاسرى الأمريكيون في المركب .

وبالفعل ، لم تمض سوى ثلاث ساعات على هذه المقابلة ، حتى عاد
المركب يحمل الاسرى الأمريكيين ونسخة من المعاهدة التي وقعها الداي .

وقد كان من حسن الحظ ان المركب عاد بهذه السرعة لأن حراسة
(طرانا) قد ظهرت والمركب في طريقه الى البارجة ، وكان مما لا شك
فيه ان تقع غنيمة في يد الامريكيين لو تأخر في الرجوع بضع دقائق .

وفي نفس اليوم الذي وقعت فيه المعاهدة ، نزل المفاوض الأمريكي
الثاني ، وليام شالر ، الى البر ، ليشغل منصب القنصل الصام في
الجزائر . وما هو جدير بالذكر ان الداي احسن استقباله الرسمي له ،
وكانه يمثل دولة صديقة ، وليس هو الرجل الذي املى على متن سفينة
حرية معاهدة مهينة .

وعقب ذلك بوقت قصير ، بعث القنصل شالر الى وزير الخارجية
بقرار جاء فيه :

« لقد سارعت الإيالة الى تنفيذ شروط المعاهدة ، وذلك بقدر ما يتوقف الامر على ارادة المسؤولين فيها . لقد بعثوا الي بمائة وسبعة وعشرين بالة من من القطن ، وب عشرة آلاف دولار نقدا ، كما تقضى أحكام المعاهدة (المادة 14) ، واعتبرت هذا العمل وفاء كاملا بنصوص المعاهدة » .

وجهت المعاهدة فور توقيعها على متن سفينة ، علم فيما بعد ، انها اجتازت مضيق جبل طارق يوم 14 يوليو ، ولكنه لم يسمع خبر عنها بعد هذا التاريخ ، والفروض انها غرقت بالوثيقة التي تحملها في اعصار كان يجتاح الشواطئ القريبة للمحيط الاطلسي في ذلك الوقت .

وعقب انتهاء المفاوضات وعقد المعاهدة ، وجه ديكاتور سفينتين رئيسيتين الى ميناء فرطاجنة لرافقة السفينتين الجزائرتين المحتجزتين هنالك . ثم سار على رأس بقية اسطوله للقيام بزيارة لتونس وطرابلس ، لتسوية حسابات اخرى مع البلدين ، وذلك قبل ان يعود الى نيويورك في 12 نوفمبر .

واما النص الذي وصل فيما بعد الى الولايات المتحدة من المعاهدة الجزائرية - الامريكية التي املاها شارل وديكاتور فقد صدق عليه مجلس الشيوخ الأمريكي في 21 ديسمبر 1815 . وبعد هذا التاريخ بخمسة ايام ، أعلن رئيس الولايات المتحدة انها أصبحت نافذة المفعول . ولكن المعاهدة ستظل شجرا في حلق الداي ، لا يستطيع ابتلاعها ولا لفظها .

وفي 22 يناير (1816) اعلنت البارجة «جافا» من شواطئ الولايات المتحدة تحمل نص المعاهدة الرسمي الذي صدقت عليه السلطات الامريكية الى القنصل العام ، شارل .

فلما ان المعاهدة كانت جرحا داميا في جنب الجزائر بها تحتوي عليه من الشروط المهينة ، ولكن الاسوأ من شدة هذه الشروط ، هو ان الطرف الامريكي لم يحترمها ، ولاسيما ، ما يتعلق منها باعادة بارجة الاميرال « مشهودة » التي ظلت محتجزة في فرطاجنة ، وقد طالب الداي القنصل شارل بالوفاء بتعهد بلده ، المرة بعد المرة ، بدون جدوى .

وفي شهر نوفمبر ، ابلغ الداي شارل رسميا انه اذا لم تعد الولايات المتحدة البارجة « مشهودة » قريبا ، فسيعتبر المعاهدة ملغاة .

وقد استمر التوتر يسود العلاقات بين البلدين ، حتى شهر مارس ، حينما اعيدت السفينة الى الداي .

ولكن هذا الاجراء الذي جاء متاخرا لم يكن كافيا للتخفيف من حدة شعور المرارة في الجزائر ، وعلى الرغم من محافظته على المظاهر ، فقد كان الداي مصمما على عدم الاعتراف بصلاحيه المعاهدة في الوقت المناسب .

ولما أدرك القنصل شالر ان الحرب واقعة لا محالة ، اغتنم فرصة وصول قطع من الاسطول الامريكي الى الجزائر ، بقيادة الاميرال «شاو» وانزل العلم الامريكي من اعلى قنصليته والتجأ الى بارجة الاميرال .

وان ذلك وضع الطرف الامريكي خطة لقصف مدينة الجزائر التي تربط ببلدهم بمعاهدة رسمية املوا شروطها بانفسهم ، ولم يمض على تصديق السلطات الامريكية عليها سوى بضعة اشهر . وقد بيت الامريكيون نهم على اخذ المدينة غرة وان يتم القصف بدون اعلان الحرب وفي جنح الليل ، حتى يحدثوا اكبر دمار وارهاب ممكن .

على ان بارجة فرنسية علمت بالقامرة المدبرة ، وسارعت الى ابلاغ الداي مضمون الخطة ، وبزوال شهر المفاجأة واستعباد المدفعية الجزائرية ، فقد التخطيط الامريكي القصر الاساسي الذي يضمن نجاحه .

وهذه النية العدوانية الواضحة والتكؤ في تطبيق نصوص المعاهدة من الطرف الامريكي (ولا سيما فيما يتعلق باعادة السفينة العربية الثانية) ، جعلت الداي على الامتناع عن مبادلة امريكا التصديق على المعاهدة .

وفي 16 ابريل 1816 ، أعلن الداي انه لا يعتبر المعاهدة ملزمة ، ولو انه يلتزم ، على كل حال ، بالمادة التي تفرض مهلة ثلاثة اشهر للتفكير قبل استئناف الحرب .

ومن جهة اخرى ، كتب الداي الى رئيس الولايات المتحدة ، عن طريق القنصل شالر ، رسالة مختومة يعرض عليه فيها ما تنطوي عليه الوضعية من الصعوبات ، ويقترح لاعادة بناء العلاقات الجزائرية الامريكية على اسس سليمة ، العودة الى معاهدة سنة 1795 .

وفي شهر اكتوبر ، تلقى الداي رسالة من رئيس الولايات المتحدة مؤرخة في 21 افرس ، احتج فيها على اتهام بلده بنكث العهود ، وأعلن اليه تعيين القنصل شالر والكمودور اسحاق تشونسي مفوضين بالنيابة عنه لتسوية الخلافات القائمة بين البلدين .

على أن وثائق تثبت أن هذه الرسالة لم تكن سوى مناورة لنهر الرماد في الميون . فإن رسالة أخرى بعث بها نفس الرئيس ماديصون إلى وزير خارجيته (مونرو) في 25 يونيو (أي قبل رسالته إلى الداي بأقل من شهرين)، جاء فيها قوله :

((يجب على الداي أن يفهم بوضوح أنه على الرغم من أننا نفضل السلم ، فنحن مستعدون للحرب ، ولن ندخل أي تعديل على نصوص المعاهدة الأخيرة ، وإنما لن نقدم أية ترضيات من أي نوع كان لتجنب ذلك)) .

وإذا كان هذا هو الموقف النهائي (وهو يبدو كذلك) ، وإذا كان الطرف الأمريكي قد صمم على عدم ادخال أي تعديل على المعاهدة ، فلماذا مسرحية المفاوضات التي علمنا رسالة الرئيس الأمريكي إلى الداي ؟

على أن سوء الحظ أن بصادف المسمى الأمريكي الذي ينقصه الصديق والإخلاص ، أخيانا بطيرة وقعت في الجزائر كانت في صالح الطرف الأمريكي ، واستغلها إلى أقصى حد ممكن .

ففي أواخر شهر أغسطس بالداي ، ظهرت جملة بحرية في مياه الجزائر اشترك فيها الأسطول الهولندي والأسطول البريطاني ، بقيادة اللورد اكسموث ، قامت ، لأسباب تافهة في حقيقة الأمر ، بحصار مدينة الجزائر وانتهت بتدمير تحصينات المدينة المنيعه وبأسلاك مدفعيةها واحراق معظم قطع الأسطول الجزائري . وهذه العملية يصفها القنصل سالر ، بدقة ، حيث أنه كان شاهد عيان للأحداث ، وكان يسجل تقدم الحرب ساعة بعد ساعة ، ونحن نترك للقارئ المجال ليكشف بنفسه هذه الوقيفة الغريبة من نوعها في المذكرات التي يضمنها كتاب سالر .

ولما رأى الداي أن الوضعية ميؤوس منها من الناحية السياسية والعسكرية معا ، أعلن قبول جميع مطالب اكسموث ، التي من بينها إطلاق سراح نحو ألف ومائتين من الأسرى المسيحيين بدون فدية ، وإعادة أموال المدينة التي دفعتها من قبل دول تتمتع بحماية بريطانيا .

وبينما كان الجزائريون يلحسون جراحهم بعد هذه الحرب المدمرة ، ظهر الأسطول الأمريكي في خليج الجزائر ، بقيادة الكموذور تشونسي . وهذا التطور غير المنتظر بعث الخوف في نفوس السكان الذين لم يكن زرافات ووحدا ، في الوقت الذي أحسنت فيه السلطات تعدد عدتها للمقاومة .

ولكن القنصل شالر جاء في الوقت المناسب الى الداي ليعلم اليه ان زيارة الاسطول الامريكي زيارة ودية .. لانه كان يصرف الحقائق التي ينطوي عليها الوضعية جيدا ، ويدرك ، بحكم التجربة ، انه يمكنه الحصول على كل ما يريد به مجرد التهديد الصامت .

وبعد مشاورات بين شالر وفائد الاسطول ، اتفق الاثنان على اعتبار معاهدة يونيو 1805 ملغاة من طرف الداي .

ولكن شالر وتشوسي لم يتلقيا التعليمات التي وردت في خطاب الرئيس الامريكي السابق الذكر الى الداي للتفاوض لعقد معاهدة جديدة . ولما هنا الفراغ قرر المفاوضان السفر الى جبل طارق حيث سينتظران وصول التعليمات .

وبوصول التعليمات عاد القنصل والفائد البحري الى الجزائر في 8 ديسمبر 1816 . ولكنه بطرا لرداء الاحوال الجوية ، فقد رأى الكمودور عدم النزول الى البحر ، فبقى على متن بارجته .

ونتيجة لذلك ، وجد شالر نفسه وجها لوجه امام الداي بوصفه ممثل رئيس الولايات المتحدة ، ليحرق معه مفاوضات (مرة اخرى !) وهو في مركز القوة المطلقة .

ولكن المحادثات في مثل هذه الظروف ، اسير مستحيل . وبدلا من الاتفاق المنشود ، اسفر اللقاء على توجيه الطرف الامريكي الانذار للداي ينكر فيه الغاء المعاهدة ، كما ينكر نصا في النسخة الجزائرية منها ، يفرض على الولايات المتحدة تقديم هدايا فئوية للداي ، مثل عيول من الدول (والغريب ان وزير الخارجية قد اذن صراحة في تعليماته للمفاوضين الامريكيين بقبول هذا الشرط الذي هو نوع من المجاملات) . بل ان الانذار يطالب الجزائر بامتيازات اخرى .

حاول الداي بجميع الوسائل وبكل ما اوتي من براعة التخلص من ثقل الشروط التي ينص عليها الانذار ، ولكن الحيلة قلما تنفع ازاء فقدان توازن القوة بصورة خطيرة . وكذلك انتهى الامر الى الرضوخ والاذعان « لهذه الشروط ، او لاية شروط اخرى » بعلمها الطرف الذي يملك القوة الخام .

والترضية الوحيدة التي حصل عليها الداي ، هي شهادة بتوقيع القنصل شالر ، بان الداي وقع المعاهدة الجديدة تحت التهديد بالقوة .

وفي 22 ديسمبر ، انتهت مهزلة المفاوضات . وفي شهر يناير من السنة التالية وجه الفصل شالر بعض الملاحظة الجيدة الى حكومته . ولكن الافكار جاءت (وآية أهمية لذلك ؟) ان يهمل مجلس الشيوخ التصديق عليها - نتيجة لسوء - حتى سنة 1822 . وبعد هذا التاريخ اعلن ان المعاهدة أصبحت نافذة المفعول .

تلك ، في اعتقادنا ، هي الملاحظات المهمة التي يمكن التقديم بها لكتاب الفصل . دون ان نفوت على القاريء متعة اكتشاف ما يضمه بين دفتيه من المعلومات المتفاوتة القيمة . وهي اذ تعطيه الملامح الرئيسية للعلاقات الجزائرية الأمريكية ، تبرز بوضوح الدور الذي قام به الفصل اثناء ممارسته مهامه الرسمية .

وقد كان من الممكن ان توسع فنقدم معلومات اخبرى عن الفصل شالر ، ولكنه بعد التفكير والتروي بين ان حياته الشخصية التي قد يجد المؤرخ الأمريكي فيها مادة موصلة من رواد الدبلوماسية الأمريكية ، لا يمكن ان تهم القاريء العربي في قليل ولا كثير . والمهم بالنسبة اليها ، اولا واخيرا ، هو ما سجله في كتابه عن بعض - سواء اكان تقريراً للحقيقة ، او نقداً ، او مجرد انطباعات من شأنها ان تساعدنا على فهم الحق العام الذي كان يسود في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي المباشر .

والفكرة الأساسية التي لابد وان يكون القاريء قد استخلصها من السطور السابقة ، والتي ينبغي تأكيدها مع ذلك ، لابرار أهميتها ، هي ان شالر الذي كان عدواً لحكومة الاتراك ، لم يكن صديقاً للشعب الجزائري الذي يرى فيه شعبا منقسما على نفسه الى قبائل شتى ، وبغضه التعليم والتدريب . ولكنه من الانصاف ان نقرر انه لم يكن يحقر هذا الشعب ، بل على العكس ، قد اكتشف كثيرا من فضائله ، وذلك في الوقت الذي يتحدث فيه عن عاداته وتعاليمه وعقائده الدينية بما ينبغي من الاحترام . وكذلك اكتشف شالر في ابناء القبائل عنصرا يصعب بالذكاء والامانة والتزامه وكان يميل اليهم ، او على الأقل ، قبل ان يأسر سكان حال الشواطئ الشرقية وبسان سفينة أمريكية وبحارها كانت غرقت هناك .

واما علاقات شالر بالاتراك ، فيمكن ان نميز فيها بين جانبين : على الصعيد الشخصي ، يبدو انه كان يتمتع بالحظوة لدى بعض الوزراء والشخصيات ، بل ان عمر باشا نفسه ، كان ، على الرغم من كل

سيء ، بحسن استنباله وببدي له شعور التقدير . والشخصيات الكبيرة التي كان يرتبط معها بعلاقات تقدير ومودة ، هي إلا (بمثابة وزير الدفاع) ووزير البحرية ومدير المياه ، والحزنجي الذي كان وقتا ما في حاله فقر اضطر معها الى الالتجاء الى الفصل ليستلف منه دولارا واحدا ، ثم ارتفعت به الحظوظ الى أكبر منصب (بمثابة رئيس الوزراء) في البلد ، بعد منصب الباي .

وهؤلاء كانوا بدون شك ، يزودونه ببعض المعلومات الداخلية ، او على الأقل ، بالنصائح في اوقات الملل ، كما كانوا يستمعون الى آرائه ونصائحه في شؤون السياسة العليا . والمشاورات التي جرت بشأن تحديد موقف الجزائر تجاه مطالب اكسموث في حملته الاولى الفاشلة تقدم لنا دليلا مؤشرا على هذا الاتجاه ، مثل وضوح سلطات الباي امام امتناعه عن تسليم نفسه من انشاء القبائل للشرطة التي لم تتورع عن اقتحام محدد زوجة المصلح الوطني للتفتيش والقبض على خفيه .

وعلى الصعيد الرسمي : كان الفصل شالرا ، ومثلا ، في ذلك مثل معظم الفناصل الأوروبية ، يشعر بالضييق ويجد أن من غير الطبيعي أن يكون لبلد صغير الرفع قليل السكان ، منطلقا من الناحية الصناعية والتجارية ، مثل ما للجزائر من النفوذ والقوة أمام الدول البحرية . وهو يرى أن حكومة الأتراك التي بكثير من وضعها بالبر لا تستفيد ، لم تكن تستطيع من تدعيم نظام العرش ، لولا سياسة الاستغلال والقمع في الداخل وسياسة الفهر واستبعاد المسيحيين التي وجدت في تخلف أهل الأروية ومنافستها خير سند لها .

ونحن يمكننا أن نلخص البعد الذي يوجهه شالرا الى حكومة الأتراك والحجج التي يعيم عليها أدانته لها ، في النقاط التالية :

1 - أنها حرمت العنصر الأهلي من العرب والقبائل من كل فرصة لشغل المناصب في الحكومة (ماعدا البحرية) والاستئثار في ادارته شؤون بلدهم .

2 - أنها تقوم على عائق حاله من الانكسارية الذين ينتمون الى احط الطبقات في بلادهم ويجنون ، خصوصا من سهول الاناضول ، فاذا وصلوا الى الجزائر انفتح امامهم ابواب المناصب العليا ، وذلك حتى لو لم يكونوا يحسنون القراءة والكتابة .

3 - أنها حرمت تجارة التصدير على الأهالي (فيما عدا ثلاث او اربع مواد تباع احتكارها لليهود) وذلك خشية ازدهار التجارة والانتاج وتدفق الثروة على الأهالي .

4 - ان الاتراك الذين يتخفون من الفرصة السويدة الرئيسة للدولة ، تجاهلوا كل ما حققته الدول البحرية في غضون الفرون الثلاثة الماضية من التقدم الصناعي والتجاري والعظمة الحرية ، وظلوا يشعرون شعورا زائفا بعوقهم البحري ، في الوقت الذي كانت فيه فرصهم لا تتجاوز كونها اداة في يد دولتين كبيرتين تستخدمها لمنع قيام منافسة تجارية من الدول الصغيرة لمنتجاتها .

5 - انها لاتزال تدعى الحق في استرقاق المسيحيين في الوقت الذي حرمت فيه معظم دول العالم استرقاق السود .

6 - ان نظام الحكم التركي يتجاهل قواعد الاقتصاد السياسي وما يقتضيه من موازنة الدخل والخرج ومن قيام النظام الجبائي على اساس معقول من العدل والانصاف .

ومن هنا النقد الذي لا يمثل نتيجة التحليل المنطقي اكثر مما يمثل مزيجا من رواسب الضغائن والاحقاد التي تنبعث خصوصا ، من الاهدات التي تعرضت لها امريكا في ظل المعاهدة الاولى ، يخرج شالر براري حاسم ، وهو ان نظام الحكم التركي غير قابل للاصلاح ولا يمكن علاجه . فما هو البديل الذي يقترحه شالر نظاما للجزائر بعد ذهاب الاتراك ؟ .

الجواب بسيط ، في نظره : الاستعمار . الاستعمار الذي سينشر الصناعة ويشجع التجارة مع الدول البحرية والبلدان الافريقية الداخلية المجاورة . والدولة الأوروبية التي تقوم باستعمار الجزائر ، ستجد ابواب افريقية كلها مفتوحة امامها ، ولاسيما افريقية الغربية التي نطمح انها تطوي على ثروة زراعية لا حد لها .

واما نوع الاستعمار الذي يقترحه ، فهو الاستعمار الفينيقي الذي يقوم على التجارة ويتيح للأهالي حرية واسعة للتطور ويضمن لمؤسسات البلد استقلالا ذاتيا .

وهذا النمط من الاستعمار (الفينيقي) لو كان موجودا لكان من المرجح ان يصلح للولايات المتحدة ايضا لكي يمكنها من استغلال مساحات « الغرب البعيد » الشاسعة ، ولكنه غير موجود ، وانما النمط الموجود ، هو نمط الاستعمار البريطاني .

ونظام الاستعمار الذي قاومته المستعمرات الأمريكية التي يمثلها شالر عدة سنوات قبل ان تنال استقلالها منذ نحو ربع قرن فقط ، هو ، بالضبط ، النظام الذي يراه القنصل مثاليا للجزائر .

من ذا الذي يصدق أن شعلة الحرية التي رفعها واشنطن وغيره من أبطال حرب التحرير سننظمي بهذه السرعة ، ويظهر في نفس الجيل الذي قاوم الاستعمار البريطاني مسؤولون من رجال الجمهورية الجديدة لينادوا بأن هذا الاستعمار الذي شكل عقبة للنقدم في أمريكا ، يمثل طريق الخلاص والرخاء الوحيد للجزائر ولافريقيا السوداء ؟ ولكن النص الذي بين أيدينا يثبت هذه الحقيقة بما لا يدع مجالا للشك .

والقنصل لا يكتفي باقتراح نظام الاستعمار نظريا ، بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك ، ويكشف عن عورات البلد ويدل على الثغرة الخطيرة في نظام الدفاع عن مدينة الجزائر . فهو يتطوع ويرشد أي جيش يريد غزو مدينة الجزائر أن يتجنب أرساء سفنه الحرية (فيما عدا عدد صغير من السفن للتجارة والتفصيل) في الخليج حيث سينعرض لثيران مدفعية قوية لا قبل له بمواجهتها ، مهما كانت قوته ، وإنما يتحتم عليه إذا رام النجاح لعمليته ، أن ينزل فوجا في سيدي فرج ، ومن هناك يتجه الجيش الغازي إلى الهضاب التي ترف على برج الإمبراطور ، في طريق تستغرق مسافة ثلاث ساعات (قام شالر بتوفير الطريق والساعة في يده) وبعد ما يستولي على هذه الهضاب يتخذها قاعدة للهجوم على برج الإمبراطور (وهو يرشد إلى أفضل الطرق للاستيلاء عليه بسهولة) ومتى احتل هذا الحصن أصبح يسيطر على المدينة من أعلى وقد أحاطت المدفعية المسلحة إلى البحر ، وأخذها من الخلف .

وعندما ينتهي الجيش الغازي من العمليات الحربية ، لن يجد صعوبة في التعويض عن الخسائر التي تكبدتها الحملة ، إذا قصد إلى خزينته الداي التي تحوي على خمسين مليون دولار (أي نحو 300 مليون فرنك فرنسي) .

وأما مقاومة الحكومة التركية في الجزائر ، فإن شالر لا يتوقع أن تستمر أكثر من بضعة أيام ، بسبب كره السكان لهذه الحكومة ، ولو أنه لا يستبعد قيام بعض المقاومة في الداخل . ولكن هذه المقاومة سوف لا تكون فعالة ، بسبب الشقاق والحزازات بين القبائل ، وبسبب الجهل الخيم وقلة التدريب وعدم توفر الأسلحة .

وبعد هذا كله ، يجب أن نذكر بما علمناه من الكتب المدرسية ، من أن الجيش الفرنسي الذي قام بغزو الجزائر بعد ظهور الكتاب الذي بين أيدينا ست سنوات (وبعد ظهور الترجمة الفرنسية بأقل من سنة واحدة) ، قد نزل في سيدي فرج واحتل الهضاب المشرفة على برج الإمبراطور وطوق مدينة الجزائر من الخلف ، وأن مقاومة الأتراك للجيش

الغازي لم تستمر سوى بضعة أيام ، وان من بين الاعمال الاولى التي لم يعت الجيش الفرنسي القيام بها تحت اشراف الضباط ، نهب الخزانة الجزائرية التي كانت تحتوي حصيلة ثلاثة قرون من الضرائب التي تدفعها الدول ومن اعمال القرصنة .

وهذا الكتاب الذي ترجمناه عن الاصل الانجليزي الذي نشر في بوسطن (1826) ، وضعت له ترجمة فرنسية نشرت في باريس في سنة 1830 .
وعما يضي على هذه الترجمة اهمية خاصة في السياق السياسي والعسكري لاحتلال الجزائر ، ان مترجمه M.E. Bianchi هو المترجم الرسمي للملك شارل العاشر الذي خطط حملة الجزائر . وان فقرة وردت في مقدمته المترجمة الفرنسي لتدلنا بوضوح ، على انه لا يمكن ان تكون قيادة الجيش الفرنسي اهتمت استغلال المعلومات الخطيرة التي يحتوي عليها الكتاب . فقد خلفت صفحة 4 من المقدمة ما يلي :

((واما ما ذكره المؤلف من موقع مدينة الجزائر ، وامتدادها ، وتحصيناتها ، وضواحيها التي يستكشف بعنايه طبوغرافيتها ، فهو ، بدون شك ، سيكون موضع تفكير خاص من ضباط الجيش ، وسيجدون فيه عوناً كبيراً لتوجيه العمليات العسكرية .

وخلاصة القول ان هذا الكتاب الذي يضم بين دفتريه حقائق وشهادات لا يوجد ما يدعو الى الشك في صدقها ، يحتوي ايضا على آراء ومواقف عنانية للجزائر ، وانه لن حسن الحظ انه لا يمكن ان نخلط هذه تلك ، في ذهن القارئ الواعي الذي يبحث عن الحقيقة . وبفراسته بروح من النقد والتمييز مع تناسي ميول الكاتب الشخصية فقط ، يمكن الاستفادة من هذه الوثيقة التي لا تظهر لها في تاريخنا الحديث .

الجزائر 16 مايو 1977

اسماعيل العربي

تاريخ الجزائر الحديث
مع مذكرات وليام شالر
قنصل الولايات المتحدة بالجزائر
1816 - 1824

ترجمه عن الانجليزى وعلى يد
اسماعيل العربى

عنوان الكتاب الاصلي :

SKETCHES OF ALGIERS

Containing An Account
of the

Geography, Population, Revenues, Commerce, Agriculture,
Arts, Civil Institutions, Tribes, Manners, Language
and

RECENT POLITICAL HISTORY
OF THAT COUNTRY

By WILLIAM SHALER

American Consul general at Algiers

مقدمة المؤلف

المؤلف مدين في تأليف هذا الكتاب ، بصفة خاصة للكتاب القيم الذي وضعه الدكتور شاو عن بلاد البربر ، وكذلك استفاد من كتاب شيني ، احداث من البربر ومن رحلات علي بك في افريقيا وآسيا . والكتاب يأسف لان لم يتمكن من الحصول على نسخة من رحلات بروس ، ولو انه يعتقد بناء على ماعلى بذاكرته ، ان هذا الكتاب الاحم لا يكاد يضيف شيئا الى الاول .

والمؤلف يعتقد ان الدكتور شاو ، في بلاد البربر وفي الشرق ، هو الدليل الوحيد الذي يستحق لقب الباحث في جغرافيه وتاريخ مملكة الجزائر ، بل وفي تاريخها الطبيعي ايضا .

صحيح ان الوصف الجغرافي الذي رسمه لهم المملكة قد لا يكون كله دقيقا ، ومع ذلك ، ونظرا لانه لم يقم كاتبه بغير تفحصا منه بتصحيح هذه المعلومات ، فاني قد فضلت الاعتماد عليه في هذا العمل . وهذه المعلومات ، في الحقيقة تستجيب لجميع اغراض المؤلف الذي لا ينوي سوى وضع خطوط جغرافية عامة لتكون اطارا لبحثه عن هذا البلد .

والمعروف ان الاخلاق والعادات وخرق السلوك لا يعتبرها سوى تغير طفيف عبر السنين في البلدان الاسلاميه ، على عكس الحالة في البلدان الاكثر تقدما . واذا نظرنا الى الوضع على ضوء هذا الاعتبار ، فسنبقى بان حالة البلد من هذه النواحي لم يطرأ عليها تغير يذكر منذ ان سجل شاو ملاحظاته عنه .

والهدف الذي كان يتوخاه الدكتور شاو ، هو وضع دراسة عن الحالة الجغرافية والتاريخ الطبيعي والتاريخ القديم لبلاد البربر .

واما مؤلف هذا الكتاب ، فقد اقتصر ، بسبب علمه المحدود ، وبسبب عدم توفر الفرص الضرورية للتمتع في بحث هذه الموضوعات المهمة ، على عرض الحالة الادبية والسياسية في مملكة الجزائر . وفيما يتعلق بهذا الموضوع ،

فإن المؤلف يشعر بالفخر ، لأن كتابه سيعبر معينا ومكملا لكتاب الدكتور شاول .

قد يبدو لعاريء أنه ربما كان من الأفضل تخصيص فصول للدول البربرية الأخرى ، ولكنه نظرا لأن هذه البلدان تختلف فيما بينها أخلاقا كبيرا في شكل الحكومات ، ولأنها لا ترتبط فيما بينها إلا بعلاقات واهية في حالة الحرب والسلام معا ، ولا تربط بينها سوى علاقات الدين المشتركة والنسبة (فيما عدا المغرب الأقصى) للسلطة العثمانية ، فإن المؤلف يرى من الحكمة أن يقتصر في أبحاثه على مملكة الجزائر .

وقع حادث هنا في الجزائر أدى إلى دخول هذا البلد في حرب مع بريطانيا استمر أكثر من ستة أشهر .

وفي غضون هذه المدة ، تمت بتسجيل كل ما حدث وكل ما يتصل بهذه الحرب في سجل خاص في قنصلية الولايات المتحدة الأمريكية . وحيث أن أحداث هذه الحرب ونهايتها بعودة السلام وأثارها على الحياة العامة تمثل لهم موضوع للتعليق عن حالة العهد السياسي ، فإني ضمنت تلك المذكرات الفصل الأخير من هذا الكتاب .

والمؤلف يرجو أن يتجاوز الجمهور عن الاتييه المحتمه التي يبدو من خلال هذا السرد للأحداث ، لأنه هو الشخص الذي الوحيد الذي استطاع متابعتها بطريقة صحيحة ، حيث قام بالدور الرئيسي على مسرح الأحداث التي يرويها . لقد شاءت الظروف أن يتولى الكاتب التحقيق على الأعمال التي قام بها .

ولكنه إذا كان المؤلف مضطرا للحديث عن نفسه ، فهو إنما يفعل ذلك بوصفه ممثلا لدولته . ومن ثم ، فإن كل فصل له في رواية هذه الأحداث مهما كان نوعه ، إنما يعود إلى الاحترام الذي توحيه سياسة الولايات المتحدة التي تتسم بالإمانة والوفاء .

والوثائق الملحقه في آخر الكتاب ، لا يستدعي الحاقها أي توضيح أو اعتذار ، وذلك فيما عدا المقالة المترجمة عن « شول » بشأن التجارة في رقيق الزوج .

وهذا المقال احتاج الأمر إلى إدراجه ، لا بقصد زيادة رصيد مواطني المؤلف من المعلومات ، فإن عمل السيد « ويلش » (Walsh) القيم يغني عن ذلك ، ولكنه لتوضيح الطريقة التي تنظر بها شعوب القارة الأدبية إلى تشريعات بريطانيا ومعادياتها بشأن هذه القضية الخطيرة الأهمية .

واعتمادا منه ان لغة السكان الاهالي موضوع يستحق البحث والعناية من العلماء ، وضع المؤلف ملحقا للكتاب يحتوي على قائمة من الالعاط (1) نشرها كتاب غير المؤلف عن لغة هذه المنطقة من العالم الافريقي . ومضى قام الباحثون بدراسة لهجات واحه سيوا وآسيا الصغرى وورجله ، ومختلف قبائل النوارج - وهو موضوع تبشر الدلائل بان الرحالين الانجليز سيقومون بدرسه - فان النظرية التي تتعلق بالشاوية ستكون محكا للتجربة . ومتى ثبتت صحتها ، فسيقتضي الامر اتخاذ اجراءات اخرى للقيام بابحاث اعم واشمل ، وللمحافظة على هذه اللهجات الطريفة . والمؤلف الذي يحمل في ذهنه هذا الهدف ، سوف يستمر على بحث الموضوع بغير ما تسمح به ظروفه .

الجزائر في مارس ، 1825 .

1 - هذا هذه القائمة القصيرة من الالعاط البربرية ومقابلها بالانجليزية لانها لا تروى صلا بهذا الكتاب ، ولان دراسات شاملة كثيرة نشرت في الموضوع في اواخر القرن الماضي وفي هذا القرن .
الترجم

4Histoire.com

الفصل الأول

حدود وامتداد مملكة الجزائر ، المظهر العام للبلد ، الجبال والمناخ ،
التربة ، الحيوانات ، الانتاج الطبيعي ، الانهار ، الشواطئ ، الخلجان
والموانئ ، التقسيم السياسي ، المدن والسكان .

تحد المغرب الذي يسمى باسم عاصمته من بلاد البسري ، مملكة
الجزائر ، من الغرب . إمبراطورية المغرب الأقصى ، ومن الشمال ،
البحر الأبيض المتوسط . ومن الشرق الأراضي التونسية ، ومن الجنوب
الصحراء الكبرى ، والحدود المثلثة لهذه المملكة على البحر الأبيض ،
تقع عند مكان يسمى «طوننت» على مسافة نحو أربعين ميلا من نهر
ملوية الكبير ، 16 دقيقة من خط طول عشرين خط طول حرينيش الذي
تعتبره هذه الدول خط الطول الأول كلما اتجهت الأحر مهدد الأحوال ،
ومن ها ، فإن المسافة حتى طبرقة لتي تقع عند مصب نهر صغير عند
90 درجة و 16 دقيقة طول شرقي ، تبلغ حوالي 500 ميلا .

هذا فيما يتعلق بالطول ، وأما فيما يتصل بمرض المملكة فهو موضع
شك ، حيث أنه لم يجز أي تحديد من أي موقع كان لرسم الحدود
الصحراوية .

والدكتور شاو الذي يعرف هذا الموضوع أكثر من أي جغرافي
آخر ، يعتقد أن عرض المملكة في اتجاه تلمسان لا يتجاوز 40 ميلا . ومن
مدينة الجزائر لا يتجاوز 60 ميلا ، وأن متوسط 60 ميلا يمثل عرض

المسكة ، انطلاقا من بحر الأبيض حتى الصحراء ، وهذا الامداد ،
ما يسميه العرب « التل » . أو الأراضي القابلة للزراعة التي لا تغطيها
الصحراء .

ومع ذلك ، يمكننا أن نلاحظ أن الحدود الصحراوية لا تسير في
مستقيم ، حيث أن هذه الحدود التي يخللها جبال ومستنقعات وسهول
خشبية ، هي التي تسمى على خرائط أفريقيا ببلاد الجريد . وهذه
الأراضي يحيط بها الغموض ولا يمكن الحديث عنها قبل أن نسرد
صورها أفضل

لقد تم تحقيق في الموضوع مع عدد من الأهالي المسافرين حتى
أقصر أن بلاد الجريد وسعة ، ولكنه نظرا لأن حدودها لم يرسم
بوضوح ، فانا لا نرجو أن نجعل في نقاش وأعرض نتائج تتعارض مع
ما ذكره المسافرون والرحالة في الموضوع بهم .

وطبقا لهذه المعلومات ، اذا ، تبين مساحة ملكة الجزائر حوالي (1)
ألف ميل مربع . والبلاد جبلية حيث تحترق جبال الأطلس التي
تتد من الغرب الى الشرق ، والتي تشكل الواقع مختلف من الشكيلات
الجبلية والأودية . والأهالي يؤكدون أن جميع هذه الجبال تعلوها
العانات ، وأن قممها مأهولة « سكان من « البائل » الذين يجدون فيها
مراعي وافيه وتكفي لرعي قطعانهم وأراضي زراعية محدودة في
محاطتهم .

والمناطق المأهولة من هذه البلاد الممتازة تمتد بين الدرجة الرابعة
والثلاثين والدرجة السابعة والثلاثين عرض شمالي ، وتتمتع بجو صحي
ومناخ معتدل مريح ، ليس بشديد الحرارة في الصيف ولا بقارس البرد
في الشتاء . على أنه تستش من هذه القاعدة الرياح الجنوبية التي تهب

بين الحين والحين ، وندوم أحيانا ، أربعة أو خمسة أيام في منتصف الصيف . وحيتد ، ترتفع درجة الحرارة لبلغ في بعض الاوقات 108 درجة فهرنهايت

وفي غضون الفترة بين شهري أبريل وسبتمبر ، تهب ارياح عادة في اتجاه الشرق وهي تكون مثله بالخطوبه ولكنها لا تحمل امطارا . وفي غضون الفترة الباقية من السنة ، تهب الرياح عادة في اتجاه الغرب ،

وموسم الأمطار في المملكة يمتد من نوفمبر حتى أبريل . ويحدث أن تكون الأمطار غزيرة في شهري نوفمبر وديسمبر . وفي يناير وفبراير ، ويدون المطر قليلا في معظم الوقت .

وأما كمية الأمطار التي تسقط سنويا ، فهي تتراوح بين 24 و 28 بوصة .

واستربة في هذه المنطقة لم تنجح ولم تنجح في بعض مما كانت عليه في العصور القديمة حين اشتهرت بالخصب . وهي في بعض الجهات سوداء ، وفي جهات أخرى حمراء ، ولكنها في جميع الحالات ، خصباء ، حيث انها مشربة بالنترات .

والسكان قلما يزرعون اية حبوب أخرى غير الحنطة والقمح . واسكنه اسي يزرعونها في الاكر (1) هي 5 « بيكات » (2) المردودها (على الرغم من حالة الزراعة البدئية) ما يتراوح بين 8 و 11 « بيك » .

واصبح اجزائري من النوع الصلب ، والدقيق الذي يطحن منه يشبه الرمل في مظهره ، وهو صعب لمعجن ولكن الجبر الذي يصنع منه لندد الطعم .

1 - مقياس انجليزي - امريكي للمساحات الزراعية يساوي 4840 ياردة مربعة = 4000 مترا مربعا .

وهذا القمح مشهور في الأسوان الإيطالية ويفضله التجار على جميع أنواع القمح الأخرى ، بسبب جودته لصنع « امكارونه » وغير ذلك من أنواع العجائن .

والمؤرخون القدامى يقولون ان هذه المنطقة من أفريقية فيلة العايات ، والبحاة كذلك الآن ، حيث أن الغابات تادره في السهول .

وبعض الأخشاب نقل الى مياء الجزائر من بجاية ، ولكسي فهم أنها من نوع غير جيد وقلما يستعمل لباء السفن . وأشجار الزيتون تعيش هنا في سدها الأصلي ، وذلك هيا يتعلق بالتربة والمناخ مما والنبات يبت من تلقاء نفسه في كل مكان تتوفر له فيه الفرصة . وشجر الجوز والكستاء يوجد في جميع أطراف المملكة ، والانتاج من النوع الوحيد . وبو أنه نقل عن مشبه في أسبانيا وفرنسا وإيطاليا .

وعباب السجيل كثيره في البلد والصور التي تنتج في المناطق المجاورة بصحراء لدينه للغاية .

وكذلك توجد في المملكة جميع الفواكه التي تنتج في المناطق المعدنة وتنح بوفره ، ولكنها فيما عدا التين والرمان والعب ، من نوع ثانوي ، وسهول هذا البلد وهضابه الكثيره . خليفة بأن سيج أرفع أنواع الحصروات لو يتاح لها سكان مجتهدون ويعرفون الزراعة .

والمعدن الوحيد الذي نعرف بوجوده في الجزائر في الوقت الحاضر . هو الحديد والرصاص الذي تستخرج منه كميات كبيرة في جبال القبائل .

وتوجد في البلد عدة أنواع من الطين الذي يصنع منه الأواني كميات من المعجار البدائي ، وكذلك توجد معادن الملح الرميح بكثرة في بعض الجبال .

وإذا كانت مملكة الجزائر تحتوي على يابيع وحدائق وممرات المياه
الحريرة ، فإنها لا تملك أنهارا ذات أهمية تذكر .

ونهر شلف هو أعظم أنهار البلاد . ومساقطه يقع في الصحراء . في جنوب
ولاية نيطري . ومجرى النهر يقرب من مدته الجفاف حتى يمر على
مسافة نحو خمسين ميلا . ثم يفرج في اتجاه الغرب يجري في اتجاه
شبه مواز لخط السواحل . ويصب في البحر الأبيض المتوسط عند درجة
20 من الطول الشرقي . على مسافة نحو ثلاثين ميلا غربى من
تنس .

وهذا النهر يروح أن يكون قايلا للملاحة في بعض المناطق في أعاليه
وفي مواسم الأمطار ترتفع مياه شلف وتطغى على حوضاته لتعبر
مسابح مقبرة من الأراضي المجاورة ويصبح عمقه كسره في عرض
المواصلات بين الجزائر ووهران .

وفيما عدا نهر شلف لا يوجد نهر يسحق الذكر ، ولو أنه توجد أنهار
صغيرة وجداول من الطول بحيث أنها تبلغ إلى البحر .
وكذلك يوجد في الجزائر عدد من يابيع المياه المعدنية والساييس
الملحة .

وفيما يلي وصف الدكتور شو لحمام ريمة ومياهه المعدنية وهو
يقع بين الشلف والبحر ، على مسافة نحو 60 ميلا في غرب الجزائر
وهذا الحوض الذي يكثر الإقبال عليه ، يمتد على 12 قدما مربع ،
ويبلغ عمقه أربعة أقدام . ومياهه درجة من الحرارة محتلة . وعندما
تخرج هذه المياه من الحوض الأول . تجري لسلا الحوض الثاني الذي
هو أصغر من الأول ، وفي هذا الحوض الصغير يستحم اليهود الذين
لا يحق لهم الاختلاط بالمسلمين .

وفي العهد العابر كان يصف مبنى أثيق يرتفع فوق الحمام ويسد
ممرات معروشه بالحجر حول الحمام نفسه . ولكن الحمام في الوقت
الحاضر يقع في الهواء الطلق . وفي الوقت الذي ررته فيه كان بعض
الاحجار والفصلاط .

وفي فصل الربيع الذي هو الفصل الذي يقصد فيه الناس حمام
مدييه ، يأتي جمهور عظيم الى هذا الحمام . ويقال ان مياهه تسبى
من الرومايزم ابرقان وغير ذلك من الامراض المزمنة .

واشواشيء الجزائرية ذات منحدرات في كل مكان ، وعلى لا تسر
حظرا غير موفقه .

وحبيح بجاية وحبيح سورا يضمان المينائين لوحيدتين مديين سور
فيهما الحماية . والطيجان وسكان وتحيط بهما جبال تنهي السفن من
رياح في حسم المصون . وهذه المصنوعات زودني بها ربان لير لسميه
الجزائرية اصغرته الاحوان الجوية ابي الانجاء سي ليماني اندلوري
أثناء رحلته دم بها في فصل لاء من الجزائر الى بجاية ومن غايه الى
جزائر .

على أن التواطىء الجزائرية غير معروفة بوصوح . ولو درس هذه
اشواشيء بعامة لكان من المفضل اكتشاف موانئ أخرى فيها .
والجزائر وممران وعده في وقتنا هذا هي الموانئ الوحيدة التي تسر
عليها السفن الأجنبية ، لأنها توجد فيها مرافئ مدمومة في جميع نصوص
السنة عادة ، ولو أن السفن التي ترسو في هذه الموانئ تعرض في
الشتاء لرياح الشمالية التي تهب بشدة وعنف .

وفي بحر الجزائر يعيش جميع أنواع السمك المعروفة في البحر
الابيض بوفره ، كما يوجد على اسواحل الشرقيه أجبل نوع المرحان
المعروف في العالم ، وهذه المادة يمكن أن تصبح مصدرا للصاعه وموردا

للثروة للبلد ، ولكنه في اوقت الحاضر لا تتمتع بحق استخراجه والتجارة فيه الا فرنسا ، وفي مقابل هذا النشاط الهام ، لا تتلقى الحكومة الجزائرية سوى عوائد زهيدة .

ونظرا لأن سكان الوادي يمارسون الرعي على نطاق واسع ، بحيث تعتبر قطعانهم المصدر الأساسي للثروة ، ولأن خصائص البلد الطبيعية حيث يتوفر فيه العشب ، تسمح بتغذية الحيوانات ، فاننا نجد هنا جميع أنواع الحيوانات الدواجن بكثرة ، بما في ذلك الفرس ، واشور ، والجمال ، والجمال ذو السنامين والحمار والبغل والغنم والماعز والخيول العربية تتمتع بشهره عالمية ، وكنتى لا أذكر أنني رأيت فرسا واحدا جميلا في مدينة الجزائر . وأنا أعتقد . على كل حال ، أن الخيول العربية أقل قيمة من خيول الولايات المتحدة .

والثيران في الجزائر صغيرة والبقرة لا تدر سوى قليل من الحليب . وفي مقابل ذلك ، نجد أن الصوف الجزائرية من النوع الممتاز ، ولذلك ، فإن القنطار الانجليزي (1) من الصوف ، يساوي ، قتل غسله ومشطه في الأسواق الفرنسية والاطالية ، يساوي خمسين فرنك .

والحيوان البرية كثيرة في الجزائر ، وأهمها ، الوعل ، والأرنب . والحمل ، والسدي ، ودجاجة الأرض ، والسقب ، والحذف (2) والبطل الوحشي .

وفي أطراف الصحراء ، تعيش الطباء والعزلان والماعز الوحشي .

1 - القنطار الانجليزي = 112 رطل فرنسي في ذلك الوقت ، وكلمة قنطار من اصل عربي ، وقد وردت في القرآن الكريم الكريم .

2 - بط بري صغير = Teal بالانجليزية .

والحيوانات المفترسة في الجزائر ، هي النمر ، والأسد ، والفهد ،
والضبع ، وابن آوى الحرب ، والقط الوحشي ، وهذه كلها تعيش في
أطراف الصحراء .

والأسد اسوميدي المشهور في التاريخ ، لم يفقد شيئا من خصائص
وحشيه ، لأنه لا يزال ، اذا صدوا أفعال الأدهبي . في عتوه وجبروته .
وهو أنبل الحيوانات التي من نوعه .

ومملكة لجزائر تنقسم من الناحية السياسية الى ثلاث ولايات :
وهران ، في الغرب ، وتيطري ، في الجنوب ، وقنطية في الشرق .

فأما ولاية تيطري ، فيحدها من الناحية الغربية نهر مزوران (12ر3
درجة طول شرقي) الذي يفصلها عن ولاية وهران ، ومن الناحية الشرقية
نهر بوبراك الذي يفصل بينها وبين ولاية قسنطينة (15ر4 درجة طول
شرقي) .

والمعتقد أن الولايات الثلاث تمتد من البحر الأبيض شمالا ، حتى
الصحراء جنوبا .

وعاصمة المملكة تقع على شاطئ نيسري (48ر36 درجة طول شمالي .
و 30ر3 درجة طول شرقي) ، ويدعى الدكتور شاو أنها تقع في مكان
مدينة ايكوسميوم (Icosm) القديمة .

وسطة مدينة الجزائر تمتد على مساحة شاسعة ، وكثير من حكومات
الولايات الثلاث تابعة لها ، كما سنرى فيما بعد ، ومن ثم ، يمكننا أن
نعتبرها ولاية رابعة .

ومدنى المملكة (اذا استثنينا العاصمة التي ستعرض لوصفها في الفصل
التالي) ليست بدات أهمية .

فمدينة تلمسان تقع في الغرب ، غير بعيد من الحدود ، على مسافة مساوية بين البحر والصحراء ، وتلمسان كانت عاصمة المملكة في الماضي . وهي مدينة معتبرة ، فمن المذكور شاذو يقول ان سورها الدقيق يبلغ دوره أربعة أميال . على أنه ، منذ حلول الأتراك في هذا البلد ، أصيبت تلمسان باهمال ، وذلك على الرغم من موقعها الجغرافي المنار . ويضرب أن عدد سكانها في الوقت الحاضر يبلغ 3000 نسمة .

ومدينة وهران تقع على مانه 54 ميل في الشمال الشرقي من مدينة تلمسان ، وميناء وهران ممتاز في المواصل العادية ، ويبتدئ برزخ على مسافة خمسة أميال في الجنوب الغربي من خليج أرزيو الحصيل (48ر35 درجة عرض و 40ر4 درجة طول شرقي) .

وسكان مدينة وهران يبلغ عددهم في الوقت الحاضر نحو ثمانية آلاف نسمة ، والمدينة تمتد أحيائها في منطقة خصبة لغاية ، وإذا اعتبرنا خليجها الجميلين وقربها من جبل طارق وأسبانيا ، فإنها ، بدون شك ، هي المدينة المهمة الثانية في المملكة .

وعلى مسافة بضعة أميال إلى الشرق من وهران ، تقع مدينة مستغانم التي كانت مدينة مهمة جدا ، أثناء احتلال الأسبان لمدينة وهران ، ولكنها فقدت كل أهميتها بعد ما استعادتها المملكة .

كان الأسبان قد أقاموا حول مدينة وهران تحصينات منتظمة ، وبعد احتلال دام نحو قرن من الزمن ، بموجب معاهدة صلح مع الجزائر ، أعادوها إلى الجزائريين وهم يأملون الحصول على فوائد ، ولكن أملهم لم يتحقق قط (3) .

3 - فقدت هذه المعاهدة في 12 سبتمبر 1791 ، وجلى الأسبان عن وهران في السنة التالية .

ومدينة البليدة يبلغ عدد سكانها ما يتراوح بين 8 و 10 آلاف نسمة (4) وهي تقع في جنوب العاصمة ، على الطرف الشمالي لسهول متيجة ، على مسافة 24 ميل من مدينة الجزائر .

وبعد ذلك ، وعلى مسيرة يوم في نفس الاتجاه ، تقع المدينة ، قاعدة ولاية تبطري ، وهي شبه البلدة من حيث الأهمية والامتداد .

وموقع عاتين المدينتين قرب العاصمة ، وفي أخصب مناطق توميدية . قد جعلها تتمتعان بوفرة ورخاء زراعي كبير .

وقسنطينة ، قاعدة الولاية الشرقية ، هي مدينة سرت اقدمية ، وهي تقع على نهر يسمى الرمل على مسافة نحو أربعين ميلا من البحر (36ر20 درجة عرض شمالي 30ر6 درجة طول شرقي) . والأهالي يذكرون أن سكان قسنطينة يبلغ عددهم حوالي 25 ألف نسمة في الوقت الحاضر .

وموقع مدينة قسنطينة من أعظم المواقع التي يصورها الانسان ، ومتى أشرف على ادارتها حكومة حكيمة . يمكن للمدينة أن تأمل في الحصول على فوائد جمة .

4 - في اليوم التالي من شهر مارس 1825 على الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وقعت هزة أرضية مثيلة في مدينة الجزائر ، قلعتها هزات أخرى في ظرف 48 ساعة ، وقد نجم عنها تدمير مدينة البليدة تماما بحيث لم يبق فيها منزل واحد قائما على أساس ، وقد كان السمار الذي أصاب هذه المدينة العاترة الحظ فاجأة تامة أن عشرة آلاف نسمة قد هلكت في هذا العليقة الفظيع ، وتدل تقديرات معتدلة جدا ، على الكبير بين عدد سكان المدينة وعدد المهاجرين في الحادث ، ولما تساهلت بشأن الفرق موقع المدينة المتنازل ووفرة المياه فيها وخصوبة أراضيها وتبعتها الحكومة الوترية التي تعيها من تحت الباي ، عوامل جعلت الناس يتدفقون عليها من المناطق المجاورة في غضون السنوات الأخيرة ، ولذلك زاد عدد سكانها زيادة كبيرة وسرعة . والجدير بالذكر أن الدكتور شاو لم يذكر مدينة البليدة في القرى التي ذكرها .

هاشم المؤلف

ومدينة عنابة هي «هيبو ريغيوس Hippo Regiae القديمة ،
وعدد سكانها في الوقت الحاضر نحو 000 أو 4000 نسمة وللمدينة
مساء مأمون (36ر43 درجة عرض شمالي و 8ر0 درجة طول شرقي) .

كانت مدينة عنابة قبل الثورة الفرنسية مركزا تجاريا هاما من مدينة
الجزائر . حيث كانت محورا لجميع الصناعات التجارية التي كانت
تقوم بها الشركة الفرنسية الافريقية التي أسست بموجب امتياز لاحتكار
صيد المرجان الذي يسخر من مياه هذه الشواطئ ، وقد منح
امتيازات أخرى كذلك ، وهذه الامتيازات حددت عقب عودة الملكية
إلى فرنسا ، ولكنه لم ينجم عنها أي تحسن ملحوظ في تجارة مدينة
عنابة التي يضمن بها موقعها المهم تحقيق تقدم أكبر لو وجدت اسجارة
والزراعة أي تشجيع في هذا البلد

وبجاية (36ر45 درجة عرض شمالي و 9ر49 درجة طول شرقي) تملك
أعظم مياه على هذه الشواطئ ، وقد كانت في الماضي أهم مستودع
بحري للآياله .

والمناطق المجاورة لبجاية مناطق جبلية ولكنها تتمتع بخصب نادر
لانتاج الزيتون ، ولو كانت بجاية التشجيع الذي تستحقه لأصبحت
مدينة ذات تجارة واسعة مهمة ، وعدد سكان بجاية في الوقت الحاضر
لا يتجاوز ألفي نسمة

لقد قدم لنا الدكتور شادو وصفا لعدد آخر من المدن على الشواطئ
وفي الداخل ، ولكن هذه المدن لم تتمكن ، فيما يبدو ، من الاحتفاظ
بالمزايا التي كانت لها ، ولذلك ، فأنا لم أستطع جمع أية معومات عنها .
وأنا أستنتج من ذلك أن تلك المدن فقدت كل نفوذ سياسي أو تجاري
كان لها في الماضي . ومع ذلك ، ينبغي أن أسجل بعض الملاحظات عن

مدينة شرشال (Julia Caesarie) البحرية التي كانت أهم مدن موريتانيا
الرومانية ، وهي تقع في غرب الجزائر (39ر2 درجة طول شرقي) .

كانت شرشال في عهد ايدكتور شاو مدينة كبيرة نوعا ما ، ولكنها
الآن فقدت كل أهميتها وأصبحت قيمتها لا تتجاوز كونها مركزا صم
نوع الفخار ايردي، الذي يحمله سكانها على السفن الى الجزائر
ليبعه .

ان الآراء تختلف بشأن عدد سكان المملكة ، والتقديرات لا تقوم
على أساس تعداد السكان ، بل هي تقريبية ، وبالمقارنة ببلدان أخرى
التي عرفت احصاءاتها .

وإذا اعتبرنا عدد المدن الصناعية والتجارية الصغيرة ، والاستعداد
الفاسي في حكومة البلد ، واهلية الرعاية التي يعيشها معظم السكان ،
أعتقد أنه على الرغم من مزايا المناخ المعتدل ، فإن سكان المملكة أقل ،
وليس أكثر من مليون نسمة .

الفصل الثاني

الدين واللغة ، شكل الحكومة ، التبعية للإمبراطورية العثمانية ،
حكومات الولايات ، المؤسسات السياسية والمدنية والقضاء ، امتيازات
ونرخص الأنراك ، المالية ، الجيش ، البحرية ، القرصنة ومبادئها
السياسية المصرح بها ، المعاهدات والعلاقات مع الدول الأجنبية ،
الاحتياث ، المراسم ، رمضان وعيد الاصحى .

الاسلام هو الدين الوحيد الذي يدين به الجزائريون ، ولا يوجد
في البلد دين آخر ، ما عدا اليهودية المسموح بممارستها لليهود .

واللغات المستعملة للحديث في مدينة الجزائر ، هي العربية ، والتركية،
والعبرية ، وما يسميه اندكور شاو بالشاوية ، أو اللغة التي يتحدث
بها سكان الجبال المستقلون والتي يوجد ما يحمل على الاعتقاد بأنها
لغة قديمة وأصلية .

واللغة التركية هي لغة الادارة ، وذلك على الرغم من أن اللغة العربية
هي لغة أغلب السكان .

واللغة لفرنسية تستعمل في دوائر الأعمال والوكلاء الأجانب الذين
يقيمون هنا .

واللغة «افرنكية» (Langue Franca) التي هي خليط من
الاسبانية والفرنسية ولايطالية والعربية ، هي واسطة الاتصال ، عادة بين
الأجانب والأهالي .

ولكي نكون فكرة دقيقة عن النظام السائد هنا ، يقتضي الأمر
أن نعرض هنا بعض الحقائق التي تتصل بغزو الأتراك للجزائر .

قبي سنة 1516 ، كان ملك جزائري صغير يدعى التومي (1) من
الحماة بحيث استنجد بالأخوين عروج وخير الدين ضد الأسبان الذين
كانوا حينئذ يحتلون مدينة وهران وكانوا يحتفظون بحامية في بجاية
وفي جزيرة صغيرة تقع مقابل مدينة الجزائر .

وهذان الأخوان يسميان إلى جزيرة ميسلاس (Mytilene) وقد
اشتدت شوكتهما وشاع ذكرهما بسبب ما اشتهرا به من الشجاعة وما
أحرزاه من النجاح في أعمال الفرصة . وقد عرفا في الممالك المسيحية
باسم « باربروسا » . (Barbaroussa)

وقد قل الأخوان العرض الجزائري بكثير من الشره حيث كاث
مد وقت بعيد يأملان الحصول على ميثاء يكون قاعدة لسلطانها .

وكذلك استقبل عروج في مدينة الجزائر استقبال لصديق (وكان
على رأس قوة تتكون من خمسة آلاف رجل) ولكنه عمد إلى تسد
الأمير الذي جاء لنجدة ، ثم أعلن نفسه ملكا على الجزائر بدلا منه (كذا) .

وفي سنة 1518 ، هزم عروج في معركة مع الأسبان ، وقتل وهو
يتراجع من تلمسان .

وبعد ذلك حل محله ملك على الجزائر ، أخوه خير الدين .

1 - كانت مدينة الجزائر قد تعطلت بخطة الملك فرديناند الكاثوليكي ، ولما توفي هذا الملك
في سنة 1516 ، اعتبروا أنفسهم في حل من هذا العهد ، ولكن ما كانوا عليه من
الصف حال دون إعلان استقلال بلدهم ، وكذلك استنجد الشيخ سليم التومي
بالأخوين ، عروج وخير الدين اللذين استغلا هذه الفرصة لتثبيت سلطانهم .

وهذا الرعم قد نال حظا من الشهرة أكثر من أخيه ، تحت نفس الاسم ، بربروس ، ولم يكذ يتسلم زمام السلطة ، حتى وضع المملكة الجديدة تحت حماة سلطان تركيا الذي أمده بحامية كافية لاحتياط كن محاولة من الأهالي لاستعادة حريتهم .

وبعد ذلك ، عين خير الدين في منصب « قبطان باشا » وبذلك أصبح ميناء الجزائر «باشاليك» تابعا للباب العالي .

انني لا أملك المعلومات التي تبين في أي وقت أصبح فيه دايات الجزائر يتخبون ، كما هي الحال الآن ، ولو أنه يبدو أن السلطان ظل يعين الدايات حتى منتصف القرن السابع عشر (2) .

والأرجح أن الحكومة العثمانية قد تنازلت في حوالي هذا التاريخ لحامية تركية بالجزائر عن حقها في تعيين وخولت لها حق انتخاب الداي . مع الاحتفاظ لسلطان بحق تأكيد الاختيار بتوجيه لقطان والسيف لداي الجديد ، رمزا لتزويده بالسلطة .

وأول معاهدة عقدتها بريطانيا مع الجزائر ، نحمل تاريخ 1682 ، ومن ذلك التاريخ بدأت شهرة لايلة التي كانت خلال ثلاثة قرون متوالية تبعث الرعب في الممالك المسيحية ومسوفا في جيب العالم المتحضر .

فإن هؤلاء البسطاء تمكنوا من إقامة الحكومة التي سمحت لهم بها الظروف ، على غرار النودج الوحيد المعروف لديهم للحكومة ، وهي الحكومة العثمانية ، وأقاموا دستورهم على مبدأ العزو والفتح ، مع

2 - وقع هذا التحول حثب اغتيال افا على ، حين قررت طائفة الرياس ان تنتخب الداي نفسها (سنة 1671) ، ولكنه في سنة 1689 ، أصبح الانتخاب من حق البسائط .

الاحتفاظ للاكثورية وحدهم بحق شغل مناصب الثقة والمناصب
الثروة أو المنصب التي تدر مكاسب

وقية هذا النظام تثبت استمراره . حيث أن هذه الإدارة استمرت
ثلاثة قرون على نفس الطراز ، إذا استشيا حالات طفيفة من التغير .

و لوقع أن هذا النظام عبارة عن جمهوريه عسكريه ينتخب رئيسه
لمدى الحدة . وهو ، بشكل مصغر ، يسبه النظام لى ودى
الامراصورى الرومانية بعد وفاه كمودس (Commodus)

وهذا النظام الحكومى يقوم على رئيس تتمتع بالسيادة وحسن لى
الداى ، وعلى ديوان (أو مجلس أعلى) يشمل على عدد غير محدود
من الأعضاء الذين هم صباط قدماء أو كانوا ولا يزالون يقودون شكيه
عسكرية .

والديوان هو الذى ينتخب الداى ويتداول فى الأمور التى يرى
الداى عرضها عليه .

تلك هى النظرية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الجزائر . وعلى صر ،
هذه المبادئ تختلف أهمية الديوان وما يتمتع به من الثقة ، باختلاف
شخصية الداى وبراعته . وقد كان الديوان فى الماضى جهاز الدولة
الحقيقى ، فكان يعقد جلسات بانتظام ويتصرف فى الأموال ، ويدعى
الحق فى أن يامس جميع الاحراءات الحكومية ويتخذ قرارات بشأنها .
ولكنه الآن أصبح مجرد شبح لا حول ولا قوة له .

بل أن وجود الديوان نفسه أصبح مشكلة ، لولا أن الداى عمر
باشا قد استدعاه للانعقاد فى سنة 1816 لكي يبحث موضوع المفاوضات
معاهدة بين الايالة وبريطانيا .

والواقع أنه منذ أن اتفق مقر الداي إلى القصبة ، يمكن اعتبار الديوان مجرد حُر على ورق في دستور لمسكه . فقد أصبح الداي هو الذي يعين ورائه نفسه ، وهؤلاء الوزراء ، هم ، الخزنجي الذي تتسل سلطته الشؤون المالية والداخلية ، والأغا الذي هو القائد الأعلى والذي يمكن تسميته بوزير الحربية ، ووكيل الخرج ، أو وزير البحرية والشؤون الخارجية ، وخوجة الحيل ، وهو المشرف على أملاك الدولة ، وصاحب هذا المنصب لم يلبث أن زادت أهميته ، بسبب أهمية المنصب من الناحية المالية .

وهؤلاء الوزراء يشكلون مجلس وزراء الداي ، وهو الحكومة الحقيقية التي تحررت من كل سيطرة للديوان .

وانتخاب الداي ، لابد من أن يؤكد السلطان الذي يعترف الداي بسلطته ، وهذا يؤكد لم يرفض قط ، وهو يمنح مع لقب الباشا ، الذي هو اللقب المستعمل .

وأما لقب الداي ، فهو لا يكاد يلفظ في الجزائر ، وإنما يستعمله الأجانب ، والمرجح أنه كان في مبدأ الأمر مجرد كنية ، حيث أن معناه باللغة التركية : «المم» .

ودايات الجزائر يتكون ويمارسون جميع سلطات السيادة ، عقب انتخابهم مباشرة .

وتنصيب الداي رسميا لا يقع الا بعد وصول تأكيد السلطان لانتخابه ، ووصول القبطان التنفيذي وسيف الدولة . والقبطان والييف يرسلان عادة بأسرع ما يمكن بواسطة «قبجي باشي» ، أو مبعوث الدولة .

وفي أوقات ارحاء توجه الجزائر هدية الى الباب العالي مرة في كل ثلاث سنوات . وقد حرت العادة أن توجه هذه الهدية الى القسطنطينية مع سفير وعلى متن سفينة حربية أجبية .

ان قوة الجزائر عظيمة في الوقت الحاضر . بحيث أنها تعتبر هذه البعثة ذات أهمية شرفية . ولا تكلف بالقيام بها الا الحكومة التي تتمتع بحظوة كبيرة لديها .

واهدية دائما عظيمة القيمة وقد تبلغ ما لا يقل عن 500.000 دولار .

وفيما عدا هذه الهدية لا تعترف الجزائر بسلطان الدولة العثمانية . بل انه يحدث ، حينما تكون الجزائر في شوة القوة الوهمية ، ألا تحترم عم الدولة العثمانية . وفي مقابل هذه الهدية ، جرى التقليد على أن يرسل الباب العالي سميحه تحمل شحنة من الدخيرة الحربية الى الداي واذا له بأن يجند الجنود في البلاد الخاضعة لسلطانه .

واذا كان انتخاب الداي من حيث المبدأ من اختصاص الديوان ، فان هذا الانتخاب صوري ، عادة في جو من المؤامرات وتنتصر فيه الفئة القوية من الاكشارية . وهذا الانتخاب تصحبه دائما مأساة دامية . فان الذي يذبح لكي يترك العرش لمغامر أسعد حظا منه . وكذلك يقتل أنصاره وأصدقائه وتنهب أموالهم أو يبعدون . وهذه العمليات تقطع الهدوء الذي يسود البلد والشؤون العامة ، وفي طرف أربع وعشرين ساعة ينتهي كل شيء .

وهذه الثورات تتابع بسرعة يصعب على المرء تصورها ، اذا لم يكن يعرف سلوك الأتراك وقسوتهم .

ان داي الجزائر حاكم مطلق يطيعه الجميع في حياته ، ولكن حكمه مترعزع ، والموت الطبيعي بالنسبة اليه حادث من الحوادث الطارئة .

وأي تركي مهما كان أصله ووضعه ، بمجرد ما يخرط في الانكشارية ، يستطيع أن يرشح نفسه لمنصب الداى ، ويستثنى من هذه القاعدة من ولد في البشنق أو في جزيرة كريت . وبعد ذلك ، يصبح « انكشاريا » . ذلك كل ألقابه ومؤهلاته . ولقد حدث كثيرا أن ساعد احظ أحط الأشخاص وأسوأهم للخروج من الحالة التي كانوا فيها مغضوبين ليرتقوا عرش الجزائر ، والانس يستطيع أن يشاهد في الجزائر قبور سبعة مغامرين أعلن انتخابهم ملوكا وقتلوا جميعا في نفس اليوم . ولا ثبات مدى حظهم من الاحتقار ، دفنوا على هارعة الطرق والداى الذي ينتخب لا يستطيع رفض هذا الشرف ولا الاستقالة من منصبه وبالنسبة اليه ، لا يوجد في العالم سوى مكانين : العرش ، أو القبر .

والبايات الثلاثة الدين يحكمون الولايات والذين يعينهم الداى في مناصبهم ، يزودهم أيضا بسلطته الاستبدادية ، كما يلحق بكل واحد منهم وكيل ، أو مراقبا للشؤون المالية .

وكل ولاية تفرض عليها ضريبة بمبلغ معين طبقا لمقدرتها المفترضة على دفعه ، وتتلقى وزارة المالية على قسطين ، مرة في كل ستة أشهر ، وهذا الموضوع سأعرض له بالتفصيل ، حينما أتحدث عن مصادر الدخل للمملكة .

ووضع الباى وضع مضطرب ومتزعزع حتما ، واستبدادهم والضغط الذي يمارسونه على الولايات الخاضعة لسلطتهم من أجل جمع الموارد المالية التي تسمح لهم بالاحتفاظ بمناصبهم ، شيء لا يوجد له ، بالتأكيد ، مثل في تاريخ الشعوب الأخرى .

تلك هي حالة البؤس التي يعيش فيها سكان هذه المملكة ، وكل محاولة من الباى لضمان العدل أو اللين في الولاية ، ستعتبر سعيًا

لكسب رضا الشعب وحسن السمعة ، وهو أمر تدينه الحكومة المركزية
ونستكره . ولما الذي ثبت أدائه بهذا الذنب ، كما تدل على ذلك
أمثلة عديدة ، سيدفع ثمن غلطته بأمواله وحياته .

والبيات مسؤولون عن تقديم تقارير مرة في كل ثلاث سنوات
بالحساب القمري إلى الحكومة المركزية ، ويسير إلى الجزائر في احضر
وبدح عظيم . وعلى هذه المناسبة يتوقف استمرار عملهم وسلطانهم ، من
وحياتهم أيضا . كل شيء يتوقف على مدى استطاعتهم اشباع خضع
الداي وأعضاء حكومته .

ولقد أخبرني مسؤول يتمتع بالثقة أن كل ريادة يقوم بها باي وهران
وباي قسنطينة بحكومة المركزية تكلفه ما لا يقل عن 300000 دولار .

وبهذه المناسبة يتحتم تقديم رؤوس لكل واحد من الضباط ، ولكل
حسب ما يتمتع به من المكانة والنفوذ ، ولكن هذه المبالغ الاصابه
لا يدفع منها شيء إلى الخزينة العمومية .

والضباط في الايالة لا يتلقون أي مرتب غير الجراية التي تقدم اليهم
في الانكشارية والتي يقدمها باشا نفسه ببساطة بدائية . ودخل هؤلاء
الضباط دائما يوقف على ما يجنيه كل واحد منهم من الامتيازات التي
تصل بمنصبه ، وعلى لرحص التي يسمحها لابتراز الأموال في مختلف
أنواع علاقاته بالمجتمع .

والقضاء الذي يعالج الجرائم من اختصاصات الباشا ووزرائه ،
والقتل والسرقة وقطع الطريق والاحراق بالعمد والحياة وانزاع جرائم
يعاقب عليها بالموت ، والتركي يخنق سرا اذا ارتكب جريمة سياسية ،
ولكنه اذا كان مرتكب هذه الجريمة من الأهالي ، فهو ينشق في ساحة
عمومية أو يقطع رأسه أو أوصاله أو يلقي به من على سور مرتفع ويتلقفه

خطاف حاد من الحديد أثناء سقوطه ليعرف أشنع أنواع العذاب قبل أن يموت .

وفي مثل هذه الحالة الأخيرة ، يبدى الجلاد شعورا انسانيًا ، منى دفع له مبلغ معتبر . ويتوسى خنق الضحية قبل أن يلقى به من على السور .

ومتى كان المجرم يهوديا ، فاما أن تقطع رأسه أو يشنق أو يحرق حيا ، وأما اللجج واضرام نيران صغيرة ، فيعاقب مرنكبها بالفرامة ، أو الجلد بالسوط ، أو بالأشغال الشاقة مقيدا في السلاسل

ومنذ أن ألغى سترقاو المسيحيين ، أصبحت الأشغال الشاقة أكثر أنواع العقاب شيوعا ، حيث أنها توفر عملا بدون مقابل ، بدلا من العبيد ، لانجاز الأشغال العمومية .

ولبدأ المعمول به في الجزائر ، على عكس انشائع في مجتنت ، هو أنه يفضل معاقبة شخص بريء بدلا من هروب مجرم .

وطبقا لهذا المبدأ ، يتقف المتهم أمام القضاة وهو في وضع سيء للغاية ، اذا عجز عن اثبات براءته بشكل لا عيار عليه ، هذا اذا لم يكن يتمتع بحماية شخص قوي المود (وعلى الرغم من أن العدالة هنا تقتصر على احد الأدنى من الشكليات والأحكام يجري تنفيذها بسرعة ابرق ، من الحظوة تسمح بوقف التنفيذ .

ووظيفة « تشو » ، أو الجلاد ، تعتبر هنا منصبا محترما ، وكل وزير في الحكومة ينحق بمصبه جلاد ، والجلادون يترقون ليشغلوا أعلى المناصب في الدولة .

وكما هي الحالة في البلدان الاسلامية الأخرى يشكل انقرآن والأحكام المستخلصة منه ، القانون المدني ، ويضاف الى هذا المصدر

العادات المتبعة والسوابق العادلة ، ولقد أصبح من الثابت ومن العرف الذي لا يحيد عنه الأتراك ، أن ما سبق الحكم به أصبحت له قوة القانون .

ولادارة القضاء المدني في جميع حكومات ولايات الايالة ، يعين قاضي تركي وآخر عربي ، وكلاهما يعقد جلسات يومية للحكم في القضايا التي تعرض عليه ، وذلك فيما عدا يوم الجمعة .

والأطراف في النزاع يقومون بالمرافعة والدفاع عن قضاياهم بأنفسهم . وبدون مساعدة محامين (وهذا لبلد لا يوجد فيه محامون) . وبدء المرافعة مباشرة يصدر القاضي حكمه .

والمفروض أن هؤلاء القضاة لا يترفعون دائما عن تأثير الرشوة والنموذ . ولكن نفوذ لا يمارس على القاضي الا في الحالات التي لها أهمية خاصة . وفي هذه الحالة يحق للطرف الذي يعتبر نفسه مظلوما أن يستأنف الحكم ويرفع فضيته أمام المفتي الذي يعتبر حكما نهائيا .

والمفتي (يوجد مفتي حنفي تركي ، ومفتي مالكي عربي) يعقد جلسات للنظر في القضايا مرتين في أسبوع . وهذه المحاكم متساوية في اختصاصاتها ، ولكنه في حالات القضايا المختلطة ، يتمتع التركي دائما بحق رفع قصته أمام القاضي التركي ويستأنف أمام المفتي الحنفي التركي .

ومحكمة القاضي (حينما تشتمل على العدد الكافي من العدول والخوجات) هي التي تتولى أيضا مختلف أنواع العقود .

وفي الحالات التجارية والبحرية التي تحيط بها ظروف معقدة ، يستدعي قناصل الدول الأجنبية الى الديوان لاستشارتهم بشأنها .

وأما تكاليف انقضاء ، فهي متواضعة جدا في جبلتها . ويبدو أن
الحكومة مصصه على بسبها في أن يكون العدل من حق الجميع في كل
الحالات . أن هذا ، بالتأكد ، هو الاعتقاد السائد هنا . وهذا الاعتبار .
مضاف اليه الاحتصار في المرافعة وسرعة تنفيذ الأحكام . لها تأثير كبير
على استقرار الأمن وما ينجم عنه من الطمأنينة في الجزائر

كان من الضروري في الماضي أن يحصل الانسان على شهادة علمية
من مدارس القسطنطينية أو مدارس القاهرة الكبيرة لكي يمكنه شغل
مصب القاضي أو المفتي . ولكن الأتراك الذين يواصلون إلى أربع
المنصب في الدولة دون أن يعرفوا مبادئ القراءة والكتابة ، قد انهوا ،
بطبيعة الحال ، إلى نتيجة ، وهي أن كل رجل عاقل يستطيع قراءة
القرآن ، يمكنه أن يشغل منصب القاضي عن جدارة .

والمفتي عبارة عن موظف خاضع في الحكومة الجزائرية وليس له أية
سلطة سياسية من أي نوع كان .

والمنصب الخطير أشأ في الحكومة الجزائرية هو ذلك الذي يعالج
شؤون الميراث . فإن صاحب هذا المنصب يدفع إلى بيت المال مبلغا
يجاور شئين المبلغ المفروض دفعه على الباقي . ومركزه يأتي بعد
مصب الوزير مباشرة .

وصاحب هذا المنصب يرث بحكم منصبه جميع الأشخاص الذين
يتوفون دون أن يتركوا أوصيه . أو الأشخاص الذين لا وارث لهم .
وسلطته تمتد على جميع أراضي المملكة . وسلطة هذا القاضي تمتد
الرعب في انتموس بحق . وقد حرت إعادة في هذا البلد أن يقوم
الأشخاص الذين يريدون التهرب من سطوته بوقف أملاكهم
على الحرمين الشريفين ، متى لم يكن لديهم وارث شرعي . وهذا
الترتيب يحرم بيت المال من أي قسط من التركة .

والإشراف على ربح هذه الأوقاف ، تحتفظ الأماكن المقدمة بوكير
لها في الجزائر ، هو الذي يتولى جمع الدخل منها .

ولمعتقد أنه يوحد سجل عقاري دقيق يشمل جميع أراضي المساء
الخاصة مباشرة للحكومة . ولكن الحجز الذي يقع يوميا . وطريقة
تعمية ، يزيد باستمرار من رقعة أملاك الدولة بحيث أصبحت راسية
جدا . والأراضي غير التابعة لأحدى المدن الكبيرة ليس بها سوى فئة
ضئيلة . والزراعة والتجارة في هذا البلد تعاني من تدهور شديد بسبب
الحظر المفروض على تصدير مختلف أنواع المنتجات (باستثناء بعض
المنتجات التي يصب عليها الاحتكار ، وهو موضوع سعالجه فيما بعد)
والأتراك الذين يحكمون هذا البلد والذين يعملون بوحى من الأنانية
الضيقة ، يشعرون بالفيرة من كل شخص يار حفظا من الرخاء دون أن
يكون ذلك تحت سيطرتهم مباشرة .

إن الأتراك محقون بدون شك في نظرهم هذه إلى الأمور . لأنه
و وجدت لزراعة والتجارة تشجيعا ، لجسم عن ذلك تدفق الثروة
والقوائد الطبيعية . ومع هذه الثروة سيزداد حظ البلد من الحضرة
وعدد سكان البلد أيضا - الأمر الذي سيصبح من الصعب معه على
خنة من المغامرين الأجانب حكم البلد بالطريقة التعمية التي يحكموها
بها الآن .

إن المبادئ الأساسية التي تقوم عليها حكومة الجزائر تتم بصفتها
غريبة . وإذا استثنينا حكم الممالك لمصر ، فأنا لا أعرف مثالا لهذه
الحكومة في التاريخ الحديث :

إن عصابة من المغامرين الأجانب قد استوت على سلطة القيادة
وستحوذت لنفسها وحدها على جميع الوظائف الحكومية وعلى جميع

مصادر الرّبح والثروة تحت اشراف الحكومة التي يشكونها هم ،
أنفسهم وهذا النوع من الحكم توجد له أمثلة ، وأما أن تحرم مؤسّساتهم
حتى الأطفال اذيين يولدون لهم في البلد أي حظ من الاعتبار والشرف
والمال والثقة . ويبقى كل ذلك وقفا على المغامرين الذين يجدون في
الخارج ، فهذا هو الشيء الغريب حقا .

ومع ذلك ، فإن هذه هي المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم
في الجزائر ، هذا اذا استثنينا أمورا صغيرة علمتهم ، لنحارب فيما بعد أنها
ضرورية .

ومن العرب أن أعضاء هذه لعصابة يعترفون بأنه لا يوحد وطن لهم
غير الجزائر ، حيث يريدون أن يستقروا ويتركوا ذرية لهم .

والواقع أن الامبراطورية انشائية نفسها لا يحسن تنظيمها الاداري
والسياسي والعسكري من كثير من مثل هذه المظاهر العربية التي نست ،
بدون شك ، نتيجة لفتوحها ولعطستها القومية على الشعوب الأخرى
ولتعصب الديني .

ووجود الأتراك ، حينما وجدوا ، هو أشبه ما يكون بمعسكر بربري
منه بدولة قائمة على قواعد سليمة . ومن هذه الزاوية تعبر حكومة
الأتراك في لجزائر نمودجا لحكم الشعوب الأخرى التي تنضوي تحت
هذه الامبراطورية .

والجيش التركي المربط في الجزائر ، قلما كان في الآونة الأخيرة يجاوز
خمسة آلاف جندي وصابط . وهو في الوقت الحاضر قد هبط عدده ،
لأسباب معينة ، الى أربعة آلاف .

وهؤلاء الجود والضباط ، هم وحدهم الذين يتمتعون بالحق لشغل
المناصب الرفيعة في الحكومة ، ولتولي المهام الشرفية أو المريحة ، وذلك

في عدا الحرية ، حيث تاح الفرصة لجزائري ، اذا أبدا كفاءه . لار
يرقى الى أعلى الرتب العسكرية . ولو أنه لا حق لهم في شغل أله وظيفه
مدية في الأسطول .

والرئيس حميدو الذي قتل في معركة حينما أسر الكمودور ديكور
سفينة في شهر يوليو ، سنة 1815 ، كان يسمى اى سنة
تسكن في الجبال الداخلية ، وقد ارتقى الى مركز القباده بسبب ما كن
يتسم به من الذكاء العاد والشجاعة الخارقة .

وفي بعض الحالات يحلف أبناء البايات آباءهم على رأس حكومة
الولاية . وفي بعض الحالات أيضا عين الكلوغليون (3) في مصر
« القايد » في الادارة ، ولكن الأرجح هو أن هذه الحالات كانت تبع
لرشوة ، لأن هذه التعينات تتناقض مع قواعد الحكم التركي

وقد كان باي وهران واحدا من هذه احالات . ولكن ذكرى الثورة
التي قم بها حيث وصلت جيوشه الى مكن لا يبعد عن الجزائر الا ثلاثة
فراسخ ، في سنة 1814 ، سوف تبقى عالقه بالأدهار . والمرجح أنه لن
يتمح تكرارها في المستقبل .

والجيش لتركى في احزائر تحتفظ بكيانه بجيود الجود في اشرق .
ومعظم الذين يقبسون الانخراط في سلك الانكشارية من
الأشر الذين يخرجون من السجون ويتمون اى أخط الطبقت
الاجنباعية في تلك البلاد

وحكومة الجزائر تحتفظ بوكلاء لها في القسطنطينية وفي أرمير ، فهذه
جمع الجود وتجيدهم واستجار اسمن لملهم الى احزائر .

3 - هو الشخص المولود في الترقية من اب تركى وام من الاعالي .

ولدى وصولهم الى البلد يصبحون تعلم الأمر الواقع حدودا في الجيش ويحمل كل واحد منهم لقب « انكشاري » ويورعون على مختلف مكاتب المدينة حيث يسمون ان يسموا مدى اجتهاد ، وذلك بعض الطرق على الحظوظ التي يخفيها القدر لكل واحد منهم .

وفي هذه الشكايات يترفعون (اذا لم يسميهم انظر السعيد حسن ماصب ادارية) وورداد مرتبتهم على اساس الاقدمية حتى يصلوا الى اعلى الدرجات العسكرية ، ويصبحوا اعضاء في الدewan وهناك لا بد وان يكون العضو بلدا حقا . اذا لم يحصل على منصب يدر عبء امان الوفاة .

والمرتبة التي يتقاصده الانكشاري ، عطف انحرافه في سلم الاجتهاد ضئيل ولا يكاد يتجاوز نصف دولار في الشهر ولكن هذا المبلغ يزداد بالادمية تدريجا حتى يصل الى سبعة دولارات في اسهر . وهو الحد الاعلى لمرتبات الانكشارية .

على انه أصبح من المعتاد في الأعوام الأخيرة ان يزداد الداي مرتبات الانكشارية لكي يزداد من شعبيتهم .

والجيش الذي يكون على هذا الموال ، يكون - بالطبع - عرضة لزعزعة الثورة .

وجراية الانكشاري هي حوالي رطلين من الحيزر العادي يوميا . والمزاد منهم يسكنون في غرف فسيحة ملائمة . والحكومة تقوم بتزويدهم في مرحلة تالية لوصولهم بالكسوة والسلاح والذخيرة بأسعار زهيدة .

والانكشاري الذي ينسحق ويكون مستعدا لخوض معركة يعمل مسدسا أو مسدسين كبيرين في حزامه و « يتجاسا » وخنجر على صدره ، وبندقية طويلة على كتفه . وجميع هذه الأسلحة مزينة بالزخارف

الشرقية الرفيعة بقدر ما تسمح به ظروفه الخاصة وثروته . وإذا أُخذ
بذلته المكثرة الى كل ما تقدم ، يمكننا بحق أن نفازن الانكساري
بالصبي في ورق اللعب !

والأتراك المقيمون في الجزائر كلهم أساسيون من الجود ، ولكه توجد
فئة منهم ، أو طبقة من المدنيين الذين يسمون الواحد منهم « خوجة » .
أو الكتب . وهم ممن يعرفون القراءة والكتابة ، أو على الأقل ، قادرون
على معرفة القراءة والكتابة وهذه الفئة تتمتع بامتيازات كبيرة وتوفر
كتاب الادارة الحكومية .

والأتراك شعب بسيط حذر ولهم نفس المضائل والردائل التي نجد
في دولتهم نصف المتحضرة . وهم ، في عادة جديرون بالثقة في كلمتهم .
كما أنهم يتصمون بالأدب واللياقة ولإنسانية في معاملاتهم اليومية .
ولكنهم حين يجدون أنفسهم في احياة السياسية يكشفون في أنفسهم
وحشية فادرة .

العراك بين الأتراك محرم ويتعرض المتعاركون لأقصى أنواع العقوبة
وإذا كان تسلط القوى على الضعيف أمرا شائعا كما هو في بلدان أخرى .
فانا ، مع ذلك سم أسمع بأهنة تركي لتركلي علانية .

وأخط الأتراك قدرا وأوضعهم شأنا يرفض باحتقار أية فكرة للمساواة
بينه وبين الأهالي . وانظرية التي تعلمها الأتراك جيلا عن جيل والمثالة
بأن التركي ولد ليحكم ويتولى عجة القيادة واجزائري والأهلي
ليخضع ، فقدت مع الوقت بعض ما تطوي عليه من الدقاعة ، ولم
تعد الآن سوى مبدا سياسي عام .

والجنود الأتراك النسيان يلزمون ثكناتهم ولا يسمح لهم بالخروج
الى المدينة الا في يوم الخميس ، وتحت مراقبة حارس يكون مسؤولا

عن سوكتهم . وذلك حتى تنمو لحاهم . وحشيد يسمح لهم بليس
لطبوش والاختلاط بالناس على مسؤوليتهم .

واذا كان الأتراك يراعون حسن السلوك ويحترمون تعاليم الدين
التزاما بمبدأ سياسي حسن ، فإن التجربة أثبتت أن هذا لا يمنعهم
من التحلل أحيانا والميل إلى المحور الذي يميز الجنود في كل مكان .
وتبعاً لذلك ، فإن الحكومة تسمح بفتح المواخير التي يديرها اليهود
لسلية الشبن الأتراك . وهناك يسمح لهم بتناول الخمر والحكول
بدون قيد ، شرط ألا يقع فصائح مشينه أمام الجباهير وكل تجاوز
عن هذا الشرط ، يعرض صاحبه لأقسى العقوبات .

والواقع أن الحياة المفروضة على الانكشاري حياة مملة وبعث على
الضيق ، ومن ثم ، فإن كثيرا من لا يرتبطون بعلاقات الزوج في البلد ،
وليس لديهم وظائف تدر عليهم المال يهربون من هذه الحياة متى
استطاعوا ذلك .

وكل ما من شأنه أن لا يؤدي إلى تكثير الهدوء السياسي ويسمح
في نفس الوقت بأعاش كبرياء الانكشاري ورهوه تطبيقه الحكومة بدون
تردد . والركي في كل مكان له الأولوية ومكان المبق على الأهلي
الجزائري . والجزائري يتنحى بكل خنوع أمام التركي ، متى لقيه في
الطريق العمومي .

والأتراك تعلموا منذ أجيال عديدة أن من حقهم الدخول إلى الحدائق
العمومية التي توجد في ضواحي مدينة الجزائر لقطف الثمار والأرهار
ولتزويد أنفسهم بما يريدون من الخضروات بدون حساب ولا رقيب .
وهذا الحق لا يترددون قط في ممارسته إلى أقصى حد . بل انهم
يتجاوزون الحدائق العمومية ليسهبوا حدائق فاصل الدول أيضا .

وعقب عقد معاهدة الصلح (بين الجزائر والولايات المتحدة) سنة 1815 ، عرضت على لدای عسر باشا الذي كان حاكم البلد حينئذ صورة لوضاعة هذه التصرفات المشينة ، وأكد له أن وقوع مثل هذه الاعتداءات على قنصلية الولايات المتحدة ، سوف يعتبر اهانة قومية ويعامل على هذا الأساس .

وكذلك مع هذا الندي نادريجيا فيما يتعلق بتمتلكات انفسه ولكن الانكساريه تلك مبعث لرعب كما كانت دائما . في تصور الأهالي ملاك الحقائق في ضواحي مدينة الجزائر .

يمتاز الأتراك بقوة أجسامهم وجمال أشكالهم . والامتيازات التي تمنح لها طائفتهم وامامهم في الحصون على مناصب عالية في الدولة تمنح لهم فرصا هائلة لمصاهرة والزواج في ابلد . وهذا الاحتلال في لفرق نجم عنه بحسن ملحوظ في هذا الجنس . وذلك فيما يتعلق بالخصائص الجسمية والأخلاقية معا .

والمعتقد أن عدد الكنعانيين الذين يحدرون من اصل تركي يسكن في البلد نحو عشرين ألفا . والكنعانيون لا يستعون بحقوق أكثر من تمنح به الجزائريون فيما يتعلق بالمناصب في الدولة . ولكنه يمكنهم الترقى في البحرية ، كما يمكنهم الوصول الى منصب « القائد » و« ابي » وهم لا يزالون حتى الان يمنعون بالادب بلبس الملابس المشرقية بالذهب ، كما يمنعون تمييزات مماثلة لا قيمة لها ، ولكنه لا ترتطم أية علاقة بالأتراك ، وقد رفضهم الجنس التركي رفضا قاطعا واعتبرهم من جنس السكان الجزائريين .

والأتراك يقومون بالخدمة العسكرية « كشاب » الأمر الذي يتيح للواحد منهم الدخول في الوظيفة العمومي الذي يشعرون جميعهم أنهم خلقوا له ، دون أن يفقدوا بدلت أي حق من حقوقهم . ولكنه يتختم

سي اتركى ان يكون دائما مسعدا بخدمه الدولة كلما دعت الحاجة
ليه .

وحظوظ الأتراك الذين يتقون عبيدين عن الحياه الياميه اكثر
ستقرارا من حظوظ اولئك الذين ندفعهم انطامع الى كسب الثروة
واسعاه . وهى مزايا يتعرض صاحبها دائما للخطر .

والمؤكد ان الأتراك مسكون دولاء بحكومهم سكا شبه فى
آثاره شعور ابوطنية . وهذا الشعور تعذبه وتنحده التغيرات واشورات
المناويه فى الحكومه والادارة . وعطله الحظوظ فى هذا بلد تدور كثيرا
بحيث يبدو أنها تنص لكل واحد من الأتراك فرصة للحصول على
ثروة والجاه يوما ما فى حياته .

وفيما يلى حكاية تصلح لان تكون تعليقاً عن فكرتي هذه :

فى الصيف الاول الذى حلب فيه بالجزائر ، حضر الي شيخ تركي
وقدم نفسه بلقب « الرئيس » ، أو ريان سفينة ، وقال لي انه قام برحلة
مع الكمودور بينريدج من الجزائر . الى القسطنطينية بوصفه عضوا
فى وفد جزائري كلف هذا الضابط بنقله على متن بارحته الى تركيا .
وقد ترك فى نفسي انطباعاً بأنه يهتم كثيرا بالكمودور . ولذلك اعتقدت
ان الهدف لزيارته هو السؤال عن صحة هذا الضابط الأمريكى وعن
المصب الذى يشغله والحصول على غير ذلك من أخباره . ولكنه قبل
أن يفادر القنصلية أخبرني أنه بغير عمل وأنه فقير جدا . وقد انتهى به
الأمر أن طلب الي أن أقرضه دولارا واحدا ، واستجبت لطلبه ثم ألححت
عليه فى أن يعود الي كلما واحه ضائقة ، وأكدت له أنني سوف لا أتأخر
عن مساعدته بقدر ما تسمح به وسائلى .

وهذا الشيخ أتيح لي أن أقبله بعد ذلك عدة مرات في المناسبات الرسمية ، وفي كل مرة يقدم الي في استحياء ويعرض علي علبه سعوطه . ولكنه كان دائما يقف بعيدا عن الشخصيات التي أقوم بزيارتها

وبعد ذلك بضع سنوات عين هذا الشيخ في منصب الخزنجي ، أو رئيس الوزارة - وهو المنصب الذي يشغله حتى الآن ، وقد بلغ سن التسعين ، وأما مرتبه السنوي في هذا المنصب ، فيبلغ 50000 دولار .

ان شخصية اتركبي الذي يتصف بقوة ارجول وما تتسم به حكومة الأتراك في الجزائر من ابأس والشدة ، عوامل كان لها اثر حسن في تربية الأهالي الذين لا يزالون حتى الان كما وصفهم سالوست (Saluste) بأنهم متقلبون وقليلو الحظ من الجد .

والأتراك حينما أقاموا حكومة في الجزائر كانوا يتسددون على القرصة لتكون المورد الأساسي لحكومتهم ، وهذه الحسابات ساعدها وراء ما كان يحلم به الأتراك ضعف الدول المسيحية البحرية وعدوها وسياسة التمهس التي تنتهجها كل منها تجاه الأخرى .

فان هذه الدول قد أمدت الأتراك بما يرضي حاجتهم حتى سنة 1815 ، وزيادة على ذلك ، فقد جمعت الجزائر كنوزا من الذهب والفضة يمكن أن تعيش عليها بضع سنوات بعد الآن .

وبكنه ابتداء من ذلك لتاريخ لم تعد تلك الحكومة تجني أية أرباح من لهب والسلب في عرض البحار ، وكذلك يمكن اعتبار المداخل والنقود الواردة في القائمة أسفله هي متوسط الميراثية السنوية في الفترة التي تمتد بين 1815 و 1822 .

والضرائب الداخلية تعنى على أساس ما ينص عنه القرآن (الزكاة) ، ومتى تمت الجباية بحسن نية وإخلاص ، يكون العبء خفيفا وتوفر

في نفس الوقت ، موردا كبيرا للدولة . ولكن الحكومة التركية في الجزائر تتسم بجميع الرذائل التي تلام شركة تجارية كبيرة ولا تتمتع بأية ميزة من مزاياها ، فإن الاعتبار الذي له المكان الأول في نظر الحاكم التركي ، هي ثروته الشخصية ، وما يزيد هذا الشعور حدة في نفسه ما يشاهده من الترف والبدخ في الدوائر الحكومية وعدم تأكده من الحصول على لقب يضمن له مكانته .

والبيات وحكام الأقاليم ، هم المسؤولون عن جمع الضرائب ، وبواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة ، يستحودون على كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب وهذا الظلم الذي لا يطاق جعل الناس يهجرون البلد ويتركون السهول احصة ليجأوا الى الجبال ويكونوا قسما لا سبيل الى وصول الأتراك وأعوانهم اليها ، أو الى أطراف الصحراء ، وهذه الحالة ستؤدي ، حتما ، الى انقضاء على هذه المؤسسة « الشرعية » ، وإذا لم تقرر الحلف المقدس بحكمته مساعدته هؤلاء الناس ، فسوف يصبحون قسلا أن يمضي وقت طويل شوكة في حنب الحضارة .

حساب الدخل والخرج للخرينة في سنة 1822 بالدولار الإسباني

دولار	
60000	من ماي وهران (الضرائب المقدرة على الولاية)
15000	من نفس المصدر (الضرائب على صادرات وهران)
60000	من باي قسطنطينية (الضرائب المقدرة على الولاية)
16000	من 7 قياد تابعين للحكومة المركزية
40000	من قاضي المواريث (الضرائب المقدرة)

دولار

3000	من شيوخ البلاد (الصرائب المقدرة)
4000	من باي تيطري (الصرائب المقدرة على الولاية)
4000	من حوجة الجلود (صرائب المقدرة على هذه المصلحة)
800	من حوجة مصلحة الجمارك
6000	من اطائمه ايهوديه (الصرائب المقدرة عليها)
20000	من مصلحة الجمارك للاستيراد
40000	من ايجار الاملاك الحكومية في مدينة الجزائر
30000	من الحكومة الفرنسية في مقابل احكار صيد المرجان في عابة
40000	من احتكار الشمع والصوف والجلود
24000	ضريبة سنوية من ملك نابلي
24000	ضريبة سنوية من ملك السويد
24000	ضريبة سنوية من ملك الدانمارك
42000	ضريبة سنوية من ملك البرتغال

434800

المجموع

وبالاضافة الى ما تقدم تتلقى حكومة الايالة أيضا ضريبة سنوية من
شيوخ العرب مبيع 200000 كيل من القمح ومن باي قسنطينة وناي
وهوان 10000 كيل من لشعير لكل واحد منهما تستعمل لتعذية رجال
البحرية والجيش واعمال في القطاع الحكومي .

حساب الخرج في الايالة في سنة 1822

دولار

24000	النفقات السنوية على المال والفنائين وعمال الميناء
60000	النفقات السنوية لشراء الخشب والحمال ولوازم البحرية

٢٤١١١

لصفقات السوية لمرتبات الضباط والبحارة

٢٤١١١

لصفقات السوية لمرتب المسكرين من جميع الصفات

٢٤١١١

المجموع

وهذا يعني عجزا في لمزااة السنوية مقدرة (١٢١٢,٤٢٤) د. د.

وهذه الأرقام استقيتها من رجل ثقة مطلع على الأحوال بـبسة .

وجيش الحكومة التركية في الجزائر يتكون من خمسة د. د.
جندي وضابط ، من الأتراك والكلوعيين والعرب . وهذا
والثاني ، يشكلان جيش المشاة ، فيما يشكل العرب الحية .

وهذا الحرس مورع على لخامات أو في معسكرات منتشرة في جميع
المملكة وفي مختلف أقاليمها . والجيش يستعمل حفظ وجمع غنائم
للحكومة .

ومعظم هذا الجيش يتكون من المجدين الأتراك والكلوعيين الذين
يقومون بالخدمة العسكرية بالتناوب . لا يوجد فيه ما يمكن وصفه
بالنظام والطاعة العسكرية . وعلى الجملة . يمكن وصفه بأنه عديم
الفعالية كلية .

والانكشارية يلزمون الشكتات التي يوصعون فيها عقب وصولهم .
وهناك يترقون إلى مختلف الرتب العسكرية بالأقدمية ويولون قيادة
الوحدات أو الكتائب ، وهذا الترتيب هو مظهر النظام الوحيد الذي
اكتسبته في هذا الجيش .

والبحرية الجزائرية كانت في الماضي تتكون من عدد من السفن ذات
المجاديف والسفن الثلاثية الصواري ، ولكنه في العصور الأخيرة أعيد
تشكيلها عقب التحصينات التي أدخلها الأوروبيون على بناء السفن وعلى

فن الحرب في البحر ، وذلك بعناية بعض الدول لأوروبية التي كانت تحتفظ بعدد من بناء السفن والمهندسين .

وقبل معاهدة الصلح (لجزائرية الأمريكية) التي عقدت في يونيو 1815 ، كانت الجزائر تملك أربعة بوارج تتراوح قوتها بين 44 و 50 مدفعا ، وأخرى قوتها 38 مدفعا ، و سلوب (مركب دو صارية واحدة) حربي مرود بثلاثين مدفعا ، وآخر بستة وعشرين مدفعا ، وآخر باثني عشرين مدفعا ، وواحد آخر مسلح بعشرين مدفعا وسبعة دات صاريين مسلحة بعشرين مدفعا ، وسبعة دات مجاديف مسلحة بحمسة مدافع . وذلك بالإضافة الى ثلاثين زورقا حربيا .

ولكن هذه السفن حطمتها الأساطيل البريطانية والهولندية أثناء المعركة البحرية التي جرت في أغسطس ، سنة 1816 .

على أن الجزائريين تمكنوا بعد ذلك من إعادة تكوين أسطولهم بشراء بعض السفن أو بناء سفن أو بالسفن الحربية التي قدمها اليهم ايااب العالي وسطان المغرب الأقصى وباش صرابلس . وبذلك أصبح الأسطول الجزائري قويا وفعالا بحيث يستطيع القيام بكل مهمة يكلف بها .

ونظرا لأن عدد قطع لأسطول الجزائري يحسف بين الحين والحين ، فنخصص لهالة فقرة في آخر هذا الفصل .

ودار صناعة السفن في الجزائر تنفق كميات مهمة من الخشب وجميع المواد الضرورية لبناء السفن وتجهيزها وتليحها . وأحواس السفن الجزائرية كامه انصحمر لاصلاح السفن الحربية بجميع أنواعها وأحجامها، من البارجة فنازلا .

والحكومة الجزائرية ستخدم في أسطولها بصفة دائمة نحو ثلاثة آلاف بحار ، ولكنه في امكانها ، عند الضرورة ، رفع هذا العدد الى ستة آلاف رجل .

والسفن الجزائرية التي تعبر سماء حرية لا تستحق أي اهتمام ،
وبحارثها يجهلون طرق المناورة في امسارك البحرية . وأما روح الجراء
الخارقة التي يعزى اليهم . فهي انما خلفتها مؤمرات الدول الأوروبية
وجسعها . ومع ذلك . فان مقدرة الجزائريين على تجهيز الأساطيل
وتسليحها لمقتال لا تفوقها مقدرة أي شعب آخر في العالم . والبارجة
الجزائرية الكبيرة تنقل على منها 500 بحارا وصابطا . مائة منهم من
الأتراك الذين تكون منهم هيئة الصاب . وهذه النبه على وجه
التقريب . يحتفظ به في تجهيز السفن الحربية التي هي أصغر من
البارجة .

لكن هي حالة الأسطول الجزائري ادى يمنع بشهرة عظيمه تردد
صداها أعاني اشعراء . ويرتعد من ذكره الأطفال والعجائز . والذي
سبب في اهانة كثير من الدول .

ولما رأى قد يندهش كيف سمح لدولة ذات قوة لا قيمة لها أن
نمرقل التجارة وتعرض ضرائب لا تقبل لدفعه ، مدة طويلة ، وهو
قد يتعجب كيف أن الدول البحرية الأوروبية قد ذهبت الى أطراف العالم
وتكبدت تضحيات كبيرة في المال والرجال لتكون هناك مستعمرات ،
في الوقت الذي تستحوذ فيه حنة من القراصنة المغامرين على أحمل
بقعة في العالم وتفرض عليهم شروطا هي أقرب الى التبعية التي يرضها
ملك قوي على أمير صغير .

والجزائريون الذين يقوم نظامهم السياسي على اقرصة يسبحون
لأنفسهم حق اعلان الحرب على كل دولة مسيحية لا تستري رضاهم
بمعاهدة صلح ، هذا الموضوع سعالجه في غضون الفصول التالية
بالتفصيل . وأما الآن فيكفي أن نلاحظ عابرين أن بريطانيا وفرنسا

وهولندا والولايات المتحدة وسردانة قد قاومت لل واحد منها
أوقات مختلفة ادعاءات الايالة في هذا السياق ، وأن علاقاتها مع
الجزائر في الوقت الحاضر تنظمها معاهدات منفصلة لا تدفع في مقابلها
أي مبلغ من المال على سبيل الضريبة ، وكذلك كانت أسبانيا في نفس
الحالة حتى وقت متأخر ، ولكن هذا البلد قد دخل الآن فيما يشبه
لحرب مع الجزائر .

والامبراطورية الروسية ، مثل النمسا . تعتبر الجزائر ولاية من
ولايات الامبراطورية العثمانية ، وتحمل الباب العالي مسؤولية منح
أعمال العدوان على السفن التي تحمل أعلام البلدين .

وأما لسويد والدانمارك والبرنغال ودبي . فهي تدفع للجزائر
ضريبة سنوية . وكذلك اشرف دوفية بوسكذ السلام من الجزائر
بمبلغ من المال دفعته مرة واحدة .

والب في حصول الدوفية على شروط ييه من الجزائر في مقابل
اسلام الدائم ، هو أن الايالة تجني فوائد من حرية المواصلات مع
ميناء لاجورن حيث ترسل سفنها للاصلاح .

وأما بقية الدول المسيحية ، فان الجزائر تعتبر نفسها في حرب معها .

والدون التي تربطها معاهدات بالجزائر تحتفظ بعلاقات دبلوماسية
معها ويمثلها وكلاء في الايالة يطلق عليهم لقب «القصل العام» ، وهؤلاء
اماصل يتمتعون عادة بنفس الحقوق والامتيازات والحصانة التي
يمتد بها الباب العالي للوزراء المفوضين في القسطنطينية ، وذلك
باستثناء حق اللجوء السياسي الذي لم تعترف به الجزائر قط ، ولو
أنه وجد بطريقة مشكوك فيها في بعض المناسبات .

وجريا على تقليد شرعي قديم ، فإن القنصل عندما يقدم أوراق اعتماد في الجزائر ، يقدم أيضا هدية الى الداي ولى كبار الصباط في الايالة ، وهذه العادة كانت في مبدأ الأمر ، بدون شك ، مجرد مبادرة لسجامله والاعراب عن التقدير ، ولكن مرور الزمن وصممح احوال الدول تقدم الى اصحابها لا نشر في موسمهم أي شعور بالرضا ، بل على 17000 دولا .

وقبل أن يمنح القنصل الادن بالزول من السببية التي يلقه ، يجري تحقيق حول ما اذا كان يحمل معه الهدية التقليدية ، وهذه الهدايا حينما تقدم الى اصحابها لا تشير في موسمهم أي شعور بالرضا ، بل على العكس ، فكثيرا ما تناد الهدايا الى القنصل بعبارتها غير كافية ، وعقب ذلك يدخل المهدي وامهدي اليه في مفاوضات في الموضوع سهي عادة في صالح الأخير .

وباختصار ، فإن الهدايا التي يقدمها القنصل في الجزائر لدى تقديم أوراق اعتماده ، لم تعد نسيم بطابع محبة ودية ، بل ان الأمر ذهب بولاه الأمور الى حد المطالبة ، بحجة ان الفاصل لا يمررون في وقت قصير ، بدفع الهدية مرة في كل سنتين . وهذا الادعاء استنجات له الدول التي تدفع الضرائب للجزائر ،

وكذلك أصبحت هذه الهدية تسمى الآن ، « هدية الستين » ، وفي حالات معينة ، دفعت الهدية القنصلية وهذه السنين «عبارتها ديان أحدهما مستقل عن الآخر .

وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت تغير فاصتها كثيرا ، بناء على شكوى سلطات الايالة ، فقد كانت تقتصد في الهدايا التي قلنا رادت على المبالغ السوية التي تدفعها لدول ابخره التي تربط بمساعدت مع الجزائر .

ولكن فرنس واسبانيا ، بحجة ابراز عظمة ملوكها كثيرا ما تدفع الهدية انقصية ضعفين أو ثلاثة وأربعة أضعاف .

وعندما يرسو أسطول أو سفينة حربية في مرسى الجزائر ، تطلق المدافع واحدة وعشرين طلقة على سبيل التحية ، وعقب ذلك ، يقوم الأسطول أو السفينة الحربية برد التحية بعدد مماثل من الطلقات ، ومتى نزل قائد الأسطول أو السفينة الى البر ، تطلق المدافع أيضا خمس طلقات تحية له ، وهذه التحية تكرر عندما يرحل نهائيا .

ومتى نزل القنصل الى البر تطلق المدافع خمس طلقات تحية له ، ونفس التحية تؤدي له عندما ينادر البلاد ويرحل عنه نهائيا .

ومتى استمرت اقامة أسطول أو سفينة حربية في الميناء ثلاثة أيام ، ارسلت السلطات اليها هدية ، وهي عبارة عن عحول ودجاج وخبز وبواكه وحصر ، وبعد ذلك ، تدفع قنصل الدولة التي يسبحها الأسطول ، أو السفينة ، 40 دولار للتحية ومبلغ 14 دولار في مقابل الهدية .

والمظاهر الخارجية للحكومة الجزائرية تتسم بساطة وبس مؤثر . تبين بوصوح طبيعة ادعاءاتها ، فان الباشا يجلس على عرشه ويستقبل ضباطه وأعيانه بدون تمييز ومنذ الصباح المبكر ، عقب صلاة الصبح ، يقدمون اليه تقاريرهم ويتلقون أوامره .

وعندما ينهض الباشا للحروج من فاعة الاستقبال ، يقابله الجميع «حذاء رؤوسهم الى الأرض وترفع أصواتهم بالعبارة التالية : « ليحفظ الله ملكنا ! » ، وبعد ذلك يمر الباشا أمام مختلف الصفوف الواقفة على طريقه بانتظام ويتحول اليهم ببطء ، واضعا يده على قلبه ويرد التحية بمثلها ، وتنحني الصفوف مرة ثانية لترفع الأصوات من جديد : « ليحفظ الله ملكنا ! » .

وهذه هي المناسبة التي يستعملها الثوار لخلق الداي في الجزائر ، ففي الوقت الذي يسافر فيه باشا صاعة العرش ، يقض عليه المتآمرون ويستحوذون على شخصه مسكين بحزامه ، ويدبحونه في عين المكان . أو ينقلونه الى مكان آخر ليخفوه بعيدا عن الأنظار .

وعقب ذلك مباشرة يجلس خلفه على العرش في مكانه .

وعيد الفطر الذي يتوج شهر الصيام عند المسلمين ، مثل عيد الأضحى الذي يأتي بعده شهرين وعشرة أيام (4) ، مناسبة حليلة تعلنها طلائع المدافع المدوية ويطلق المسلمون فيها العنان للفرح والسرور .

وفي هذه المناسبة تجري ألعاب شعبية وتصف موائد الطعام في انقصر وفي كل مكان . ان كل شيء يدل على السرور والحيور والاحتفال .

وفي هذه الاعياد توجه الدعوة الى قناصل لدول ليشاركوا في الاحتفالات ، ولكن ليس بوصفهم ممثلين لدول مستقلة ، وإنما يدعون لكي يقدموا تحياتهم الى الداي ويلهجوا بلثناء على قوته وعظمته ، لأنهم يتركون في وسط الجماهير ولا يخصص لكل واحد منهم مكانه .

وعندما يدخلون على الداي ليقدموا اليه تحياتهم لا تقدمهم قواعد المراسم على أحد ، فيما عدا رئيس الطائفة اليهودية . ولكي يثبت القناصل تبعيتهم ، تقضي هذه القواعد أن يقبلوا يد الباشا في كل مرة يقومون أمامه .

4 - تصحيحا في الاصل : يأتي بعده بأربعين يوما .

فيما عسى أن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وأسبانيا استطاعت أن تحرر قناصلها على التوالي من هذا التقيد المهيمن والذي يدل على الخنوع .

ومنذ وقت قصير ألغيت هذه العادة بالنسبة إلى جميع قناصل لدول . ونحن في لوف الحاضر بصاح يده ونحني أمامه . بل إن بعض القناصل ينحنون المعاذير في الوقت الحاضر لاعتفاء أنفسهم من حضور هذه الاحتفالات .

وكذلك يوجد احتفال آخر يقام في الرسم ، ويدل على مدى عطسة دعاءات الأتراك العزاء المحليين . وفي هذه المناسبة يخرج الخرنجي بوصفه مساعد الداي ويصب سراقه ويضرب معسكره خارج أسوار المدينة عند بابها الشرقي . وعلى باب هذا السراق ينصب اثنين من ذبول الخيل الثلاثة التي ترمز إلى سلطانه .

وعندئذ يتقدم أغا يمثل أحد شيوخ العرب أمام الخرنجي لقدم إليه في صفة ومدلة تحيات الشج ، وعلى الفور يصدر إليه الخرنجي أمرا بأن يقدم إليه شاة لامتناع جنوده . وعندما يصل رؤوس الغنم يقوم هو بصفه بديع رأس واحدة لتطبخ وتقدم على مائدة معادنه .

وهذه المواشي تقدم فوراً ، وأما غيرها من الخمر ، مثل الدجاج والبيض واسكس الخ ، فتطلب من شيوخ العرب الذين يسارعون إلى الصاعه ويهدمون كل ما يطلب منهم دون أن يرفع صوت منهم بالشكوى أو الاحتجاج .

وبعد ذلك ، يصدر الأمر إلى شيخ العرب في لمطقه ليدفع مبلغا من المال ، يأخذه الخرنجي لدفع مرتبات الحش ، ولكن الشيخ العربي متحل المدر أم هذا الطلب وترجى معتج بفقر السكان وبمختلف

الكوارث التي حلت بمنطقته والتي تحعر من المستحيل أن يدفع
اسكن المبلغ الضخم الذي يطالب به معادة الخزنجي ، وذلك على
الرغم من حسن نيتهم واستعدادهم للطاعة .

وعندئذ يبدي الخزنجي أعراض عصب جارف ويهدد بقطع رأس
شيخ العرب في عين المكان ، ثم ينتهي الأمر بأن يصدر أمره بأن يقيد
بالسلاسل ويجلد حتى يعلن استعداده لدفع المبلغ المطلوب .

وبعد صدور الأمر يبدأ الاستعداد لتنفيذه ، وعندئذ يبدي الشيخ
العربي ما يدل على الاستسلام والرصوخ ويعرض استعداده بدفع مبلغ
أقل أهمية ، ولكنه نظرا لأن كل نضرعته لا تجدي شيئا ، فيستقدم
شيخو القبيلة لينفدوه من درسته ويتعاونوا بحص مبلغ يكس المبلغ
الذي عرض استعداده لدفعه .

وحيث يؤثر في المبلغ كله ويوضع عند أقدام سعاد الخزنجي ، الذي
يصطنع بعد ذلك مظهرا من اللين والطف ويقدم يده لشيخ العرب
ليقبلها . ويدعوه بالصدق الحميم ويقربه ويجلسه معه ويقدم إليه
فنجانا من القهوة اللذيذة الطعم .

وبذلك تنتهي هذه المهزلة التي تمثل بأمانة علاقات الشعب الجزائري
بحكومة الأتراك الجزائرية .
وفيما يلي قائمة السفن الحربية التي تشكل الأسطول الجزائري في
سنة 1825 :

مفتاح الجياحه	62 مدفعا
ابن الخواس	» 50
نفر اسكندر	» 36
سارجة	

» 36	مظهر اسطفي	}	حراقة (طراد)
» 46	فاسية		
» 18	نعمة خوده	}	سفينة ذات 3 صواري
» 16	موجراس		
» 24	فضل الاسلام	}	سكونة (ذات صارتين)
» 14	جيارن		
» 14	طونعردة		
بدون مدافع	ثورية		
بدون مدافع	سياد داريا		
20 مدفعا	زاغزا		بولاكز (مربعة الاشرعة)
10 مدافع	ميورقه		اكسيكس (ثلاثية الصواري)

وفيما عدا هذه السفن ، توجد في أحواض بناء السفن الجزائرية في
طرق البناء ثلاث مسكونات ، ينتظر أن ينتهي العمل فيها وتنزل الى
البحر في الصيف القادم ، وخمسة وثلاثون زورقا حريا من الحصة
المادي .



الفصل الثالث

الجزائر - موقعها ، امتدادها ، طبوغرافيتها وتحصيناتها ، حاميتها ،
وحكومتها ، المدنية والعسكرية ، ثروة السكان ، أمن الأشخاص
ورخاؤهم ، انواع السكان ومميزاتهم ، حالة العلوم والمعارف ، تعليم
الاطفال وتربيتهم ، اللباس ، جمال النساء ، تحسن عادات المسلمين ،
طريقة لباسهم ، وغناؤهم ، اليهود واحوالهم المدنية والظلم الذي يعيشون
فيه ، الافريقيون الاجانب الذين يعيشون في المدينة ، الفنون الميكانيكية
والمنتجات الصناعية ، المنازل والطرق والاحياء السكنية ، الضيوف
والخرافات عند الجزائريين ، المباني العمومية والؤسسات الدينية ، حالة
العبيد المسيحيين هنا في زمن الاسترقاق ، التجارة ، حياة البدخ في الجزائر
وأثره ، مجتمع الوكلاء الاجانب ، سهول متيجة ، الموازين والمقاييس .

اسم الجزائر بالعربية معناه « جمع جزيرة في البحر » ، وهي تلقب
ببحرية ، والمدينة هي مركز الثروة والسلطة لهذه الامبراطورية العربية
ففيها توجد دور الصناعة التي تحتوي (بفضل مساهمات الممالك التي
تدفع الضرائب) على كل أنواع الدحائر العسكرية والبحرية . ولأن
الحرب الضرورية للهجوم والدفاع معا .

وهنا يقيم وكلاء الدول الأجنبية لتقديم خنوع دولهم أو للتآمر .
وهنا تعرض في بعض الأحيان الماطر المؤثرة لممثلي دول ، وبعضها كبيره ،
مشغلين بالسلال ويرعمون على القيام بالاعمال الشاقة في المحاجر لكي
يستدروا عطف ساداتهم البطي .

يقول الدكتور شاو ان مدينة الجزائر تقوم في مكان « ايكوسبوم »
(Icosium) انقديمة (عرض 3648 درجة وطول شرقي 327 درجة)
في الطرف الغربي لخليج جميل يمتد في شبه دائرة على مافة 15 ميل .
8 و 60 قامة (1) وله مهد جميل من الرمل الناعم .

وبنقعات باهضة وأشغال جبارة ، أمكن وصل الجزيرة الصغيره التي
أشتق منها البلد اسمه ليايسة ، وعلى المر المرتفع على مستوى البحر
ويجمع بين ايايسة والجزيرة تقوم سلسلة عظيمة .لقدر . والى جانب ذلك .
يحيط بالعناب الجنوبي للجزيرة رصيف يبلغ عمق امتداده في البحر
حس قامات (1) والميناء مرسى مأمون من الرياح وينسع لحواشي
خمسئ سفية .

وجميع مافذ مدينة الجزائر تحميها تحصينات منيعة مسلحة بالمدافع
الثقيلة التي تجعل كل محاولة مباشرة للسفن الحربية للهجوم على المدينة

(Fethom) - - مقياس لا يوجد بمقابلة بالعربية ، وهو يساوي 6 اقدام .

محاولة ميؤسا منها ، متى كان المدافعون يستمتعون ببراعه عاديه وبميزمه
معتولة .

ولقد دل الهجوم البحري المشترك الذي قام به الأسطول الهولندي
والأسطول البريطاني في أغسطس سنة 1816 على اخذ الأدنى من القوة
التي يجب أن تتوفر لمثل هذه الغاية .

ومند ذلك الهجوم بي وكر ينس ست وثلاثين مدفعا ثميلا على رأس
المر الذي يمتد في البحر والذي يحتضن الموقع الذي احتله أسطول
الكسموث وكذلك يبدو من الثابت الآن أن هجوما من نفس النوع
سيحبط ويصد ولا محالة . ولكنه نظرا لأنه من الممكن أن ترسو السفن
أحرية في الخليج خارج نطاق مرمى المدافع الجزائرية ، فإن قصف المدينة
من بعيد قد يقدر له النجاح التام .

ومدينة الجزائر مبنية على شاطئ البحر على قاعدة واسعة نيبا في
شكل نصف دائري على عتبة سريعة الانحدار ويبلغ قطرها نحو ميل
ونصف ، وتحتوي على ما يتراوح بين 8 و 10 آلاف منزل .

وطرق المدينة ضيقة جدا وسقوف المنازل متقاربة الى حد يمنع شعاع
الشمس من الدخول اليها ، وكذلك يمكن إقامة اتصالات بين مختلف
أحياء المدينة بواسطة سطوح المنازل .

وحول المدينة ترتفع أسوار تعلوها حصون وأبراج ، ووراء الأسوار
خندق حاف .

وللمدينة أربعة أبواب وليس لها صواحي ، وإذا مددنا قليلا الى الامام
خطيها الشمالي والجنوبي ، فستخذ مع قاعدتها شكل زاوية غير منتظمة .
والقصة تشرف على المدينة من قمة ضيقة ، وتلعب أوكار المدافع المسددة
الى البحر .

ان جميع الذين وصفوا هذه المدينة قد بالغوا ، فيما يبدو لي . و
تقديرهم لعدد سكانها . لقد قدر الدكتور شاو عدد سكان الجزائر سائة
ألف ، ولكنني حين أقارنها بمدن أخرى أضع عدد سكانها في حدود
خمس إلى ثمانية .

وإذا نظرت الى مدينة الجزائر من البحر ، فستبدو لك في شكلها ولونها
أشبه ما تكون بشارع مدينة ينتشر في مرج أخضر اللون ، والجبل المثلج
عليها والأراضي المزروعة المحيط بها والتي تغطيها منازل بيضاء ، وبعضها
من المباني الفخمة ، تترك في نفسك انطباعا ، وأنت تقترب منها بأنك تشاهد
واحدا من أجمل ما يرى على شواطئ البحر الأبيض المتوسط .

وانطلاقا من رأس كازارين حتى المدينة توجد طريق معبدة تسير
موازية لخط الشاطئ عند أقدم المصب ، وهذا الجانب من الشاطئ
صخري وشديد الانحدار ، ولا يوجد فيه مرفأ مأمون . وعلى اليمين
ترتفع جبال بحددة ، وعندما يقترب المسافر من المدينة يعترضه مصيق
يصل الى البلد وتوجد فيه عدد من المنازل الجميلة . والمواقع التي يتزل
الناس فيها من السمن تشرف عليها وتحميها مجموعات من المدافع .

ومن المدينة حتى مصب نهر الجيراشي ، تمتد طريق جيدة تسير موازية
لخط الشاطئ ، وهذه المنطقة التي تشكل جزءا من الخليج تغطيها رمال
ناعنة .

وعلى يمين هذه الطريق يمتد سهل خصب ، على مسافة ثلث أو نصف
الميل ، ترتفع في نهايتها هضاب متوالية بسرعة .

وهذا السهل كله مأهول بالسكان ويوفر كثيرا من الخضروات التي
تستهلكها المدينة .

والمواقع التي تقف عندها السفن مى كاد الجو حسا كلها مع بح
مراقبة المدفعية المثبتة فى قلاع وحصون مهية .

ومن مصب نهر اخراش حتى رأس تصوست (Cap Tamanfoust) «
بلغ المسافة حوالي سبعة أميال ، وهذه المسافة تضم القسم الشرقي كله
من خليج الجزائر .

والشاطيء فى كل امتداده جميل ويقطيه رمل قاعم ، وبعد الشاطيء
يرفع الأرض ارتفاعا سريعا يتراوح بين 30 و 40 قدما لتبلغ مستوى من
الأرض ، هو امتداد لسهول متيجة .

ومن باب الوادي ، أو الباب الشمالي لمدينة ، يسير طريق مواز لخط
الأسوار الشماليه للمدينة . حتى يصل الى الراوية الجنوبية الغربية للقصبة،
والمأشى بواده فى هذه الطريق يحتاج الى عشر دقائق لمطما . ومن هناك
الى قصر الأمبراطور ، بعد طريق وعرة ، ولكن بعض أجرائنا معبد ،
على مسافة نحو ميل .

وقصر الأمبراطور عبارة عن مبنى دي أضلاع غير متساوية ، ويحتوي
على حصن دوره حوالي 500 ياردة وسيطر على مدينه الجزائر . انه
لا تحيط به خنادق ولا ممرات مخأة ، كما انه لا يملك تحصينات متقدمة
الى الإمام ، وأسواره المبينة بالطوب المكوى تبلغ فى بعض جباهه ارتفاعا
هائلا لمائة قدم . وفى اجنابات الأخرى تكون هذه الأسوار أقل ارتفاعا ،
ودلك طبعا تماوؤ مستوى الأرض التي يقف عليها هذا الحصن . وأسوار
الجنوب الغربي لا يزيد ارتفاعها عن عشرين قدما .

وعلى يمين الطريق المؤدية الى القصبة ، ترتفع هضاب تشرف على هذا
الحي مباشرة على مسافة نحو 300 ياردة . ومن الجانب الغربي تشرف
على الحصن هضاب أخرى وتقف وراءه على مسافة نحو 250 ياردة .

ومن قصر الأميراطور الى سيدي فرج ، تمتد طريق على مسافة نحو
تسعة أميال في أرض زراعية حصبة من أجمل ما تشاهده العين ، وهذه
لمنطقة تومر أرضا صالحة لماورت المدفعية .

وهذه الطريق سكها على متن جوادي واساعه في يدي في منزه من
الرمم ستعرت ثلاث ساعات ، وقد كما خمسة عشر شخصا وكنا نسير
في غير عجلة ، وعلى جبات الطريق كانت تقابلنا ها وهالك عبور ثرة
تفصل بين ابواحدة والثانة منها مسافة نصف ميل على أكثر التقدير .

ولكن لطريق بعد العين الأخيرة تتحد نحو سيدي فرج اتجاه
شمالا عرييا في أرض لا أشجار فيها تمتد على نحو ثلاثة أميال . وهذه
الأرض رملية وتغطيها الصخور .

وضريح سيدي فرج ولحصن الصغير الذي أقيم للدفاع عن مطلقه
يقف على شبه جزيرة صخرية ومرتفعة نوعا ما . وهذه المنطقة يمكن
تحصينها واتخذها قاعدة عسكرية عظيمة القيمة .

وعلى الشاطئ الذي يتصل بشبه الجزيرة تجري عين ثرة عذبة المياه
في حوض كبير مصوع من الصخر ، حيث يسمى المكان المجاورون
للمسطة مواشيههم ، ونحس في هذه أجوله شاهدنا عددا كبيرا من القطيع
لتي يحرسها العرب .

كان نزول الجنود في جميع الحملات العسكرية التي شنت على مدينه
الجزائر من البحر ، يتم في الحاف الشرقي من الخليج . وهذه ، بالتأكيد ،
علظة لا تقدر ويعود الى جهن شاميه البلد وطبوغرافيته ، حيث ان
جميع وسائل الدفاع قد ركزت في هذه المنطقة .

انه لمن الواضح أن جيشا يمكنه الترول في خليج سيدي فرج الجبل
دون أن يجد عقبات يذكر . ومن هناك ، يمكنه في مرحلة واحدة أن يصل

الى الهضاب التي تسيطر على موقع قصر الامبراطور (2) ، وعندئذ سوف لا يجد عائقا في طريقه نحو هذا الحصن والاسيلاء عليه بالقوه ، وذلك اما بتسلق أسواره أو باستعمال الألقام لسفنها .

ومى سيطر الجيش على هذا الحصن وثبت مدفعية قوية في الهضاب التي تشرف عليه ، أصبح يسيطر على الموقف والهضاب المشرفة على الحصن من السهل التعرف عليها في خرائب طاحونين بالرياح تحدد كل منهما شكلا أسطوانيا ، وخرائب قلعة كانت تسمى « سطاو » . ولكنها لم تعد قائمة ، بسبب مخاوف الحكومة من عواقب بقائها حيث أنها في موقع يسيطر على حصن الامبراطور ، ودلتاي ، على المدينة .

وانزال قوات في سيدي فرج لا بد من أن يرافقه ظهور قوات بحرية في وسط الخليج لسمويه على العدو . وعقب ذلك نستسلم المدينة أو تؤخذ عنوة بالقوة .

وفي الأوقات العادية تتكون ابحامية التركية في الجزائر من عدد يتراوح بين 1500 و 4000 رجل . ومعظمهم من الجنود لمقدمين في السن والجنود الحديثي التجنيد والذين يجري تدريبهم للخدمة الوطنية .

والى جانب الادارة التركية العامة التي مقرها العاصمة ، توجد حكومة محلية تشمل شيخ ابلد ، أو الحاكم المدني ، وكاهية ، أو قائد المليشيا في المدينة ، وقول أعا ، أو مدير الشرطة الذي تشمل ادارته مراقبة الحمامات ومنازل الدعارة . وجميع الموظفين في هذه الادارة من الأهالي . وانا أعتقد أنه لا توجد مدينة أخرى في العالم يبدى فيها البوليس نشاطا أكبر

2 المدير بالتدريج أن الطريق التي يسميها المؤلف هي التي ملكها الجيش الفرنسي لاحتلال الجزائر في سنة 1830 ، ونحن لا نشك في أن القيادة العليا للجيش المعزى قد استمات بهذه المعلومات وغيرها مما ورد في هذا الكتاب الذي كان شارل الماسر قد أمر بترجمته من قبل ، أثناء زحفها للاستيلاء على مدسة الجزائر .

ما تبديه الشرطة الجزائرية التي لا تكاد جريمة نفلت من وعابنها . كما انه
لا يوجد بلد آخر يتمتع فيه المواضع ومسلطته بأمر البر (3)
وسيجة لاستمرار الرخاء والرفاهية في الجزائر سنوات موابله . لعدم
ثروة كبيرة في عدد من العائلات . خصوصاً بمصل محالهم ومما هم
للأثر الك .

والواقع انه اذا كانت السلطة اسياسية قد تركت في ايدي الأبرار .
فان الثروة التي حصلوا عليها بحور تدريجيا الى العائلات الكثرة من
الاهلي . وهذه العائلات . بصفه عامه . لا يعرض لها الأبرار بالادى
والاهانة لا في الددر .

وحظوظ التركي وترويه شيء محضوف بالحصر سنوات حياته . ١٩٠٠
الأهلي ليس له الحق في أي حبيب سامي . ودوره في حبيب اسوات التي
نفع في ابلد دور سبي ذات . وبالتالي . فان ترويه محضوف . ١٩٠٠
هي في أي بلد آخر .

ومن كل ما تقدم ، يجب أن نستخلص أن مدينة الجزائر تعتبر من احدى
مدن العالم بالمار .

توفيت أرملة أحمد باشا (وهو الهادي الذي عقد المصاهد الأولى مع
لولايات المتحدة) عن سن متقدمة جداً ، وشاع القول بأنها خلفت ركة
بلغ عدة ملايين من لدولارات .

وورثة مصطفى باشا ، خلفه ، انذي تدفع لهم الولايات المتحدة ايجار
المرى الذي يشمه قصلها . يتكون في مدينة الجزائر وخارجها ثروته
تقدر بنصف مليون دولار .

3 - وكذا على شقة البوليس وشؤون وقاية الشرطة الجزائرية ، أسس هذا الحادث
الناحية : أعرف شخص وجلا يملك منزلاً في المدينة ومنزلاً جديلاً يقع بجانب منزلي
في أرباب ، وبخاصة رجل يتمتع بثروة وجاه ويمكن أن يعتبر من الطبقة الراقية
التي تسمى بالليل وفي وقت متأخر فاقطعوه الى مقر الإله وجعل هناك مائة جندة .
هاتش المؤلف .

ومع ذلك ، فإن أحمد ناشا ومصطفى قد قتل كلاهما علانية .

واحصارة لسببها التي سود في هذا الجزء من بلاد البربر . يعود .
بعد سقوط الامبراطورية الرومانية ، الى الصبح العربي . والموارد التجارية
التي سمع بها افريقية ، كانت السبب الذي أدى الى انشاء عدد من المدن
والى استمرار عمران عدد آخر على هذه الشواطئ ، اني نبحث عبثا لمعرفة
أصل سكانها ، بسبب عدم وجود أية سجلات تاريخية فيها . ومدينة
الجزائر لا تستثنى من هذه القاعدة ، وليس لها أي تدرج يميزها عن باقي
مدن بلاد البربر ، قبل العرو الروماني . وسكانها عبارة عن حيط من
العرب والبربر ، وبقايا الأجناس التي غزت هذه البلاد عبر العصور .
والمهاجرين من الأندلس والأبراك . وهذا الاختلاط له ميره عظيمة فيما
يبدو ، حيث أنه لا توجد سوى شعوب قليلة في العالم تفوق سكان
الجزائر في الجمال . وملاحظهم بصفة عامة ، قوية التعبير ، وألوانهم
ليست أغنى من سكان جنوب اسبانيا .

والأجانب قلما تتاح لهم الفرصة لرؤية امرأة عربية ، ولكنني ، استنادا
على الفرص العارة التي أتيت لي لرؤية بعض النساء ، وعلى أفواه
السيدات الأحييات اللاتي يقمن هنا ، واعتبرا لجمال أطفال الجزائريات ،
أعتقد انهن يستطعن مدسة نماء أي مد آخر في العالم . والميزة الأولى
للرأة الجزائرية ، هي جمال القامة واعتدالها ، ويأتي بعد ذلك جمال
العينين والحواجب الكبيرة والأسنان الجميلة . ولكن نوع الجمال الذي
يروق الناس هنا هو جمال المرأة السمينة .

ولرأة الجزائرية تصل الى النضوج في وقت مبكر ، ويحدث كثيرا
أن تتزوج في سن الثانية عشر ، ولكنها تذبل بنفس السرعة ، وقد بلغني
أن المرأة الجميلة يبدأ جمالها في الزوال في سن الخامسة والعشرين وانها

عد هذه السن كثيرا ما تكون حدة . وربما كان السب في هذه الظاهر .
يرجع الى الافراط في استعمال الحمام البخارية .

ولمعلومات التي وصلت اليها منذ العصور العابرة تنهم سكان هذا
البند بعدم الاستقرار والخدع ، وهذا الاتهام قد يوجد ما يبرره في الوقت
لحاضر ، ولكن هؤلاء ، لسكان أبعد ما يكونون عن البربرية التي يصف
بها البعض الجزائريين فاز في سلوكهم لابعه ومجمله . وأن قد وجدتهم
في المعاملات اليومية دائما مهذبين ومنمدين واسابيين ، وأنا لم اكشف
فيهم حتى أعراض التعصب لديني أو الكره للأشخاص الدين لا يدينون
بين آخر غير دينهم . انهم يدينون بالاسلام ويقومون بكل مواضبة
واحلاص بالواحات التي يفرضها عليهم دينهم . ولكن بدون مبالغة
أو تصنع ، ولا يصرون عداوة للأشخاص الدين يسلكون طريقا آخر
بحصول على رضا الله .

اني أعرف جيدا أن هذه الصورة التي أرسمها للجزائريين لا تتفق مع
الصور التي رسمها لهم كتاب آخرون ، وأنها تناقص الرأي العام الشائع
(في أوروبا وأمريكا) عنهم ، ولكن هذه الآراء تختلف كثيرا عن الحقيقة
كما شاهدتها بعيني خلال اقامة طويلة وكما هي في عضون الحسين عما
الناصية .

اذ كاتبنا كبيرا من المعاصرين ، وهو اللورد شيفيلد **Sheffield**
يعبر قوة جزائر عنة لا يمكن التغلب عليها في طريق التنمية والرخاء
وازدهار التجارة البحرية الأمريكية ، وابوثائق الرسمية تدل على أن
حكومة فرنسا قد لمحت في عدة ماسسات الى استعدادها لاستخدام
هودها لدى دول المغرب لحميلها على الدخول في مفاوضات مع الولايات
المتحدة الأمريكية .

وأي شخص يعرف بلاد المغرب معرفة جيدة سيحسّر بالاشمئزاز والسحرة والاحتقار لهذه الأموال . لأنه من المعلوم أن الدول لبحرية الأروبية قد انتجأت الى أخط الوسائل وأوصعها لتدعيم ما تسميه بمفودها ، وأن شعبا مستقلا ليس لديه ما يرجوه من صداقتها كما أنه لا يوجد لديه ما يخشاه من عداوتها ، هنا في الجزائر .

ونحن نستطيع أن نرجع التحسن الذي طرأ على شخصية الجزائريين الى عدة أسباب .

فهي المكان الأول يوجد نظام للحكم أجنبي يقوم على حق الغزو ، وهو ديمقراطي بين الغزاة ، ولكنه أريستوقراطي بالنسبة الى الأهالي ، وهو ، على كل حال ، يسهر على تطبيق العداة . فان مثل هذه الحكومة يجب أن تكون يديها قوه معتبره لكي تتمكن من دفع ميول لوميديين الى الرذيلة ، ووضع حدود لسلوكهم ، وإلزامهم بحساب الاعتدال واللياقة .

وفي المكان الثاني ، كان لازدهار التجارة التي تخفق الأحقاد الوطنية والدينية أثر لا ينكر في تغيير الشخصية الجزائرية . ونحن نذكر أنه توجد هنا عدة شركات عربية شكلت بصنة قانونية وسمع بثقة في الخارج تسعى للمحافظة عليها بالمعاملة الحسنة والضيافة الكريمة والثقة لكاملة لمقابلة بالمثل لما لقيه وكلاؤها في الخارج أثناء أسفارهم وتنقلاتهم .

وأما حالة المعلوم ، فان مما لا جدوى فيه الحديث عنها ، حيث انها غير موجود ، أو هي ، متى كانت موجودة ، محتقرة بل ان علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه ، هذا اذا استثنينا المشعوذين وكذب الحروز .

وبعض ارباس والقادة البحريين وربابة السفن تعلموا من الأجانب تحديد العروص وفاموا بترجمة الجداول الفلكية الى العربية ، وهم يستعملونها لهذه العمليات في البحر الأبيض . ولكنهم حينما يجنازون

مصيق حين طارق للملاحة في المحيط الأطلسي ، يضطرون الى الالتجاء
لأول سفينة مسحية تصادفهم ليعبر لهم بحاره يوجهونهم حتى يعودوا الى
البحر الأبيض . ان القرآن هو كل علوم هؤلاء لقوم وآدابهم .

ومع ذلك ، فان مدينة الجزائر تملك كثيرا من المدارس العادية التي
تردد عليها الأطفال منذ خمس سن لخمسة واسباسه ، فصاعدا ، حيث
يتعلمون القراءة والكتابة . ونظرا لأن الأمور لا تتطور بسرعة في هذه
البلدان ، « أميل الى الاعتقاد بأننا مدينون للعرب بالطريقة التربوية
التي تعرف عندنا باسم « الانكاستر » ، فكل تلميذ يحمل لوحة يمكن
اكتتابه عليها ومحو ما كتب بسهولة . وعلى هذه اللوحة تكتب بوضوح
سورة من القرآن ، ثم يقوم بقرينه اتلامدة بنقلها بعناية ، كل على لوحته
وبالتوالي ، وللمعلم الذي يعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يقوم بتعليم
ذلك لتلاميذ الآخرين . ويعلم المدرس بصوت مرتفع تنسيد كبير أو معلم
يجلس في مكان مرتفع (سده) ، وفي يده عصا يستعين بها لحفظ النظام
ولإثارة انتباه الطلبة .

وبهذه الطريقة يتعلم التلميذ في نفس العملية القراءة والكتابة . والمرجح
أن الفضل يرجع الى هذه الطريقة في وجود هذه الوحدة وحال الخط
العربي ، ويتم تعليم الجزائري عندا ينهي من حفظ القرآن ويعرف
اعرائض التي يعلمها به نفس المعلم .

وهذا النظام التربوي لا يكف الا شيئا قليلا من المال ، والبيات يتعلمين
في مدارس من نفس النوع شرف على ادائها نفس .

وأنا أعتقد أن هذه الشعوب تجد نفسها عند مولد الحضارة ، وأن
الامر لا يحتاج لكي ينجوا ثمارها الا الى نظام حكومي أقل معارضة من
الناحية العملية والنظرية لروح النمو والتقدم البشري .

ولباس الجزائريين يتكون من عدة قطع ، بعضها باكمام والبعض الآخر بدون اكمام ، مفتوح في الصدر ومزين بأزرار وزخارف . وبعد ذلك تأتي سراويل قضاضة ينزل حتى ربة الساق . وكثيرا ما يلبس الرجل حزاما يلمه عدة مرات حول وسطه ويلقى عليه « يتجانا » أو مسدسا ، ويصع في طياته أيضا ساعته ومحفظة نقوده الح . ولباس الرأس هو العمامة ، والرجلين « البلعة » التي تمل ري الرجل الجزائري ، وأما الجوارب ، فلا يلبسها الا الشيوخ ، وفي حالة البرد فقط .

ونوعية الملابس تختلف باختلاف طبقات الناس وثروة الأفراد وفصول السنة .

وملابس الأتراك الكلوغيين عادة مبرقة بالقصب وبخواشي الذهب أو لفصة أو الحرير ، مبقا لفرور الشخص ونزواته . وشكل العمامة وثباياها ونوع المادة التي صنعت منه هي اقياس الذي يحكم عليه الناس بقيمة الرجل الذي يلبسها .

ومرن جميع ملابسه ، يلبس الرجل برنوسا يحميه على كتفه ويغطي به كل جسمه ، والبرنوس نوع من المعطف له شكل دائري يلبصق في وسطه « قلمون » يمكن للرجل أن يتركه معلقا بدون استعمال أو يعطي به العمامة ، وهو وسيلة للوقاية من المطر . والبرنوس يصنع قطعة واحدة بدون تخطيط ، وهو في هذا الشكل يتسم بالبساطة والأناقة معا . وتستعمل لنسج البرنوس صوف ناعمة بيضاء تمزج أحيانا بالحرير . وزخارفه وخواشيه أيضا من الحرير في بعض الأحيان . والبرنوس الذي يلبس في فصل الشتاء ويحمل في الأسفار له نفس الشكل ولكنه ينسج من خيوط أمتن بحيث يقي من المطر ، ويكون لونه أسود .

وفي رأي الدكتور شاو أن البرنوس اذا حرد من « القلمون » يمثل المعطف الروماني « باليوم » (Pallium) وبالقلمون ، وهو المعطف

« لجرلي » المسمى باردو كوكولوش (Bardo cuculeus) وجميع الجزائريين
لذين تسمح حالتهم المالية بلبس الملابس اداخليه . ولكن سكان
الأرياف يرون فيها نوعا من ملابس الترف .

واحديث كل مند احياء لا نعلمها ذكره التاريخ لباس الليبيين . وهو
وملابس سكان الأرياف عباره عن نوع من الحايك وسراويل صقعه
نوع ما وعمامة ، أو قلسوة حمراء مصنوعة من الصوف (الشائبة)
ومده اقنصوات تصنع في تونس التي اشتهرت بهذه الصناعة . ولكن
بعض البهائم الأروبية تقلد هذه الصناعة وبيعته بشحنات كبيرة
لتسليمها في الجزائر .

واحديث كل مند احياء لا نعلمها ذكره التاريخ لباس الليبيين . وهو
يشع من الصوف . و هو يوصف في المطوب وبوصتان في العرص
ومن المفضل أن يكون هذا هو اللباس اندي يسميه الرومان « طوجة »
ونقد أتبع لي أن أناهد في روما أو في المتحف الملكي في نابلي
تشلا بالامراطور اعطس في ثوبه لامبراطوري ، وهو ينسبه كل شبه
الحايك الليبي والعزغري

والعرب يلبسون الحايك ، كما يلبس الهنود الحمر السطانية ، وكلا
الملبسين يعمل لنفس العرص . معطف في اسفار وعطاء بالليل . ومع
ذلك . يحب الاعتراف بأن الحايك لباس غير مريح ، لأنه يحتم على
الذي كان الرومان يفضلون من أحله الاقامة في الأرياف ، انهم
يستطيعون هناك التخلص من « طوجه » . وأنا أهم ذلك بسهولة ،
إذا كان ذلك الناس حقا يشبه الحايك .

وسمى الحايث يخلف بأحلاف بوعه . وهو يصنع من الحرير أو من الصوف الأبيض . أو من الصوف الأحمر . ومسمى استعمال الحايث عطاء للفرائس ، فإنه لا يوجد ما هو أفضل منه لتوفير الدماء . على حبه ورنه .

ولباس النساء العربية ، بقدر ما أمكني ملاحظته ، يتكون من قميص صغير يصنع عند نساء الطبقة الغنية من أرفع المواد وأفخرها ، ومن سراويل ينزل حتى العقب . وثوب من الحرير أو من مادة أخرى ويكون غنيا بتطريز بالدنتيل ويعلق بسريط من الورداء . وأخيرا تلبس المرأة لجزائرية حذاء ، ولكن بدون جوارب .

والمرأة الجزائرية تعني عناية خاصة بشعرها ، وكثيرا ينزل شعر امرأة جميلة حتى يصل الى الأرض . والمرأة الجزائرية لا تمنع بالجمان الذي وهبتها الطبيعة لشعرها ولحواجبها ، فهي تعمل على صبغها بالأسود كما تصبغ بطلاء خاص أصفر أصعب المديهن وكذلك يصبغن بالحناء أكفهن وأقدامهن .

والمرأة الجزائرية تلبس الحللي الشفيل ، بما في ذلك خواتم وأقراط الذهب وأساور وخلخل من الذهب والفضة . والمعدن الشائع في الطبقات الغنية هو الذهب ثم تزل ساء حسب طبقتهم الى الفضة ، بن والشماس أحيانا . ولباس الرأس القومى هو « اسرمة » الذي يصنع من الذهب أو الفضة حسب لطبقه التي تنتمي اليها المرأة ، وهو مخروطي الشكل . وفوقه يلقى حجاب شفاف كتيف أو خفيف التطريزة .

هذا بالنسبة لى المرأة ، وأما الفتاة غير المتزوجة فتزدي على رأسها ، بدلا من ذلك ، قلنسوة عادية مطرزة بسكويات (4) . والفتاة غير المتزوجة

4 - (Sagum) دعب ايطالي كانت العملة انضوية منه متداولة ل مختلف الدول الايطالية ، كما كان شائعا في تركي والجزائر .

تعرف حالتها عندما تخرج من بيتها براويلها المتعدد الألوان ، وهو لباس يبدو أن أصله يرجع الى أقدم عصور التاريخ .
» انها ترتدي ثوبا متعدد الألوان .

» وهو ثوب بنات الملوك وحلية الأبرار .

وهذا الثوب يغطي حايك من النوع اندي تفتصيه الظروف ومي مسمرت المرأة الجزائرية اى الخارج ، ترتدي حايكا أبيض يغطي جسمها كله ، من الرأس الى العقب ، بحيث تبدو وكأنها شبح متحرك .

وناء الطقة الراقية لا يخرجن الا قليلا ، أو قل ، ابهن لا يخرجن اطلاقا . وعلى الرغم من أن هذه السيدات يعرضن للوم أزواجهن على السبرج والتبذير ، مع بقائهن في عزلة ، فان من الممكن الاستساح بأبهن يمارسن نفوذا غير قليل في المجتمع . ومن يدري ؟ فربما يعملن في صمت على تهيئة الرأي العام ليعيد لهن الحقوق التي حرمن منها الجهل والتقليد الصارمة .

انه لا يوجد سوى عدد صغير من الجزائريين الذين يستفيدون من ترخيص الاسلام لهم بالتزوج بعدد من النساء . فان لقاعدة العامة هي أن الرجل يكتفي بامرأة واحدة تلحق بها عدد من الاماء يختلف باختلاف مركز الرجل الاجتماعي وثروته .

والقاعدة المتبعة في عقد الزواج ، هي نفس التي يسير عليها المسلمون في كل مكان ، ولكن سابع الحكومة وأوصاع الطبقات الراقية التي ظهروا في ظل هذه الحكومة ، قد أدت اى ثورة في صالح المرأة . فهل من المطلق الافتراض أن وارثة لثروة كبيرة ، تسلم ، كما تسلم الاماة ، لنزوة أي بربري يقبل على الزواج منها ؟

وهذه الاعتبارات وغيرها يحتوى عقد الرواح عادة ، على شروط على مستوى من المساواة مع الرجل الذي يتزوجها ، أو على الأقل ، نعيمها من معاملة عسفية ، أنه سيكون من الخط من قيمة هذه السيدات الافرناس بأنهن لم يدخلن تحسينا على هذه الفوائد لي حصلن عليها . والواقع أن أثر هذه الفوائد قد زاد واتسع تدريجيا وقد نجم عن ذلك أن المراه العربية لا تزح في هيود العبودية لزوجها أكثر مما تزح تحت ثقل العادات والتقاليد الموروثة .

ويحري تخطيط ازواج وعقده بواسطة الأمهات والعلاقات السوية التي تسعى بين طرفين . واسماء اجزائيات يتفقن اما في الزيارات المتبادلة في المنازل أو في الحمامات العمومية التي يترددون عليها كثيرا والتي تفتح أبوابها في فترة ما بعد الظهر للنساء فقط .

وفي هذه المساسات تلتقي القرية بالقرية والصديقة بالصديقة عدة ساعات متوالية ليستغرق في حديث المنع ، على حساب أزواجهم الذين يطردون من منازلهم ، أو يجنبون وراء الأستار الكثيفة في إحدى زوايا المنزل حيث لا يرون أحدا ولا يسمعون شيئا ، ليمسحوا المجال للمصاة المرحمة !

والخبز ولحم الصان والدجاج والسماك والحليب والزبدة والخمر وزيت الزيتون والزيتون والفواكه والخضروات والكسكسي الذي يصنع من عجينة تشبه العجينة التي تصنع منها المقاروة ، تشكل الأوعية الرئيسية لسكان بلاد ابربر . والكسكس يمكن يمكن اعتباره الصحن القومي ، وهو بمثابة المقاروة في إيطاليا والأرز في الهند .

والكسكس يمثل حبات صغيرة عادة ، في قصعة مصنوعة من الخشب ثم يوضع في « كسكاس » ويطهى بخار ، وقد يرفق بالمرق والحضروات ،

أو يقدم بالبيض المسلوق أو بأعشاب حلوة الخ . ، والكسكس لذيق
اطعم ومغذ جدا . والطبقة الفقيرة التي لا تستطيع شراء اللحم تحضره
بزيت الزيتون وأمدھونا بالزبدة . وأما طبقة العمال ، فهي تفتنح بالحبز
والزيت متى أمكنها الحصول عليه .

والجزائريون لا يستهلكون الا قليلا من لحم البقر ، وهم قلما يذبحون
بقرة ، ولا يذبحون عجلا أبدا .

وفي أجود الفصول التيكثر فيها العشب نعمل كثير من العائلات
اجرائية الى دبح ثور أو ثورين ويقطع لحمه ثم تجففه في الشمس .
وبعد ذلك يغلّى في الزيت ثم يحفظ في أواني ويسطى بالزيت أو بالسمن
لاستهلاكه في وقت آخر .

والقهوة هي مشروب اترف لهذا الشعب الذي لا يتناول الخمر ولا
يشرب سوى الماء انقراح .

والشعب الذي لا يملك أدء ولا فنا ، لا يجد أمامه كثيرا اللهو
والتسلية .

وفيما يتعلق بالرجال ، توجد المقاهي ودكاكين الحلاقين ، أو مزاولة
نوع من أنواع لتجارة أو العناية بالحدائق المنزلية أو محاولة تحسين
المنزل الريفي لم يسلكون مسزل في الريف ، فهذه الأشغال توفر وسيلة
لتزجية الوقت واخراج من الحياة ارتيبة التي يعيشها الناس .

وأما النساء ، فان وسيلة التسلية الوحيدة التي في متناولهن ، هي تلك
البقعات التي تقع في احمام لعمومي أو الزيارات المتبادلة والاجتماعات ،
ولا سيما بماسبات الزواج والميلاد والعُتان الخ .

والاقامة في الريف لا تشل أية فائدة بالنسبة اليهم ، فما عدا التمتع
بانهواء النفس ، لأن لعادة نلزمهم ، هناك أيضا ، البقاء بين جدران المنزل
الأربعة ، مثلما هي الحال في المدينة .

والمفروض أن العرب (5) يملكون عقيرة أصيلة في الموسيقى ، ولكسي
اعرف بأني عاجز عن اصدار حكم في هذا الموضوع ، ولكن ما أستطيع
أن أقوله هو أن لعرب لا يعتنون بتدريس الموسيقى بوصفها علما ،
وذلك على الرغم من أنهم يعزفون على عدة آلات يرحح أنهم هم الذين
اخترعوها .

واليهود الذين توجد منهم نحو 5000 نسمة في مدينة الجزائر يتمتعون
بحرية تامة في مدرسة عقائدهم الدينية . وهم يخضعون لقوانينهم الدينية
في الأحوال لشخصية ، كما تتولى ادارة شئونهم رئيس من أبناء الطائفة
يعينه لداي . وبوصفهم رعايا حراثيين يتمتعون بحرية في النقل والاقامة
حيث يرغبون ، ومدرسة المهنة التي يرونها في حدود القانون في جميع
أنحاء المملكة . واليهود غير قابلين للاسترقاق

واليهود يدفعون اجزية وضحي انضرائب الحركة المستحقة على
جميع أنواع بضائع المستوردة من الخارج . وكما هي عادتهم في بلدان
أخرى ، يمارسون جميع فروع التجارة ، وهم يحتكرون في هذا البلاد
السفرة وأعمال المصارف وتبديل العملة . وكذلك يوجد عدد كبير من
الصيارفة بينهم ، وذلك في الذهب والفضة على السواء . والحكومة
لا توغلف سوى اليهود لصك النقود .

5 - مترجم كلمة Moors بكلمة « العرب » ونتمسك بذلك مجموع السكان الاماني
من غير الاراك والاجانب ، مع ما في ذلك من التجاور ، لأن كلمة (Moors) (moors)
بالفرنسية (كان يطلقها الرومان على البربر في شمال افريقية ، ثم أصبحت تطلق في
المصور الوسطى على العرب الذين فتحوا الأندلس)

واى جاب حرمانهم من بعض الحقوق ، تتعرض الطائفة اليهودية في الجزائر لكثير من الاضطهاد ، فان اليهود غير مسموح لهم باستاومة أي نوع من العنف يمارسه مسلم عسهم وهم مجبرون على لبس ثياب بيضاء أو سوداء ، وغير مسموح لهم بركوب الحيل ، أو بحمل أي نوع من السلاح ، بما في ذلك العصا . ويوم السبت ويوم الاربعاء هـ اليومان الوحيدان المسموح فيهما لليهود بالخروج من أحد أبواب المدينة بدون ترخيص خاص . ومتى اقتضى الأمر القيام بأعمال شاقة وغير متوقعة ، فان أنظار السلطة اسـ تتجه اى اليهود ليفوموا بانجارها .

وفي صيف سنة 1810، زارت هذه البلاد جحافل الجراد التي دمرت كل ما مرت به في طريقها من كل ما هو أخضر . وبهذه المناسبة صدرت الأوامر اى عدة مئات من اليهود للخروج لوقاية حدائق السداي وبساتينه اشخصية ، حيث اضطروا للعمل والحراسة بالليل والنهار ، ما دام الجراد يميث هادا في البلد .

وفي عدة مناسبات قامت كئات لانكشارية بنهب ممتلكاتهم بدون تمير . وكذلك يعيش اليهود في خوف دائم من تجدد هذه الحوادث ، والأطفال يطردون ايهود في الطرق . وحياة اليهودي كلها مدلة واهانة واعداءات .

وأبناء ينفون يتحملون كل هذه الاهانات بصبر أيوب ، فهم قد تعلموا الخضوع والخنوع منذ نعومة أظفارهم ويتدربون على ذلك طول حياتهم دون أن يجرؤوا حتى على التذمر لمصيرهم .

ولكنه على الرغم من جميع هذه الظروف المثبطة للزائم ، نجد أن ليهود الذين يتراسلون مع يهود آخرين يقيمون في الخارج ، هم الطائفة الوحيدة من السكان التي لها معرفة صحيحة بالشئون الخارجية . وهم

يعملون في مختلف أنواع المؤامرات التي يقامرون فيها . أحيانا ، بحياتهم ، والتي بقي حقه فيها بعضهم في عدد من المرات .

ومنصب رئيس الطائفة اليهودية إنما يحصل عليه صاحبه بارتشوة وانتامر ، وهو يمارس وظيفته بقمع واضطهاد يساوي ما يفقه من المال والجهد للاحتفاظ به . لقد وصلت بعض الشركات اليهودية في أوقات الرخاء في الأمانة الى قمة الثروة وارفاهية ، ولكن عددا من الأثرياء اليهود قد تدهورت أحوالهم في الأعوام الأخيرة وأصابهم الافلاس ، أو وجدوا طريقا للهجرة ، بسبب ما حل بهم من اضطهاد لا يطاق . وفي نفس الوقت يحل محل التجار اليهود كل يوم عرب ممن يتمتعون بالذكاء والبراعة في التجارة ، في مخنف فروع الأعمال في البلد .

وكذلك يبدو الآن أن الطائفة اليهودية في تدهور مستمر ، وهذا يصدق على عدد أفرادها أيضا .

ويبدو لي أن الطائفة اليهودية في الجزائر حاليا تشكل واحدة من لطوائف اليهودية الأقل حظوظا وثروة في العالم .

وفما يتعلق بالسلوك والعادات وطرق المعيشة ، فإن اليهود الجزائريين ، يستثناء ما ذكر أعلاه ، لا تكاد تختلف طبقاتهم عن الطبقات المماثلة من الجزائريين ، وبالتالي ، فإن هذه الأمور لا تستحق مني العرض لها بالوصف .

ويهود الجزائر من جنس متين البنية حسن التكوين والبشرة ، ولكن حاله الذل البشع التي ولدوا فيها ويعيشون عليها تترك في وجوههم آثارا تميزهم عن غيرهم . وأنه لمن أندر الأمور أن تقع عين الإنسان على يهودي ذي ملامح نبيلة ، وهذا يصدق على الذكر والأنثى معا . ومع ذلك ، فإن سلوك هذا الشعب واستسلامه يبعث في النفس شعور الاحترام للألامه ، بل والشفقة عليه .

وكثير من اليهود المسنين ومن ذوي العاهات الذين يشعرون أن أجدهم
قد اقترب وأنهم لن يلبثوا أن تنصلوا عن ما يملكونه في هذا العالم .
يسمون كل ممتلكاتهم أورثتهم ولا يقولون لأنفسهم إلا على ما يسمح
لهم سد الرق في القدس التي يقصدون أنها ليعصوا هناك أنفسهم
الأخيرة .

لقد شهدت في سنة 1816 عددا من اليهود المتقدمين في السن وهم
يبحرون في آخر حرج لهم . على متن سفينة اسفوحرب خشيما لنقلهم الى
شواطئ سورية . ويقدر ويقدر مجموع عدد اليهود الذين يعيشون في
مملكة الجزائر حاليا بحوالي ثلاثة آلاف نسمة .

ان عددا كبيرا من سكان الجزائر هم من الأجانب الذين ينتمون الى
مختلف القبائل لافريقية المستقيمة عن حكومة الجزائر ، أو التي لا تخضع
لنزواتها . وأنشاء هذه القبائل تحميمهم بصوص اتفاقيات مكتوبة أو ضمنية .
وفي مقدمة هؤلاء ، الميزبيون والبسكريون . والقبائل العربية (لكبيرة)
أو أنشاء بلاد القبائل الذين ستحدث عنهم في فصل آخر من هذا الكتاب .

والفئة الأولى وإنشائية برعى شؤونهم وكل بلادهم مقيم في الجزائر ،
يلقب بالأمم ، وهو شبيه بالقبائل ، تعز به الحكومة وله سلطة على
مواطنيه سبه السلطة التي يستع بها رئيس الطائفة اليهودية .

والزوج يشكلون جزءا آخر من السكان ، ولو أنه صغير ، فهؤلاء
في الأصل ، من العبيد الذين اشترهم أسبادهم من داخل القارة أو من
طرابلس ، ولكنهم سرعان ما يحصلون على حريتهم باعتنافهم الاسلام ،
وهو عمل قلما يتأخر أحدهم عنه ، والمعروف أن الرقيق كان دائما هنا
من النوع الحفيف وهو أقرب الى أن يكون موعا من العمل في مقابل
العناية والحماية منه الى العبودية .

وإذا اعتبرنا عدد مؤيدي نصيرها . يمكن أن نستنج أن التفرقة
بعضه موجودة . هذا ما هو موجود في الولايات المتحدة الأمريكية ،
وذلك خصوصاً بين جدار اسود من أصل أبيض .

• محور سدس في حراريته في عدة سبيلات مهيبة . كما
هو الحال في دول الأونة . ومن سبيلته جميع سبيلته رأس يلف
الأمم . ومن سبيلته سبيلته مهيبة . وهي سبيلته مهيبة

وحراريته سبيلته مهيبة في النساء بالأحرى والأحرى . ويمكن
أن يكون ذلك سبيلته مهيبة من سبيلته من سبيلته مهيبة . ويمكن
أن يكون ذلك سبيلته مهيبة من سبيلته من سبيلته مهيبة . ويمكن
أن يكون ذلك سبيلته مهيبة من سبيلته من سبيلته مهيبة . ويمكن
أن يكون ذلك سبيلته مهيبة من سبيلته من سبيلته مهيبة . ويمكن
أن يكون ذلك سبيلته مهيبة من سبيلته من سبيلته مهيبة . ويمكن
أن يكون ذلك سبيلته مهيبة من سبيلته من سبيلته مهيبة . ويمكن

وأما سبيلته حراريته هي سبيلته حراريته حراريته حراريته
سبيلته . ومن سبيلته سبيلته حراريته من سبيلته حراريته حراريته
أن سبيلته من سبيلته 80 ألف دولار سبيلته . والمجبات الرئيسية
حراريته من سبيلته هي السبيلته والمقابل والأحرى ومن السبيلته
والسبيلته الذي يحرر مذهب وغير ذلك من السبيلته التي تستهلك مهيبة .

• هذه سبيلته الحراريته سبيلته سبيلته أعلى سبيلته من سبيلته من
سبيلته حراريته ولا يظلمه . ولكن السبيلته الحراريته أحل وأمن .
• حراريته حراريته . وعلى السبيلته . لا توجد سبيلته أروية فوق
السبيلته الحراريته في هذا السبيلته .

وكذلك نستعمل كيات كبيرة من السبيلته لتج الرانس والسبيلته
والسبيلته والسبيلته . وهذه السبيلته كلها تستهلك مهيبة .

ونسج الصوف شائع في كل عائلة في المملكة ، ولو أنه يجري بطرق بدائية والاتاج عادة يستعمل لاستهلاك أفراد العائلة . ولكننا نجد أيضا مصانع في جميع المدن وفي اقصى الكبرة لنسج الصوف (١٦) .

ونصنع في الجزائر أيضا أنواع رفيعة وجميلة من احصائر بحيث أنها شكل فرشاً للأرضية تشبه السجاد . وكذلك تصنع السلال في لريف ومن مختلف الأنواع للأغراض المنزلية .

وصناعة اعداد الجلود ودبها صناعة معروفة بكل أسرارها في هذا البلد . والجلود المدبوغة والمصبوغة على لطيفة المعرّية ، تبدو في هذا البلد فنية من درجة الكمال .

والمنازل في الجزائر مخططة ومبنية كلها على نفس الطراز . ووصف المنزل الذي أسكنه شخصاً سيعطي فكرة عن جميع منازل مدينة الجزائر ، التي لا تختلف الا في الحجم وقيمة المواد التي بنيت بها .

وهذا المنزل مربع ويبلغ 64 قدم من كل واجهة وارتفاعه 42 قدماً . وثمة عبارة عن الطابق الأرضي حيث يوجد المخازن والصهاريج والاصطلاب والأقواس القوية التي تحمل المبنى .

وبقية البناية ، أي 28 قدماً ، هي عبارة عن طابقين يقعان في شكل دائري حول حوش مفروش بالمرمر سعة 30 قدماً مربعاً يعطيها بهو مفتوح سعة 6 أقدام ، ويقوم كل طابق على 12 عمود من الممرم الايطالي . وكل واحد من هذه الأعمدة يكون سندا لأحدى عشر قوساً اهليجي الشكل وكذلك يحيط بالحوش صفان من الأعمدة الرشيقة احميلة ، والسقف

6 - وأنتاج الأقمشة النخشة شائع أيضاً في الأرياف الجزائرية ، واسمار هذه المنتجات رخيصة جداً ، وهي من حيث النوع تشبه أنسجة الدانية التي تباع في أسواق الولايات المتحدة الأمريكية . هامش المؤلف .

مسطح وله حاجز يبلغ ارتفاعه أربعة أقدام ونصف . ومن جهة البحر ، يوجد بهو آخر مقسم الى عدة شقق صغيرة .

وساحة لاتسع احوش ، كانت شقق المنزل لدي به أربع واجهات صفة حدا وطويلة حدا . وهذا التفصيل وانصميم ملائم جدا بالنسبة لأحوال المناخ ، ولكنها ، بالتأكيد ، تكون غير مريحة في مناخ أقل حراره .

وجهان من هذا المرب تواجها البحر وهما نوافذ ، ولكن المساكن في الجزائر لا تتلقى الضوء عدة ، الا من احوش . لأنه من غير المسموح لمنزل يشرف على منازل أخرى أن تكون له نوافذ .

وجميع النوافذ ، التي تشرف منها على الشارع ، أو التي تشرف على الحوش مزودة بقضبان من الحديد ، الأمر الذي يخدم معه المرب شكل السجن .

والمنازل المرودة بالصهاريج تحصل بها المائية في موسم الأمطار على ما يكفي الحاجة العادية من الماء .

ومزلي ، مثل المنازل المشابهة له ، الحق به منزل آخر أصغر منه ويدخل ضمن محيطه ، ولكنه ، فيما عد ذلك ، يشكك بباية مستقلة نفسها . وهو يستعمل عدة لايواء النساء ، أو لأسرة تابعة لصاحب المنزل الكبير ، أو لسكن انه المتزوج . وكذلك تستعمل هذه البناية في حالات أخرى مطبعا ، أو مكاتب ، أو حمامات الخ .

وهذا المنزل ليس له سوى باب واحد يفضى الى الخارج ، وهذا الباب من القوة والمناة بحيث يشبه باب قلعة ، والعائلة التي تسكنه تمسك في داخله كل ما تحتاج اليه ، وذلك دون أن يساورها الخوف من الاعتداء من الخارج . وجسم أرضية المنزل مفروشة بالمرمر ، أو بالآجر الذي تم

تلويبه في هولندا . وجميع غرف الشقق عذبت حيطانها حتى ارتفاع حوالي أربعة أقدام بالقسيصاء الرفيع القيمة .

وفي جميع المنازل في الجزائر ، توجد شقة صغيرة توضع عند ابياب الخارجي ، خارج البناية . وفي هذه الشقة يستقبل رب البيت الزوار ويتولى الماملات ، لأن الأجنبي غير مسموح له بالدخول إلى المرب سبب وجود النساء . والأجنبي لا يمكنه أن يدخل منزل عائلة جزائرية إلا في ظروف استثنائية . وهذه الشقة التي هي فيحة ومأخرة البأيت ، تسمى « السقيفة » .

والحيطان لحارجية جميع البيوت الجزائرية يعني بصياتها وبطلاتها بالحس ، الأمر الذي يجعل المدينه تبدو من بعيد في مطهر أسق أخاد .

لقد وصفت المنزل لدي أسكه بكثير من التفصيل ، كما حاولت ، في نفس الوقت أن أعطي للقارئ فكره عن الفن المعماري السائد في الجزائر ، والآن ، أريد أن أقدم له فكرة عن قيمة المازن .

المفروض أن المنزل الذي وصفته قد كلف بناؤه 100,000 دولار ، وأنا أدفع إيجارا سنويا مقداره 250 دولار .

والجزائريون في أوقات الرخاء يحرصون على بناء منازل جميلة . وبالتالي فمن السهل العثور على كثير من المنازل التي هي في مستوى منزلي ، أو أجمل منه ، في الجزائر .

والرجال المسلمون محرم عليهم اصمود الى سطوح منازلهم بالنهار ، وبذلك تبقى هذه السطوح وقفا على النساء . على أن هذا المنع لا يشمل المسيحيين . ولذلك ، فنحن يمكننا ، في بعض الأمسيات أن نسمع سحر

هذه الأسيرات أجيالات اللائي يستفدن من اللحظات القليلة التي يسمح بها لهن القانون لاستنشاق الهواء براحة فوق منازلهن .

لقد عرفنا أن شوارع مدينة الجزائر ضيقة ولا تتجاوز مجرد كونها ممرات ، بل أن بعض الشوارع لا يمكن أن يمر فيها فارسان على متن جواديهما دون أن يصطدم أحدهما بالآخر . ولكن هذه الشوارع مفروشة بالحجر ، ويعنى بنظافتها وصيانتها في العادة . ومع ذلك يوجد شارع نستطيع أن نسميه «الشارع الكبير» ، يمكن أن تمر فيه عربتان دون أن تلمس أحدهما الأخرى . وهذا الشارع الذي يبلغ طوله نصف ميل متعرج ، وهو يمتد من باب الواد ، أو الباب الشمالي للمدينة حتى باب عزون ، أو الباب الجنوبي .

ففي هذا الشارع توجد المقاهي الرئيسية ودكاكين الحلاقين . وفيه يستقي الذين يهتمون بالسياسة ويتناقشون ويتنبئون بالأخبار ، وهذا الشارع هو الذي يفصده الجزائري المسترحي ليزيل عن نفسه ما يساورها من الملل والضجر ، فيجلس في المقهى الذي يقصه ويتناول قهوته ويتبادل الأخبار ويلعب الشطرنج . وفي هذا الشارع أيضا يوجد الدكان المهم الوحيد في الجزائر ، على أنه قد يكون من الملائم أن نسمي هذا المحجر ، معرضا حيث توجد فيه معروضة مختلف الأنبياء العادية . وهناك نشاهد اسكافيا يعكف بوقار ، وقد جلس القرفصاء ، على الأحذية التي يصنعها ، وكلها في متناول يده بحيث لا يحتاج إلى النهوض .

ومدينة الجزائر تنقسم إلى أحياء منفصلة تطلق أبواب كل منها بعد صلاة المغرب مباشرة . وهذه الأبواب يحرسها بسكريون عمي ، ويقومون بفتحها لسكان الذين يضطرون إلى الخروج من المدينة ليلا . وهؤلاء الحراس يخضعون لأوامر الشرطة .

وأوامر الشرطة تقضي بأن يحمل المسلم أو المسيحي الذي يسير في الشوارع ليلاً مصباحاً مشعلًا . وأما لليهودي ، فيجب عليه أن يحمل ضوء ، بدون مصباح ، وذلك لأن لليهود يتعرضون للتمسز عن المسلمين والمسيحيين في كل مناسبة ، وكل شخص لا يمثل بهذه الأوامر يعنل ويعاقب .

هذا فيما يتعلق بأبواب الأحياء ، وأما أبواب المدينة فانها تفتح عند غروب الشمس ، وتفتح عند طلوعها في الصباح . ولجزائريون شعب يتعلق بالغرفات ويؤمن بأثر السحر ، وتدخل القوى عبر الطبيعية في مجرى الأحداث ، ومن هنا الاعتقاد الشائع بينهم بأن جيشاً مسيحياً يرتدي زياً أحمر سوف يسولي على مدينتهم في يوم الجمعة . وهذا هو السبب الذي من أجله تعلق المدينة أبوابها يوم الجمعة من الساعة العديدة عشر صباحاً ، حتى الساعة الواحدة بعد الروال .

والمباني لعمومية في الجزائر تكون من سعة مساجد كبيرة ، هذا الى جانب عدد لا يحصى من المساجد الصغيرة ، وأربع ثكنات للجيش التركية ، وثلاث مدارس عليا وخمسة سجون حيث كان العبيد المسيحيون يحتجزون في الماضي ، وعدد من الأسواق اشرقية المفتوحة ، وقصر الدايات القديم .

ونظراً لأن المسيحي غير مسموح له بالدخول الى المساجد ، فأننا لا نستطيع تقديم وصف لها ، وأما المباني الأخرى ، فهي لا تختلف الا بحجمها وزخارفها عن المنزل الذي أسكنه والذي سبق أن وصفته .

وأما القصبة (أو القلعة) فهي مقر الدايات حالياً في الجزائر ، وهي عبارة عن مدينة محصنة تشغل جميع القسم الأعلى من المدينة ، وحوالي عشر مجموع مساحة مدينة الجزائر والقصبة تحتوي على مسجد جامع

كبير وعلى عدد من القصور وجميع المرافق الضرورية بالإضافة الى مقر
حامية عسكرية مهمة .

والمدارس التي تحدثت عنها عبارة عن مؤسسات دينية منها يتخرج علماء
الدين ، واحدى هذه المدارس خاصة بالقبائل (سكن بلاد القبائل) دون
سواهم .

والحمامات المصوية في الجزائر ستحق الذكر في هذا السبيل ، ولكنه،
نظرا لأنها تشبه بدقة حمامات القسطنطينية وحمامات القاهرة وغيرها من
مدن المشرق ، وأن هذه الحمامات قدمت بوصفها الليدي مونتاجو ،
وسفاري ، وغيرهما من الرحالين ، فان وصفها بعناية هنا قد يكون تكرارا
ملا . ولذلك أكتفي بالقول بأن لحمامات كثيرة في الجزائر ، وأنه يحتفظ
بها بعناية ، وأن الاقبال عليها من جمهور السكان كبير .

وعلى الرغم من أن استرقاق المسيحيين في الجزائر قد العي منذ سنة
1816 ، فاني أرى من الواجب أن أقول كلمة عن المعاملة القسوة التي
كانت تنتظر المسيحيين البؤساء الذين يقعون هذا المصير .

لقد أليت قرصنة الأفراد في عرض البحر منذ خمسين سنة . وبعد
هذا التاريخ كان الأسرى يعتبرون عبيدا للإيالة . وقبل ذلك كانت
سلطات الإيالة دائما تحميمهم من الأذى ومن سوء معاملة الأهالي ، وانه
لمن الانصاف القول بأن حالتهم هنا لم تكن أسوأ من أسرى الحرب
الذين يقعون في أيدي البلدان المسيحية المتحصرة .

فان الاسيرات كن دائما يعاملن بالاحترام الذي يحرصه جنسهن .
والأشغال التي كان يطب الى الرجال القيام بها لم تكن مفرطة المشقة .
والأسرى الذين يجدون كفيلا لهم يضمن عدم هروبهم ، كما يسمح

لهم بحرية الخروج الى حيث يريدون في مقابل دفع مبلغ 75 ستم في الشهر .

والواقع أنه يوجد عدد من المندصب العليا التي كان يشغلها العبيد الذين كسب كثير منهم ثروات طائلة من ورائها . والعبيد الموظفون في القصر أو المنحقوق بالشخصيات الكبيرة في الدولة يعاملون بأقصى اللطف وبصفة عامة ، فإن كل عبده ميل الى الحركة والعمل ، يجد الوسيلة لكسب رزقه . واختصار فانه وجد من العبيد من يغادر الجزائر وقلبه معهم بالأسف والحسرة ، وكثير من هؤلاء يحملون معهم أموالا طائلة عند رحيلهم عن البلاد .

صحيح أن العبيد يعانون في بعض الأحيان من نزوات ملاكم ومن سوء المعاملة من حراسهم ، وسكهم في ذلك يخضعون لقانون كوني عام ، وهو أن الرجل الذي يجد نفسه في قيد الأسر ، هو رجل جرد من وسائل الدفاع عن نفسه وحرم من أي نوع من الحماية .

وفضائع أسواق النخاسة التي تحدث صجة كبيرة في العالم والتي قيل عنها الشيء الكثير ، كلها اتهامات لا أساس لها من الصحة ، منذ أن ألغيت القرصنة الفردية . وذلك لأن الأسير الذي يقع في يد القراصنة إنما هو ملك للحكومة التي قلما تباعه ولا تنازل عنه الا على سبيل الهبة والترصية ، وبالتالي فانه من أندر الأشياء أن يعرض مسيحي للبيع في أسواق النخاسة . ومع ذلك يجب الاعتراف بأن التنازل عن العبد بطريق الهبة قد يؤدي الى عرض عبد مسيحي في السوق ، وانه حدث أكثر من مرة أن بيع مسيحي ليهودي وأعاد اليهودي بيعه ، ولكنني أعتقد أن هذه الحالات نادرة جدا .

وأشد أنواع البؤس والشقاء الذي يعاني منه العبيد المسيحيين في الجزائر هو برود حكومة بلده وجبها ازاء حالتهم بحيث أنها تحرمهم حتى من الأمل في القدية يوما ما .

ولكنه يجب ألا نذهب بعيدا بحيث نشكر عمل الأيدلة في المعاء القرصة الخاصة . فان هدفها الوحيد من هذا الاجراء ، هو صمان احتكار القرصة للحكومة التي تتم بروح من السخل يصمم جميع تصرفاتها .

فان نظام الاحتكار الذي اعتمدته في جميع المرافق وحظرها تصدير المنتجات المحلية الى الخارج قد أدى الى خراب التجارة الجزائرية وقضى على الزراعة في البلد قضاء مبرما .

وصيد المرجد في شواحي البلد الشرقية ، وتصدير الصوف والجلود والشمع وحوالي 16000 كيل من القمح الى الخارج تحتكره فرنسا في مقابل مبلغ 30 000 دولار سنويا . وكذلك يدفع باي وهران للحكومة المركزية مبلغ 15000 دولار سنويا في مقابل احتكاره حق تصدير المواد المذكورة التي تنتجها ولايته . واستجارة في الجلود والصوف والشمع تحتكرها الحكومة وتبيع هذا الاحتكار في مزاييدة علانية ويرسو المزايد على من يدفع أكبر مبلغ . وتصدير الجلود الخام وزيت الزيتون ممنوع قانونيا ، اللهم الا اذا كانت هذه الأشياء تنجى الى إحدى الولايات في الامبراطورية العثمانية . وكذلك يحتاج الأمر الى اذن خاص من الحكومة لتصدير الحبوب والحيوانات . ونتيجة هذا الحظر الذي ينسم بالعباء هي أن انتاج البلد من الزيت والحبوب ينقص ولا يزيد عن حاجة اسكان في بلد يمكن أن يعتبر بحق أخصب بلدان العالم . وقد وقع نقص فادح في انتاج الحبوب في سنة 8891 بحيث أن البلد قد

اضطر الى استيراد أكثر من 50 000 بوشل (7) من القمح لاستهلاك
مدينة الجزائر وحدها .

والعرفة الجبركية على اواردات من الخارج حددت بنسبة 5% متى
كان المستورد يهوديا أو من الأجانب الذين يتسول الى بلاد لا تربطهم
معاهدات بالجزائر .

وفيما يلي جدول يمثل صادرات المسكة ووارداتها في سنة 1822 ،
وهو منقول عن وثيقة رسمية أصلية . والجدول التالي يعطينا فكرة
عن تجارة الجزائر .

الواردات في سنة 1822

بالدولار الاسباني

— من بريطانيا ، منتجات الهند وبريطانيا 500ر000

— من اسبانيا — الحرير والسكر والفلفل والقهوة

ومنتجات صناعية انجليزية وألمانية 300ر000

— من فرنسا — السكر والقهوة والفلفل

والصبب والأقمشة وغير ذلك من المنتجات 200ر000

— من بلدان المشرق مادة الحرير الخام 100ر000

— منوعات الحرير من ايطاليا وفرنسا ، مجوهرات

والاحجار الكريمة والماس 100ر000

12ر00ر000

المجموع

7 — مكيل الحبوب يساوي 8 جالونات ، أو نحو 32 لتر ونصف لتر .

بالدولار الإسباني

— من موانيء المملكة في اتجاه مرسيليا وليمورن وحموه	
20 000	قطار من الصوف بسعر 8 دولارات للقطار
160,000	
— 10000 قطار من الجنود الحجم بسعر 8 دولارات	
	للمطهر
80,000	
— 600 قطار من الشمع بسعر 30 دولار للمطهر	
18,000	
— ريش النعام ومنتجات أخرى قليلة القيمة	
15,000	
<hr/>	
273000	المجموع

وكذلك يرى أن الميران التجاري الجزائري يشكو كل سنة من عجز مقداره 937000 دولار ، وهو مبلغ ضخم تدفعه لمخارج دولة ليس لها موارد شريطة تذكر ، ونبعا لذلك ، فاد كانت اتجاره الداخلية في الجزائر لا تنتج ما يكفي للتعويض عن هذا العجز في التجارة مع الخارج ، فن من الواضح أن الأمر سينتهي باستنزاف مورد الدولة وبافلاسها . ولكن قيمة التجارة الداخلية مشكوك فيها ، وذلك لأن بسطة التي تعتد على دخلها من عمليات الذهب والفضة ، أهملت كلية لعلاقات التجارة داخل إفريقيا ، والجزائر أقل بلاد ابربر حظا في هذه التجارة الداخلية .

توجد قافلة صغيرة واحدة تقوم بالتجارة بين وهران « وسمبكو » عبر تافيلالت ، وهذه هي لطريق الوحيدة للاتصال مع هذه المدينة المحاطة بالأسرار . وكذلك توجد علاقات مستمرة بين الجزائر ووسكره ووادي ميزاب الذي يقع على طرف الصحراء الجزائرية . وقد استقيت معلومات من سكان هذه المناطق مباشرة وأخبروني بأن اتصالاتهم بدخل إفريقيا لا تتجاوز غدامس التي هي مستودع تونس في الجنوب . وعن طريق

هذه القنائل تتصل اجرائر بالبلدان الامريكية الداحية . مثل تمبكو
والسودان ، مثلما تتجاوز طرابلس مع الداخل عن طريق سكونة ومرزق .
ومن هذه البلاد تنقى التبروديس العام واسر واجبال . في مقابل
المصوعات الأروية واحبوب .

ومن طرابلس تنفى الجزائر سنويا عددا من العبيد الذين تدفع ثمنهم
بمستجات اليد

ولكنه بالظر اى بدهور التجارة مع داخل القارة لافريقية ، وبالظر
الى مافه تونس التي همت مصالحها بطريقة افضل ، وكانت دائما تعمل
على تزويد نفسها بالضائع الأجنبية ، وبالظر اى منعه طرابلس والمغرب
ومصر للجزائر ، هذه من الممكن الاستنتاج بأن القسم الأكبر من العجز
الذي لاحظته في ميزان اجزائر سحاري يعطي بواسطه الأموال التي
تؤخذ من المدينة — تلك الأموال التي لن تلت أن نعد ، اذا لم تقم
الحكومة سورته الميزون التجاري واسعمل الذي جعل هذه الحالة
تستمر ، هو زيده نفقات الحكومة على دخلها ببلغ نصف مليون دولار
سنويا تأخذ مباشرة من كنوز الخزانة .

لقد نمت فزعة في الجزائر خلال ثلاثة مرون اى السطو ونهب التجارة
المحلية بدور حساب ، فكان من سائح ديت نجمع كنوز من اذهب
والفصة وثروة عظيمة لدى اندولة في هذه المدييه . وكما سبق أن لاحظنا
فان الجزائر تعتبر من أعنى بلدان لعالم بالمال والمجوهرات . وهذا
الرخاء الذي دام طويلا كد له أثر آخر ، وهو تجميل المحيط والضواحي
التي تتمتع بحمال طبيعي نادر ، وزيت بالمازل والفيلات التي يعتقد
أن عددها يزيد عن الإلف .

وبعض هذه المنازل آثار رائعة للفن المعماري المغربي ، ولكن كثيرا
من هذه المنازل أهملت وتركزت في حالة يرثى لها من أصحابها الذين

هجروها لاعتقادهم أنها مأهولة بالأرواح ، وهو سبب آخر في نظر
لجزائري الذي يؤمن بالحرافات هجرة منزله على الرغم مما اشتهر به
من البخل .

والجزائريون ليس لهم ذوق في العناية بحسائق منازلهم ، ومظهر
الحديقة من الخارج رائع ، ولكن مضمون سحرها يتوقف سحره المدحور
اليها .

والنتيجة المفيدة للقناصل الأجانب الذين يقيمون في الجزائر من هذه
الوضعية ، هي سهولة عبور هؤلاء على منازل جبلية ، في المدينه مسها
وفي الريف ، بسعر رهيب ، وذلك في الوقت الذي يرودون فيه
بخضروات وفكهة من أرفع الأنواع .

ومدينة الجزائر ، كما سبق أن لاحظنا ، ليس لها صواحي (ك) وأما
اساطق المجاورة لها مباشرة بحوالي نصف ميل ، فهو عبارة عن مقار
مندثرة ومنازل مخربة تبث انقباضا في لمس . هن هذه المقار لا يحيط
بها أي سياج ، وبالتالي ، فهي مربع للحيوانات ، وإن أوى اندي يتجول
بحرية في أرجائها باحثا عن ما يشبع نهمه في جثث الأشخاص العديشي
الدفن . وأما لم ألاحظ أي استئزاز في الأهالي لزيده هذه الحيوانات
لمقر موتهم الأخير . والعرب يحبون بناء قبور فحة لتحليد ذكرى
أقاربهم ، ولكنهم بعد ذلك يتركون هذه البيايات لرواة الأحداث ، ولن
تلبث أن تصبح خرائب ونهب لكل غاد ورائح .

والقناصل الأجانب الذين يقيمون في الجزائر لا يتصلون بالسلطات
التركية أو بالأهالي لا بوصفهم قناصل . ومجتمع القناصل والوكلاء
أما يتكون منهم وحدهم . ونظرا لأن قناصل الدول الأجنبية عادة رجال

8 - الواقع أنه كان يوجد خارج باب مزود مستودع للقنائل التي تأتي من الداخل ،
وهذا المكان لم يلبث أن أصبح المعمران له وأصبح بمثابة ضاحية .

أدكياء ، ومن ذوي المكانة والترف ، ويعرفون أدق أسرار حكوماتهم .
إن الاجتماعات التي تقع بينهم وبين عائلاتهم تجري في جو من اللطف
والعاطف وهي من أجل ما شاهدته في حياتي وصريته معه قد حصل
بسم الأمانة والصدق ، ولكنها حاله من الشكيات والمصاهير سي
تضيق الآخرين وإذا شاء الله ودعني لعمل منصب غير الذي أسعته
حالي في الجزائر . سأحزن مدى أحياه بعد ما أحده من لطف الكرم
وسحر العشرة الطيبة .

إن سهول متيجة التي يتصل طرفها بالمدينة . هي . على الأرجح أجل
امتداد سهول على وجه انكسر الأرضه . سواء تطرد إليها من زاوية
اعتدال المذبح ، أو لجسماء موفعها . وهذه السهول تمتد على
مائة ألف من مربع ، ويحتوي على عدد لا يحصى من الياض التي
ينزل من الجبال المحاذرة وسقيها بمياهها . إنها بسطع أن توفر العدا
بعدد من السكان أكثر مما تستطيع أن تعوله أية بقعة مماثلة على وجه
الأرض .

ولو قدر لهذا البلد العاثر الحظ أن يستعيد مصيره في المستقبل ويعود
إلى التمتع بموائد الحضارة ، فكون مدينة الجزائر ، بفضل موارد
سهول متيجة وخيرانها ، واحدة من أغنى المدن التي تقع على شواطئ
البحر الأبيض المتوسط ، وهذه السهول الآن ، بفصل الاستبداد انصامت
واصعظ ابربري الذي سدره حكومة الأتراك ، قد أصبحت صحراء
قاحلة موحشة .

الفصل الرابع

مختلف الأمم ، أو القبائل التي تسكن المملكة ، أصلهم المرجح ، سلوكهم ، شخصيتهم ، دينهم ، لغتهم ، الأتراك .

الأتراك شعب أصيل متميز عن غيره من الشعوب ، ووجودهم في أفريقية بصفتهم عزة محتلين ، ولكنهم مع مرور الزمن ، ختطوا بالسكان الأهالي ، ولولا روافد المجدين لجدد من تركا المدن يصلون الى البلد باستمرار ، لاندماج الأتراك في السكان الجزائريين . والأتراك يحافظون بدقة على الشريعة الإسلامية ولكنهم يحدثون اللعنة التركية التي هي اللعبة المستعملة في الادارة الحكومية

واسم السكان القديم «المور» (moors) اسم عام ، فيما يبدو لي ، لجميع سكان المغرب الأقصى وبلاد الربيع ، ولكنه طرا لأن كل ما يتعلق بتاريخ هذه البلاد غير محدد في الأزمان ، فاني التزمت بأن لا أطلق هذا الاسم الا على السكان الجزائريين الذين أصفهم هنا .

فالمور الذين يشكون أغلبية سكان المدن في الجزائر اذا ، هم عبارة عن خليط من السكان الافريقيين الأصيين والعرب والمهاجرين من الأندلس ، وهم يتغيرون ويتطورون باختلاطهم بالأتراك وبالأفريقيين الذين يسكنون في الداخل ، بالمصاهرة وازواج ، وهذا العصر الأخير يفقد خصائصه البدائية باقامته في المدن بعض لوقت حيث تعبر عاداته ، وبالاختلاط بالعائلات الجزائرية .

ولغة «المور» هي لهجة محرفة عن العربية الفصحى وهم يدينون بالاسلام ، وعلى الرغم من أنهم ينتمون الى عدة أجناس ، فهم يشكلون شعبا له شخصية قومية متميزة وهم في هذا السياق يشبهون الشعب البريطاني شعبا قريبا وكذلك شعب الولايات المتحدة .

وإذا اعتبرنا ما يتمتع به هذا الشعب من الروح الحلاقة ولشخصية المتنوعة الجوانب ، يبدو لي أنه خليق بأذ بينغ ، متى واته ظروف ملائمة درجة عالية من الحضارة .

والعرب يقطنون في سهول ويسكنون في الخيم ، وهم دائما يعيرون محل اقامتهم تبعا للفصول ولتوفر الكلا بحيواناتهم .

وأحلاق العرب من النوع السائد في مناطق البدو الرحل ، وهم بدون شك ، يتمتعون بفضائل أحدهم الآسيويين كم يحملون رذائلهم أيضا .

والسؤال عن مدى اختلاط العرب بسكان سهول موريطانيا الرومانية التي فتحوها واستولوا عليها ، سيظل دائما موضوعا للجدس والنقاش ، وهم يتحدثون اللغة العربية ويعتقون الاسلام ، وملامحهم وأخلاقهم وسلوكهم وعاداتهم هي نفس ملامح العرب الآسيويين ، وسلوكهم وعاداتهم ، هو سلوك وعادات أولئك العرب الذين وصفهم عدد من الرحالة الأوروبيين المشهورين ، ومن ثم ، فانه من قافلة القول ، محاولة وصف العرب الآسيويين في هذا الكتاب .

والعرب تابعون للحكومة الجزائرية ، ولكنه فيما عدا دفعهم الضرائب لهذه الحكومة ، هم في حالة شبه مستقلين ويخضعون لسلطان شيوخهم ولتقوانينهم الخاصة .

ومتى وجد العرب أن استبداد الباي وطغيانه لا يطاق ، يجلبون الى منطقة ادارية أخرى أو الى الصحراء ، حيث لا تصل اليهم يد السلطة .

وبهذه الطريقة خلت من سكانها كلية تقريبا ، سهول عابدة ، بولاية قسنطينة ، بسبب نزوح القبائل العربية عنها نتيجة لما تعرضوا له من الاستبداد الذي لم يكونوا يطيقونه ، وفي الحالة الأخيرة ، التجأ العرب الى مملكة تونس .

والمساعدون في سلاح الحيلة من الجيش التركي في قسنطينة ، هم من العرب .

والبسكريون يقطنون المناطق الجوية التي تقع على أطراف الصحراء ، وراء المنطقة التي تسمى «الشط» من المملكة . ان لهم سحنة سمراء ، وهم شعب جدي ، ويختلف كثيرا في مظهره وفي سلوكه عن غيره من القبائل العربية والافريقية ، وذلك على الرغم من أنهم يتحدثون لهجة محرفة من العربية ويرجح أن يكون فرعاً للجنس العربي ، ولكن سلوكهم تعير بسبب استقرارهم في المدن واختلاطهم بالأفارقة .

وهذا الافتراض يعززه ما نعرفه من أن المنطقة التي يقيمون فيها تقع في طريق الماتحين العرب الذين غزوا هذا الجزء من أفريقية في أمواج متعاقبة منذ القرن السابع الميلادي .

والبسكريون يحصعون لسلطان الجزائر ويعتبرون من أهدأ العناصر في المملكة ، والسلطات تحتفظ بحامية تركية في أراضي بسكرة تحت سلطة قائد ، وذلك على الرغم من أن البسكريين يتمتعون في الجزائر بامتياز التبعية لأمين يقطن هنا وتعترف به الحكومة .

والبسكريون قوم مسالمون ومخلصون وكثيرا ما يستخدمون في المنازل حيث يتمتعون بالثقة ، والبسكريون يحتكرون صناعة الخبز ،

وهم لدين يحملون الخبز في الجزائر . وهم وحدهم الذين تستخدمهم الحكومة في نجاز الأشغال العمومية ، والبسكريون أيضا هم الذين يعملون أيضا وسطاء في لتجارة بين مدينة الجزائر وغدامس .

ويبدو أن عاهة فقد المص مشرة كثيرا في الأمة البسكرية . وهي قد تكون راجعة الى ماخ بسكره الصحراوي . وفي الجزائر عدد كبير من البسكريين اعصى الذين يعهد اليهم بمراقبة الشوارع والأبواب الداخلية في انيل ، والسكريون لا يدينون بعير الدين الاسلامي

وبنو ميزاب ، أو الميزابيون يعيشون في مطلقه تقع في الصحراء ، في جنوب الجزائر وعلى مسيرة عشرين يوما منهم بالمواقل التي تشي خمسة أيام على الأقرب بعد حدود الايالة دون تصادف الماء في طريقها .

أقول ان المسافة بين الجزائر ووادي ميزاب عشرون يوما ، وهذا قد يبدو غريبا ، وأنا على كل حال ، سم اتمكن من الحصول على معطيات دقيقة لهذه المسافة . فان لبعض أكد لي أن هذه المسافة هي أربعون يوما .

والحكومة لا تستطيع أن تتخلص من شعور الخوف وسوء الثقة نحو جميع هذه الشعوب ، هذا اذا استثنينا شعب اقبائل .

والنتيجة التي تدل عليها معلوماتي التي أعقد أنها صحيحة ، هي أن هذه الأمة الصغيرة (بنو ميزاب) تكون من خمس مناطق ، وهي : «عوردنكا» «بيريجان» و «ورجنة» و «انجوسا» و «نديم» .

وهذه الأماكن مرسومة على خريطة أفريقية للميجر رومال Renel بين درجة 30 ودرجة 33 و0 عرض شمالي ، وهو شيء يتناقض تماما مع المعلومات التي جمعتها ، المهم الا اذا كانت سرعة القاطلة لا تتجاوز

15 ميلا في اليوم ، ولكنه يبدو لي ان الموضوع يطوي على أكثر من غصه واحدة ، حيث أنه لم يقع أي فيس لتحديد موقع هذه المنطقة .

استعني طاب يسمى الى وادي ميراب ويقسم في اجزائر أن كل هيله هناك يحكمها مجلس يكون من اثني عشر عضوا من الأعيان (مجلس المزاب) الذين ينتخبهم الشعب ، وقال لي أن عدد سكان المنطقة يبلغ في اعتقاده 250,000 نسمة ، وهو تقدير يبدو لي مبالغا فيه . وقال لي أيضا أنه لم يطلع عنه أن احدي هذه القبائل دحت في حرب مع الأجانب ولو أن النزاعات بينها كثيرة ، وحسب ما قاله فان هذه البلاد لا تكدر تعرف هطول الأمطار الا في ابادر ، وهم يشربون من مياه الينابيع ، ويزرعون قليلا من الشعير ، ولكن التمر هو أهم إنتاج البلد

وحوالي هذه البلاد ، ترتفع جبال عالية يوجد فيها معدن الذهب . وسكانها يعرفون بالتبكتيين ، ولا يرتبطون بصلات تجارية مع أي بلد في داخل أفريقيا ، فيما عدا غدامس وفاقيلالت .

والميزابيون قوم هادئون نشيطون في التجارة ومشهورون بالأمانة وازداه في الأعمال ، وببدهم يتمتع باستقلال تام عن حكومة الجزائر ، والامنيازاب التي تمنعون بها وبحارتهم بصمها معاهدة مكتوبة وقعنها حكومة الايالة ، وهم في الشؤون ائديه لا يقرمون بسلطة الا للأمين ، المزابي الذي يقيم في الجزائر ، وأنا اعتقد أنهم يستمعون بامنيازاب كثيرة ، فالي جانب كونهم الوكلاء المعترف بهم والوسطاء في التجارة مع داخل أفريقية ، فهم يتمتعون أيضا باحتكار الحمامات العمومية والقصابات والطواحن .

والميزابيون بيض اللون ولكن ملامحهم ومنظرهم انعام تشبه ملامح العرب ومنظرهم . انهم يدينون بالاسلام ولكنهم يعرجون عنه في مسائل يصعب علي شرحها .

ان الميزابيين يرفضون أداء الصلاة في المساجد العمومية ولهم مسجد خاص بهم يقع خارج المدينة في ميسى طاحونة ، وهناك يعددون اجتماعهم ويؤدون الصلاة .

وقد علمت أن لدى يمنعهم من الصلاة في المساجد العمومية هو أنهم يعتبرونها أماكن غير طاهرة ، بسبب شبكه المجري التي تجري فيها لقادورات بحتها .

والميزابيون يتحدثون نفس اللغة التي يتحدثها الشعب المسمى « القبائل » ، ولكن لغتهم أنقى وأكثر أمانة ، وهذا بدون شك ، يرجع الى عاداتهم الهادئة وإلى ممارستهم حرفة التجارة .

ومن مجموع هذه الحقائق ومن وضعهم الجغرافي الخاص يمكن أن نستنتج أن الشعب الميزابي شعب أصيل لم يعتد أحد قط على أراضيهم بالسطو والحزو .

ولكن ، ترى هل يمكن اعتبار الميزابيين أحفاد الجيطلول ، أم مجرد فرع من القبائل نزحوا الى هذه المنطقة واستقروا فيها ؟ هذه مسألة محاطة بالشك .

والميزابيون يستوردون الى الجزائر العبيد ولتبر وريش النعام والجمال والتمر (1) ، وذلك في مقابل البضائع المصنوعة التي يصدرونها ، ولكنني أعتقد أن هذه التجارة تجري في نطاق محدود .

لقد أبلغني « اطالب » الميزابي الذي تحدثت معه أنه يعرف شعب الطوارق جيدا ، وأنهم موحشون ، ويعيشون في الصحراء ، ويتحدثون نفس اللغة التي يتحدث بها بنو ميزاب .

1 - لدى وصول فوائد الميزابيين الى الجزائر ، كثيرا ما اضفري منهم حمرا من أربع الأنواع يتكون من عصف كنف في جلد موزة جاف وشرايح ولها بين ستة ولعانية أطوال ، وذلك بسم أقل من دولار واحد . عاش المؤلف .

ولما أطلعت على الرسوم التي سجلها القبطان لون في رحلته هؤلاء
القوم ، تعرف عنهم في الحال ، وبعدما تفرس في هذه الرسوم مليا .
قال لي أنها تمثل بدقة هذا الشعب .

والشعب الذي يستحق أكبر العناية من إدارسين هذا القسم اشمالي
من أفريقيا ، هو شعب القبائل ، الذي كان عبر التاريخ يحافظ على
استقلاله عن حكومه الجزائر . وهذا الشعب من بقايا النوميديين الذين
لم يمحضوا قط للغزاة وانما حرص لأفريقسه مد عهد القبيبيين الى يومنا
هذا .

وتسمية « القبائل » مشتقة من الكلمة العربية « قبيلة » ، (جمع .
قبائل) . وهذه التسمية تطبق على وضح القبائل الاساسي ، فهم
جميعا يعيشون في الجبال ، في الأطلس الكبير وفي مختلف السلاسل
التي تفرع عنه والتي تحمل أسماء عربية مثل بني سوس . وبني رروان
و (بني) رواوه وبني عباس . وكلمة « بني » في العربية تعني . يتحدثون
من أصل كذا .

وسكان كل منطقته من هذه المناطق الجبلية يشكون دولة أو
جمهورية ، مستقلة عن غيرها من المناطق .

وهذا الشعب يسمى أيضا « البربر » ، ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة
« بارباري » الانجليزية التي تطلقها على هذه المنطقة من اعالي ، ولكن
هذه التسمية ليست سوى مصطلحا تاريخيا قديما .

والقبائل شعب أبيض لهم قامة معتدلة ، وعضلات قوية يعبدون عن
السمه ، ومثلهم مثل عبرهم من سكان الجبال ، هم قوم تسيطر
يتسمون بالحياة والأدب في المعامه ودو مزاج رائق . والكثيرون
مهم بيض البشرة وبهم شعر أشقر وينسبون الملاحين من سكان شمال
أوروبا ، أكثر مما ينسبون سكان بقية مناطق أفريقية .

وقد ذكر الدكتور شاو قبيلة من هذه القبائل تسكن جبال أوداس
التي تسد في جنوب قسنطينة ، حيث تقع لمبير القديمة ، وبسرد سكر
هذه المنطقة على ما وصفنا .

وبعد الدكتور شاو ، قام بروس (Bruce) بزيارة هذه المنطقة وأكد
ما ذكره شاو عنها وعن سكانها .

وهذه الحقائق ، مع ما لوحظ من عدم اتفاق صماتهم الأدبية مع صفات
الأفريقيين تجعلني أميل إلى الاعتقاد بأنهم من بقايا الوندال (2) الذين
هربوا أمام الجبال بيلاسيريوس (3) والتجأوا إلى الجبال المنيعة .
وهناك ضمنوا استمرار جنس الوندال .

ولكن عدم وجود أي أثر للغة استوتونية في صمهم يقضي على هذا
الافتراض ، وبالتالي ، يجب البحث عن أصلهم في حس آخر ، وذلك
مع الاعتقاد بأن اختلاط دمهم بدم الوندال أمر مرجح .

والقبائل يسكنون الجبال دائما ويفصلون فمما ، حيث يقطون في
قرى يسمونها « دشره » تتكون من أكواح مبنية بالطين والوتل ، وإذا
نزّلوا إلى السهل ، فلكي يواجهوا عدوا أو يقوموا بمغامرة .

وحكومتهم عبارة عن مزيج من الديمقراطية والارستوقراطية لا تتمتع
بما ينبغي من السلطة لكي تفرض قانونها على السكان الذين يسلمون
إلى العرب والشعب .

2 - (Vandales) شعب جرمني قام مع غيره من شعوب البرابرة بغزو الحول وأساب
ثم لاحق بتياده جيسيري (Gisérie) (428 - 477 م) على إفريقية الشمالية
حيث ظل يبعث فسادا وفجرا حتى طرده البيزنطيون في سنة 534 م

3 - قائد بيزنطي (494-565م) هبط جوستنيان ، وهو العامل الأول لدخول الوندال في
في إيطاليا وصقلية وأفريقية الشمالية ، وبذلك أعاد هذه الولايات إلى حكم
الرومان .

ومند أقدم العصور والعادة حرت بأن يختاروا رؤوسهم بين أعيان
البلد ، ولكن تعود هؤلاء يكون دائما محدودا . وقد قبل لي أن قود
أماشة والعنكلات التي بحالة ، معها . هي الأساس الذي يقوم عليه أمن
الأشخاص واحترام الملكية .

ومع ذلك ، فإن القبائل شعب شيط ودكي . وهم يجنون من زراعه
أرضهم ويربوه مواشيتهم كل ما يحتاجون اليه لمعيشتهم .

والقبائل يستخدمون عدة أنواع من الأفضة الصوفية لاستعمالهم
الحرس . والمصل يرجع الى عملهم في كل ما يسهلكه ابعد من زيت
أريون . وهم يسلون مناجم الحديد التي توجد في جبالهم ويقومون
بإخراجها بسحرجة من الحديد الخام ، لينموا منه عددا كبيرا من
الأواني البسيطة والألوان الزراعية ، إن القبائل يعرفون صناعة
الصبب الذي يستخدمونه لصنع عدة أنواع من الأسلحة وسكاكين
المائدة .

والقبائل يحسبون أيضا صنع بارود المدفع . ونظرا لأن القبائل
لا يدعون يسهلون سنا من المسحات الصاعدة الأجبية ، لا بد وأن
يصوي جبالهم على ثروات طائفة من المال العين .

والقبائل يشكلون الأعلى الساحة بين سكان الجزائر ، وسوف
لا يضي وقت طويل حتى نحصي عناصر الأخرى من السكان لقوتهم ،
حتى أمكنهم تحقيق الوحدة بينهم .

ولكن القبائل ينقسمون الى عدد كبير من الجمهوريات التي تشهد
حروب مستمرة .

والحكومة التركية تعمل على اذكاء نيران هذه الحروب وتستغل
ميل القبائل الى الشقاق لتزيدهم انقساما وتفرقا حتى يصل لنفسها
السيطرة عليهم .

ولكن القبائل يحلون في قلوبهم شعورا فويا الى الاستقلال لا يمكن
مهم من الأحوال ، وتاريخ الجزائر لا يسير الى أن يحكموه
المركزة قد تمكنت من احصاع قبيلة واحدة احضاء تاما بقوة
اسلح .

ون القبيلة لتقوم مقاومه لا هودة فيها ، ومتى أصبحت المقاومة
مستحيلة تماما ، اسحبت من المعركة لدخل في حضن قبيلة أخرى

والأتراك يعرفون روح الاستقلال والتصميم فيهم بحيث أنها كمن
في حاة الحرب معهم بالأحراق والتخريب في أراضيهم وبذلك يضطر
لقبائل الى عقد الصلح معهم ، وأكبر لقبائل وأشدها تأسا بفض في
جيان قسطينة .

وبو عباس الذين يقطنون الجبال التي تمتد بين الجزائر وقسطينة .
يستطيعون ، وحدهم ، تحدي جميع القواب العسكرية التي تملكها
حكومة الجزائر ، والوقوف في وجهه ، لو كانوا يعرفون كيف يستعملون
الوسائل التي تحت تصرفهم .

والأتراك في حرب دائمة مع القسم الذي يشرف على البحر من ولاية
قسطينة الذي يقطه القبائل . انهم سادة المنطقة التي تمتد حول خليج
عابة ، ومن شدة عداوتهم للترك يعتبرون كل أجنبي يقع في أيديهم
تركيا ، ولا يكتفون بجريده من ممتلكاته بل يقتلونه أيضا .

وبعد عقد اتفاقيات الصلح بين هذه القبائل والحكومة التركية ،
أصبح كثير من أبناءها يقصدون الى الجزائر وضواحيها للبحث عن
الصل ، وهم يشغلون رعاة ومرارعين وحدهم في المايل ، وفي الحالة
الأخيرة يدون كثيرا من الذكاء والنشاط والإمارة

والحكومة التركية التي يعار رحلها من ذكاء القبائل وشجاعتهم ،
نماز في استخدام هؤلاء في أي عمل منزلي من أي نوع كان ، بقدر
ما تمنع توظيفهم في جميع المؤسسات العمومية في مدينه الجزائر .

بل ان القناصل الأحانب أنفسهم هم يتخلصوا من الفكرة السيئة التي
تسمى الحكومة التركية الى ترسيخها في النفوس حول القبائل الا منذ
مدة لا تزيد عن عشرين سنة ، وهم الان يستخدمون القبائل في
مارلهم ، والأجور التي يدفع اليهم هي في العادة دولارين ونصف دولار
في الشهر .

والقبائل يتعلق بمسقط رأسه الى حد بعيد بحيث ان القناصل
يجدون صعوبة في الاحتماء برؤسهم أكثر من سنة أشهر ، دون أن
يراودهم الحنين لرؤيه جبابهم محاصرين بذلك بفقد مورد رزقهم .

وهذا الشعور بحب الوطن يستحود على نفوس القبائل كلية ، بحيث
أنه حدث لي ذات مرة أنني فقدت جميع خدمي الذين نحلوا عني فجأة .
بحجة أن بلادهم بحوص غمار الحرب ، وهو يدعوهم لحمل السلاح

والقبائل حين يجدون أنفسهم في الجزائر يضطرون الى الخضوع
لأحكام الاسلام ، خور من عصا السلطة ، وكسي أعرف أنهم بمجرد
ما يعودون الى بلادهم يتحررون من جميع القيود الدينية ، بل انه لا توجد
لديهم أية أحكام أخرى تحل محلها .

وفي الجزائر توجد مؤسسة يلتقى فيها القبائل التعليم مجانا .

والقبائل يتحدثون لغة كل شيء بدل على أنها لغة قديمة أصيه .
ويقول اندكور شاو انها في جبال الأطلس المغربية تسمى لغة « لشبح » .
وفي بقية بلاد ابربر « الشاوية » ، ولكن هذا ارحانه لم تمكن من اعطاء
أية فكره عن أصل هذه اللغة واستنقاعها ، وألا لا أعرف ما اذا كانت

هذه التسمية لا تزال معشولا بها في الوقت الحاضر أم لا . وأنا حينما
حدثت في الصفحات التالية عن هذه اللغة سأحدث عنها باسم الشاوية ،
وكذا إذا لم يعبر ذلك جراً في الحديد مني . أميل إلى تسميتها باللغة
الليبية ، حيث أن هذه التسمية ، فيما يبدو لي ، أدق وأفضل .

إن جميع عناصر التي نطق أفريقية (الشمالية) ، يمكن إعادتها
إلى الأصل الذي سحر منه . وذلك فيما عدا القبائل ، فهم يختلفون
كثيراً في المظهر الشخصي وفي السلوك والشخصية عن جميع شعوب
هذا البلد ممن يدعون الانتماء إلى العنصر العربي ، وهم يتحدثون لهجة
خاصة بحيث يجب البحث عن أصهم في الشعب الذي يسكن هذه
البلاد قبل الفتح العربي .

والتاريخ يحدثنا أن هذا الجزء من أفريقية لم يخضع كله للقرطاجيين
(الفينيقيين) ، ومن هذه الأمة التي تحترف اتجارهم لم تكن تهتم إلا
بإقامة قواعد تجارية أو إقرار مستعمرات على شواطئ البحر ، بحيث
تسيطر على أفريقية بنموذجها لتجاري وحده

وهذه الحقيقة تشبه بوصوح الحرب البونيقية الثانية ، حينما قامت
روما بمقتد معاهدات موجهة ضد قرطاجنة مع الأمراء الوطنيين الذين
كانوا السبب الرئيسي في ضمان اقتصار « سيبيون » ضد هانيبال .

وامبراطورية الفينيقيين في أفريقية تشبه إلى حد بعيد ، الامبراطورية
لبريطانية في الهند ، فكلا الجسسين كان همه الأول التجارة وكسب
المال .

ولكن التجربة أثبتت أن مثل هذه الحكومة لا تستطيع قوانينها
ومؤسساتها ولعتها على الأمم التي تخضع لسلطانها أو تقع في منطقة
تقودها .

وأما روما ، فقد انهجت سياسة أخرى منافسة لهذه السياسة - سياسة وضعت بالسطح . للتغلب على صعوبات من هذا النوع . فان مؤسساتها ولعتها كانت دائما تسير فموجاتها ، ومع ذلك ، فان لغة لرومان لم تكن في اليونان وفي آسيا ، بل وحتى في قلورية Calabria لا لانه الاتصال بين الامبراطورية الرومانية وبين هذه الممالك .

ولما انتقل مركز الحكومة الى القسطنطينية ، حلت اللغة اليونانية تدريجيا محل اللغة اللاتينية ، وانتهى الأمر بأن أصبحت هذه اللغة سببا منسيا ، وكذلك انمحى كل أثر للاتينية في افريقية الشمالية عقب الفتح العربي .

وتنص التطورات تصادعا في تاريخ انجلترا ، فقد عجز النورماند بكل ما أوتوا من الراعة والقوة عن فرض اللغة الفرنسية على هذا البلد .

وبمجرد سقوط حكومة النورماندين ، رجع الانجليز الى لغتهم القومية واحتفت لغة الفاتحين أمامها ، وكذلك توحد لغة السلتية (4) في عصرنا هذا في عدد من الولايات الأوروبية الشمالية ، التي انخرعها حكم الأجانب وسيطرتهم .

واذ كانت سياسة الرومان التي تتم بسداد الرأي وبالتعق والمواظبة لم تتمكن بعد سيطرة دامت عدة قرون من فرض اللغة اللاتينية على القبائل الأفريقية ، فان من الممكن الاعتقاد بأن حظ قرطاجنة

4 - السلتية جماعة من الشعوب تتحدث لغة عديدة لأوروبية . اكملت خصائصها في غضون آلاف الثانية قبل الميلاد . وقد كان مقرهم الأول في جنوب ألمانيا الغربي ، ومن هناك طردوا الى الجول واسبانيا والجزر البريطانية وداوي يلو ، وقد أخضعهم الرومان الفترة بين القرنين 1 - 2 ق.م . واللغة السلتية لا تزال ألبانما موجودة في برطانيا وويلز .

لم يكن أحسن من حظ الرومان ، وبالتالي ، فإن اللغة الشاوية كانت
موجودة في أفريقية قبل وصول الفينيقيين إليها .

ولو كانت هذه اللغة من أصل فينيقي . فكأن ننسى إلى منه اللسان
الذي تعرف بالسمية ، وكذلك بطبيعته الحال . فسرته البه بالعربية
والعبرية .

الذي لا أستطيع إصدار حكم في هذه القضية . ولكنني أعتمد على
رأي الدكتور شاو الذي يتفق مع أقوال لعرب وإيهود من سكان
البلد .

وإذا كانت اشاوية لا ننحدر من السامية . فإن من المحتمل أن ننسب
إلى أصل قديم من أصول اللغات المهمة المعروفة . وبالتالي ، فإن مولد
الشيء الذي يشمل هذه اللغة لا بد وأن يكون من أقدم شعوب
العالم .

إن رأي هيرودوت (5) بشأن أصل سكان أفريقية الشمالية طبيعي
وسيط في نفس الوقت ، ولا يحتاج لاسان لكي يتحصن له لا إلى
الساذجة المفرطة ، ولا إلى الخيال الجامح .

وعلى العكس من ذلك ، فإن من الصعب قبول ما ذكره صالوست (6)
إذا أمعنا النظر فيه . من أن سكان هذا الجزء من أفريقية ينحدرون من
جنود جيش هرقل الذي شنت شمله في إسبانيا .

5 - Herodote مؤرخ يوناني ولد في حوالي 484 وتوفي في سنة 420 ق . م . وقد
قام بعدة رحلات ودور في تواريقه جميع السواحل المغربية والجزائرية التي توضع
لتبين بين العالم القديم (مصر وميديا والفرس) والحضارة الأفريقية .

6 - Salluste مؤرخ لاتيني عاش في الفترة بين 86 - 35 ق . م . ، فبعد مغامرات
وقضائ في روما . ذلت إلى طرده من مجلس الشيوخ ، مما حائلا على موميديا حيث
عمل خصوصا لابتزاز الأموال وجمع لروء كبيرة ، وعقب وفاة القيصر أغسطس عن
السياسة وخضع وقتله للكتابة . ومن ثم كتب التي دسست إليها كتابه من حرب
بونوبلا ، ومؤامرة كتيهينة

والأعمدة المزعومة ، التي ذكر بروكوب (7) أنها تحمل كتابه بالغة
 نصفه موزع بأن سكان لبيد الأول يسمون إلى أصل من الكنعانيين
 الذين مردهم جالوت من بلدهم ، تبدو خيالية ، ورواية بروكوب غير
 جديرة بالثقة ، مثل رواية بلوطارح (8) في كتابه عن مشاهير الرومان
 بأن سيرتوريوس (9) قد اكتشف هيكلا عظيما للجبار اتيسوس
 يبلغ طوله ستين ذراعا .

انه من الصحيح أن أوروبا ، ربما تعرضت في عصر بعيد لمزود برايرة
 جاءوا من آسيا . ومن أوروبا اتجهت هذه الحشود إلى آساي ثم إلى
 أفريقيا الشمالية ، وهذه العزوات تسببها القصص التاريخية بمزوات
 هرقل ، ولكن هذا الفرض لا يوجد ما يدعمه .

سأعرض في ملحق خاص في نهاية الكتاب قائمة بحوي على الفاظ
 باللغة اشاوية وانقبائية جمعها بقدر ما تسمح به امكانياتي ، منجما
 بالالفاظ التي جمعها الدكتور شاد وغيره من الكتاب .

فني أشعر بعدم كفاية معلوماتي للخوض في موضوع مهم مثل هذا .
 وبكيفية لما كان غرضي هو مجرد الفات نظر الذين هم في وضع يسمح
 لهم بالتعمق في البحث ، فأنا أعتقد أن الملاحظات التي أقدمها ليست
 في غير موضعها .

7 - Procope مؤرخ بيزنطي ولد في نيقية في فلسطين وتوفي في حوالي سنة
 562 م . كان كاتبا ومؤرخا لجوستينيان ، وله كتاب الحرب والقصص .

8 - Plutarque كاتب أثيني ولد حوالي 50 وتوفي في سنة 125 م ، قام
 بأسفار في مصر وإيطاليا وأقام عدة مرات في روما قبل أن يعود إلى أثينا ، وله
 وضع عددا كبيرا من الرسائل والكتب ، وقد وصفتنا مجموعة من أعماله عن طريق
 الترجمة .

9 - قائد روماني 123 - 72 ق.م. ، وقد قام بثورة وحكم أسباب التي استغل بها من
 الإمبراطورية ، وانتهى الأمر باغتياله بمؤامرة من مساعده بربس Parthenax

10 - حديثا هذه القائمة المسيرة من الفاظ انقبائية حيث أنها لا ترتبط بموضوع الكتاب .

ان لغة الشاوية (11) هي لغة جميع القبائل التي تسكن جبال الأطلس ومختلف مملاسه التي تمتد في الجزائر وتونس ، وهي أيضا لغة سكان صحراء الذي تمتد من المغرب الأقصى حتى واحه سيوه . ودلت بأشياء . مناطق التي فتحها العرب ودخلوا اليها . وهذه اللغة يتحدثها الناس باختلاف يسير ، بحيث يتفاهم بها سكان جميع المناطق الواسعة التي يسكنها الشاوية ، مما يدل على أصالة هذه اللغة .

وعلى الرغم من أن القبائل يتمتعون بذكاء ولهم سلوك اجتماعي يتم بالرفقة واللين ، فهم لا يملكون استعدادا طبيعيا مثل العرب لممارسة اتجاره . والاستقلال هو الأمر الوحيد الذي يشغل ذهنهم وهو غاية وجودهم ومنى نالوا الاستقلال يعيشون بكل فرح وسرور مع الضر في مناح شديد الفسوء .

تلك على الأقل ، هي حالتهم السياسية في الوقت الحاضر . ونتيجة لمختلف الأسباب ، ربما تخلصوا من فائض السكان وهاجرت جماعات منهم تستقر في مستعمرات في مناطق لم تكن مأهولة . ولكن موافقهم الميعة في الجبال لم تكن لتجري الأجانب للإقامة معهم . وبهذه الطريقة احتفظت لغتهم بقاوتها عبر الأجيال .

وشعب بهذا التكوين وليس له دين خاص به ، كان لابد وأن يشعر بالحاجة لاعتناق دين جيرانه ، ولا سيما وأن قبوله هذا الدين لا يكلفه شيئا . والاسلام اندي لا يتطلب من معتقه سوى معرفة بسيطة ، هو افضل الأديان التي يلائم هذا الشعب اندي لا يزال على حالته الاولى . والقبائل يعتبرون الآن مسلمين بالاسم .

11 - جمع شاوي ، أي رامي النعم . أهم جماعات الشاوية التي يسميها البعض من محمد اوزان ، Sata هي شاوية تأسست بالشرب الاتصلي الذين يحتلون المناطق الشمالية الشرقية لأهل نهر ام وبيع ، و شاوية أوداس الذين يحتلون الكتلة الجنوبية للجبال التي تمتد في جنوب قسنطينة ، بين باتنة وبسكرة ، وقد ذكر ابن خلدون أن مصادر من قبائل الملاليين قد استقرت في مناطق أوداس وامتزجت الى حد ما ببايبر من الشاوية .

ويؤخذ مما ذكره الرحالة الوثوق بهم . ومن بهم هورمان
Lyon ولون عن الوارق. أن هذا الشعب أبيض اللون Hornemau .
كثير العدد ، شجاع ميل إلى الحرب ، وأن سلوكهم
وعادتهم السفهة ، تختلف اختلافا كبيرا عن روح الضفة التي نود في
بلاد فزان . وكذلك يسميهم هورمان « الشعب العظيم »

وأما القبطان ليون ، فقد ذكر أنه لم يرقط جسا من الرجال أحمل
من توارق وهم يحتلون ذلك ابلد الوسيط الذي يمتد بين فزان ،
وسني والسودان . ونيكتر والمغرب الأقصى ، ولحدود الجنوبية
بلاد البربر .

ولكن أكبر جزء من هذه البلاد عبارة عن صحراء شاسعة . وقد لاحظ
هورمان عندما تحدث عن واحة سيوة أن هذه الواحة تتحدث لغة
الوارق ، وقد عرض قائمة من الكلمات ليستدل بها على هذا الرأي .
ونحن لا نستبعد وجود علاقة ما بين « سيوة » و « شوية » . وكذلك
نلاحظ أن إحدى القرى الواقعة في هذه المنطقة تحمل اسم « أغرمي » ،
وهو اسم ربما اشتق من كلمة « اعروم » ، أي الخبز — بمعنى أن الخبز
كثير في البلد ، وبالتالي ، فهو كثير الخصب .

وقد لاحظ ليون أنهم يتحدثون لغة البربر الذين يسكنون جبال المغرب
الأقصى وبلاد البربر التي يسمونها « أرضا » ، ولكنه لا يقدم لنا أي
موذج لالفاظ لغتهم .

وقال أنهم يفخرون بتقديم لغتهم ويدعون أن نوحا كان يصل الحديث
بها عن أية لغة أخرى ، وأنهم لا يفهمون اللغة العربية إطلاقا ، وأنهم
لا يمهرون شيئا عن الإسلام ، وراء بعض العبادات ، ولكنهم مع ذلك
يسكنون بهذا الدين كثيرا .

وكلا الرحلتين يذكر أنه توجد بين التوارق عدد من القبائل الوثنية .

ومن هذه الحقائق يتضح لنا لا يدع محالا أنك ان سوارق سعب
اصيل لم تعرض اراضيه قط للمزو . وانه يحتفظ ببلعه قديمة لها صلة
وتيمه ببلعه القبائل والساوية . وهذا يقضى بنا الى نتيجة ، وهي ان هذه
البلعه من اقدم لغات العالم . وقد عاشت وعظمت على غزو الفينيقيين
والرومان وبيدال والعرب .

ويمكننا ان نلاحظ عابرين ان الصعوبات التي كان يواجهها العزاه
في شرق ليبيا قد ساعدت هذه الغالب البدائية على الاحتفاظ بتعاونها .
ومصر التي تهدمها لنا اقدم لتواريخ بانها مسكنة لشيرة السكان فوييه
الدولة ، ومحيط بها الصحراء من كل جانب لاند وانها كانت شكل عائما
لا يمكن اسعاب عليه لتبرير العزاه الاين من آسا . وهذه الجنود
اسا استقبلت امواجه المنصبة اروبا . حيث كان يطرد بعضهم البعض
الاخر بصورة وحشية ادت الى تدمير معالم الحضارة والمؤسسات والقضاء
على الغالب ، والى هذه تعامل يعود النوع الكبير في اللغات في اروبا
التي هي قارة صغيرة .

وغزو جيش قبيز (12) ليبيا بعد ما أخضع مصر ، هو الغزو الوحيد
الذي نعرفه من هذا النوع ، ولكننا نعرف أيضا ان حنسه قد هلك كله في
الصحراء . والمسيرة من الاسكندرية في مصر حتى واحة سيوة ، شيء أشبه
ما يكون بالمعجزات .

على أن الطريق التي سلكها الرحالة هورنمان ثبت أن هذا أمر ممكن
في الوقت الحاضر .

12 - قبيز ، ملك الفرس ، وهو ابن ميرداس الثاني (الكبير) . كان يملك الفرس في
فنون الفترة بين 528 - 521 ق.م. غزا مصر واحتلها وأسس فيها الأسرة السابعة
مصرية .

وكذلك يبدو أن الأمة الليبية قد بقيت على الحالة التي كانت عليها في
العصور الغابرة التي لا نعيها ذاكرة التاريخ ، وأن الاستعمار الفسيفسائي
والروماني بعده لم يكن له سوى تأثير أدبي .

وبعد هذه الأحقاب ، يقدم لنا التاريخ لمحات خاطفة عن هذه الشعوب
من الرحل التي تسمى « النوميدي » وعن موريثانيا ، انخ .

إنها شعوب تقاوم دائما ، وتخضع دائما ، ولكن أحدا لم يتمكن من
السيطرة عليها قط . هذه حالتها اليوم أيضا .

* * *

^a *See* text for details.

الفصل الخامس

ان قراصنة البحر وقطاع طريق مثل الجزائريين الذين يدفعهم غرور البربرية والجهل الى احتقار الفنون والعلوم وما طرا على المجتمع المتحضر من التقدم ، لا يستحقون التعانق من التاريخ لولا ان قدرا غربيا بخل بالشرف ويهين الحضارة ، شاء ان يندمج هذا البلد في نظام اوروبا السياسي . فان هؤلاء القراصنة الذين تداعبهم وتشجعهم اكبر دولتين بحريتين في العالم في عجرفة واحتقار للفواتين الدولية قد جعلنا منهم اداة للقضاء على تجارة الدول الصغيرة والضمان احتكار التجارة الدولية لهما .

ان فولتير يتحدث عن قصف أسطول لويس الرابع عشر (الجزائر) كما لو كانت هذه العملية واحدة من المعارك الكبرى التي جرت في عصر هذا الملك الذي ركه الزهو والغرور .

ولكن قصف الأسطول الهولندي والانجليزي في سنة 1816 للجزائر لا يقل شهرة عن الحادث الأول ، ولو هانين العمليتين هم تكملة سوى مظاهره وايرازا للقوة ضد عدو محقر ، ولم يكن لهم سوى قيمة الانذار للغيره بأنه اذا احترم مصاح بريطانيا وفرنسا ، يمكنه ان يعيث بمصاح بقية دول العالم ويهبط ويسلب بدون عقاب

ففي كلتا الحالتين — وهذا شيء مؤكد — حاق الهوان بالقراصنة وركعوا على ركبهم ، ولم يكن عسى المنتصر ، الا أن يبدي ارادته لكي يتخلص العالم من هذا الوباء . ولكن المنتصرين فصلوا على ذلك المحافظة على نفوذهم لدى مجالس الايالة لينخدوا منهم أداة للأصرار بمصاح الدول الأخرى .

وبعد ذلك الوفاء دعت الدولتان الكبيرتان في مراع . وكان لكل منهما حظ في النجاح يختلف باختلاف الظروف .

من الصحيح أن حصة إسبانيا ابيائة (1) وعجز البرتغال واهمالها في حرب دامت عدة أعوام ضد هذه الدولة ، قد اسبغت عليها صابعا من افسه والوقار الذي لم يكن يقوم على أساس .

اسي لا أجد صحت بصري الوثائق انصوريه لدرس تاريخ اجزائر القديم ، ولو وجدت مثل هذه الوثائق ، فمادا أعلمه منها ، عدا الممارك الدامية التي هي من انصوه بحيث لا تثير الاهتمام في الدول الأوروبية الكبرى التي تعمو وتتعدى عن ادعاءات هؤلاء لبرابر الذي يحسن شرف الحصاره . ومن ثم ، وبني لا أحسر بعدم املاكي هذه الوثائق .

وبيتي الآن تنحصر في أن أقدم عرضا سريعا دهيما لتاريخ حروبهم وعلاقاتهم مع الدول الأجنبية منذ سنة 810 . وهي اعرضه اسي ان يبدو فيها أن كبرياءهم وموتهم في ازدياد مستمر ، بينما كانوا على عتبة الانهيار .

عقب عهد الصبح الذي جعل من الولايات المتحدة دولة مسميه في سنة 1783 . ، اعقلت السفن ابحريه الجزائرية سمسيتين أمريكيتين في عرض المحيط الأطلسي . وبذلك أصبحت التجارة الأمريكية في البحر الأبيض المتوسط أمرا مستحيلا .

ولكن البرتغال كانت في تلك الآونة في حرب مع الايالة ، وصبقا للسياسة المتبعة في مثل هذه الحالات ، فقد احتفظ البرتغال ببارجة لحراسه مصيقي جبل طارق لمنع السفن الجزائرية من الخروج من البحر الأبيض المتوسط ، وبذلك تحس التجارة الأمريكية في المحيط الأطلسي

1 - ن سنة 1775 .

وقد صلت البحارة البحرية الأمريكية تواحه التهديد حتى سنة 1793 م ،
حينما قامت الحكومة البريطانية بحاة بعقد صلح بين الجزائر والبرغال .

وعقب ذلك مباشرة ، انتشرت السفن الجزائرية التي زالت العوائق
امامها الآن في المحيط الأطلسي . وفي ضربات متالية ، تمكنت في غضون
تلك السنة من اعتقال احدى عشرة سفينة تجارية أمريكية وأخذتها مع
بصرتها الى الجزائر .

وهذا الحادث نجم عنه زيادة في عدد الأسرى الأمريكيين في الجزائر ،
بحيث بلغ عددهم مائة أسير ، وقامت حملة كبيرة من الرأي العام
في صالحيهم .

وفي هذه الفترة كانت الولايات المتحدة قد خرجت من المشاكل الناجمة
عن حرب لاستقلال ، بفضل دستورها الذي كان يبدو أنه يشر بمستقبل
زاهر . ولكن البلد ومع تحت عبء دين قومي ، ثقيل وهو لا يملك
قوة بحرية . وكذلك بدت هذه الحرب الجزائرية كما لو كانت كارثة
وطنية .

وهكذا ظهر أن التفاوض مع الجزائر لتحرير الأسرى الأمريكيين
المحتجزين عبيدا هنا في الجزائر ، ولمع أعمال أخرى للقرصنة ، هو
الوسيلة الوحيدة أمام حكومتهم وقد اتخذت اجراءات طبقا لذلك .

ولهذه افاية ، كلف الكلونيل هامري ، الوزير الأمريكي في ليشبونة
من قبل رئيس الولايات المتحدة بالدخول في معاضات مع الجزائر .

وتبعاً لذلك ، كلف جوزيف دونالدسون بالذهاب الى لايبالة لعقد
معاهدة صلح ، تعهدت الولايات المتحدة بموجبها بأن تدفع للجزائر مبلغ
725000 دولار في مقابل فدية الأسرى الأمريكيين وعلى سبيل الهدايا
والمح الخ . ، كما جرت العادة .

وكذلك وعد دي جزائر من جابه بأن يساعد الولايات المتحدة
على الوصول الى عقد معاهدات صلح مع كل من دولة صربايلس وايرل
بوس

كانت احصاء المالية والثقة في الدولة متضرعة في الولايات المتحدة في
هذه الفترة بحيث ان الحكومة واجهت صعوبة كبيرة في جمع المبالغ
الضرورية للودء باسرامانها في نطاق المعاهدة . وكان التأخير في الدفع
مثارا لمخاوف الايالة ، الأمر الذي دفعها الى تقديم مطالب جديدة .

ونظرا لأنه لا يدخل في نطاق سطتي مراجعة اسجلات والوزن
التي تصل بهذا الموضوع ، فاني اقتصر على ذكر الحقائق ذات الطابع
العام والتي تهي بالعرض الذي حددته نفسي .

ومهما يكن من أمر ، قد جويل دارلو الذي عين موصا مؤفيا من قبل
الولايات المتحدة ، قد وضع حد في سنة 1796 لهذه انقصيه الشائكة بأن
دفع المبلغ الذي نصت عليه المعاهدة الي عيدها دونالوصون في السنة
اسابقة ، كما قدم بصحياب حديده ، بحيث يصل المبلغ ، اذا أضفنا
اليه الحائر التي تكبدتها الولايات المتحدة بجمعه ، الى حوالي مليون
دولار .

وبموجب هذه المعاهدة ، تعهدت الولايات المتحدة بأن تدفع صريه
سوية للجزائر مقدارها 12000 سيكوي (2) . وإذا اعسرنا طريقه
الحكومية التي يقرر بها الجزائر فيسه هذه الاشياء وسي يجد الولايات
المتحدة نفسها مضطرة للموافقة عليها ، فان قصة الصربية تكاد تكون
صفاء القيمة التي تحددها المعاهدة . وفيما يتعلق بالهدايا ، فان تقدير
قيمتها يخضع لقاعدة عامة .

2 Sequia عمله من الذهب ذات قيمة غير لائنه كانت تستعمل في الحراسر ون
الدولاب الإيطالية ول تركيا ، وبلغ من راحة شال لميسها أنها كذب في ذلك الحين
سودي في الجزائر بولارين ، الدولار الاساسي المعطية .

وكذلك اضطرت الولايات المتحدة طروف القاهرة لأن تدفع ضرائب للجزائر ، وعقب ذلك ، حيث اتسعت اتجاره الأمريكيه وزدهرب . زدن مطلب الجزائر وتنوعت ، في الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة تندي استعدادا للاستجابة ليها لكي تتجنب مطع العلاقات الذي سيؤدي الى وفوع خسائر فادحة في تجارتها وفقدتها لسمعتها اسياسيه .
تلك كدب طبيعة العلاقات بين الجزائر والولايات المتحدة حيثما قامت الايالة ، بدون أي استفزاز ، باعلان احرب عليها .

والمعروف أن علاقات فرنسا بالايالة ، اذا لم تكن دائما ودية ، فقد كانت أكثر استجابة لمصالحها ، من علاقات الجزائر بأية دولة أخرى . فان فرنسا كانت أول دولة أوروبية بعقد معاهدة مع الباب العالي ، كما كانت أول دولة توقف انقرصة الجزائرية عند حدودها ، بمعاقبة اعداءاتهم . وبدت كنه ، تركت في نفوس البربر آثارا عميقة وملائمة للسياسة الفرنسية . وقد كان الرأي السائد عند الجزائريين هو أنه يجب عليهم أن يمتنعوا في جميع الأحوال عن إثارة أعمال العدوان مع فرنسا .

وقبل لثورة الفرنسية ، كانت فرنسا قد حصلت على احتكار صيد المرجان في ولاية قسطنطينية ، في مقابل مبلغ زهيد ، كما كانت تحتفظ بحماية في انقالة ، غير بعيد من عنابة . وكانت توحيد شركة تحمل اسم « شركة افريقية » قد منحت ترخيصها لاستغلال هذه المادة ، وكانت تستغلها بالنشاط والحماس الذي يميز الأمة الفرنسية الدكية .

وكذلك كانت تجارة مرسيليا مع جميع البلدان الواقعة على شواطئ البحر الأبيض الأبيض تجارة واسعة النطاق .

وبعدما أعست الجزائر الحرب على الدولات الايطالية ، أصبح العلم لفرنسي في البحر الأبيض لا يجد منافسا له الا علم انجلترا وأعلام لدول اشمالية .

لقد كانت لسياسة الفرنسية نحو الجزائر تقوم على مقتضى الظروف :
مصره . معصه . ملمحه . معرضه . مثايره . وكان قناصلها . عادة .
يتمتعون بدرجة عالية من الكفاءة . ويعرفون جيدا مصالح بلدهم .
وبمصل الهدايا التي يقدمونها في المناسبات والرشوة التي يدفعونها
لشراء الحظوة عند أعضاء الحكومة الجزائرية ودوي النفوذ ، توصلوا
الى غايتهم . والمال لم يكن يهمهم ، بل ان كرامة فرنسا نفسها ، لا تهتمهم
بقدر ما يهمهم تحقيق هدفهم الوحيد ، وهو الفوائد التجارية .

والجزائريون ان الذين يعرفون جيدا اسرار سياسة فرنسا ، سمحوا
لأنفسهم ، نبع لذلك ، أكثر من مرة بالتعرض للسفن التي تحمل العلم
الفرنسي ، وهم على يقين من أن المفاوضات التي تنقل تلك الأعمال ،
ستكون تنبجتها ، حتما في صالحهم .

ومع ذلك ، فإن قناصل فرنسا لا بد وأن يكونوا قد أوضحوا لجزائريين
أكثر من مرة وبصورة مفيدة ، أنه قد يكون التجزؤ على دولة قوية
ولتحرش بمصالحها أمرا خطيرا .

ثم تمزول فرنسا قط أي حد أن تدفع ضريبة سنوية الى الجزائر ، ولكن
الهدايا التي كانت تقدمها كانت دائما فاحرة وتقدمها في الوقت الملائم . بل
انه لمن المرجح أن يكون مجموع ما تدفعه فرنسا للجزائر ، أكثر مما تدفعه
أية دولة أخرى . وقد كانت فرنسا دائما ، على استعداد لتقديم أية
خدمة تدل على الخضوع ، وذلك حتى ولو كانت تطوي على خرق
للعانون الدولي .

ولكن الثورة وضمت حدا لهذه الحالة . ولما قامت الجيوش الفرنسية
بمصر ، حمل الباب العالي الحكومة الجزائرية على اعلان الحرب
على فرنسا . ولكن هذه الحرب لم تكن الا حربا اسمية كان الجزائريون
يخوضونها وهم يعتقدون أنها ضد مصالحهم .

ولما تولى نابوليون الحكم . جدد معاهدة التحالف بين الجزائر
وفرنسا .

وعقب ذلك ، التجأ الى ستعان لنفوذ واتّمر ، وابتدأ استخدام
ما بقي من احطوه السابقة لفرنسا والى التخوين بقوتها . فاضطر
الاية الى أن نطق سراح العبيد الذين كانوا محجزين في الجزائر ممن
يسمون الى مخلف الدويلات الايطالية التي ضمها نابوليون الاول الى
الامبراطورية الفرنسية ، والتي حصل على اعتراف بكونها تشكل جزء
لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية .

ولكنه ، مع مرور السنين ، وبظهور تفوق الأسطول البريطاني ، أخذ
لنفوذ الفرنسي في الرواء تدريجيا . وكذلك حصت بريطانيا على نفس
الامتياز الذي فقدته فرنسا لصيد المرجان . وفي الوقت الذي آكب
فيه هذه الملاحظات تغلب نفوذ خصم فرنسا المتفوق عليها تعلما يكاد
يكون كليا .

وأما اسبانيا ، فانها ، بعد الصلح امين الذي عقده مع الاية في
سنة 1785 ، وبعد الحملة البائسة التي قادها الكونت «أوريبي» (O'Reilly)
في سنة 1774 (3) وعطيات قصف الجزائر التي قام بها
الأميرال بارسلو (Barcelo) حتى سنة 1784 ، والتي كانت عديمة
الجدوى لقلة المواطبة عليها ، فقدت كل نفوذ في الجزائر . وعندما امتلأت
نفوسهم بالاحتقار لهذه الدولة التي لم تكن قادرة على استعمال ما لديها
من وسائل القوة ، راح الجزائريون يكيلون لها الشتائم والاهانات
والمعاملة التي أضرت كثير بمصالح هذا البلد . ومنذ ذلك الحين . كانت
الجزائر تضطر سبانيا لانتفه الأسباب الى دفع الأموال .

وهولندا تستحق فقرة خاصة لأنها أول دولة متبذنة تقوم بدفع
انضمية الى الجزائر . وكذلك كانت سياسة هذا البلد تجاه الجزائر ،

3 - وثقت هذه الحملة في سنة 1775 .

لا تقوم الا على الحسابات التجارية الوسيعة ولا يدخل فيها أي اعباء
سكرامة أو نفوذ .

وأما سياسته لدول اشمالية بجاء الجزائر ، فقد كانت تنحصر في
المحافظة على اسم بأفضل ما يمكن أن تحصل عليه من الشروط . وقد
تأثر الجزائريون كثيرا بحسن نيت هذه الدول وبوفائهم بالزاماتهم في
نطاق المعاهدات التي عقدت معهم ، وذلك على الرغم من أن الجزائريين
يعانونهم بالطريقة التي يرون أنها تخدم مصالحهم أكثر من غيرها (أو
قل بالطريقة التي ترصي جشعهم) حيث أنه يحدث من جهتهم أن يتجاهلوا
المعاهدات التي عقدها معهم كلية .

وأما سياسة بريطانيا بجاء الجزائر ، فقد كانت تستهدف نفس الأهداف
التي تسعى لتحقيقها فرنسا ، ولو أنها تلجأ الى وسائل غير الوسائل
التي يستعملها خصمها . متى كان السلم يسود في أوروبا ، لا تفكر
بريطانيا قط في لطمق ريادة كبرياء الجزائريين وغيرهم . بل انها في
المناسبات العادية تبدى كثير من ابخس في الهدايا التي تقدمها . والرجال
الذين تختارهم لتميها في الجزائر كثيرا ما يكونون من طبقة عادية ولا
يتمتعون لا بمعرفة محدودة والوكلاء البريطانيون في الجزائر يحضمون
لسلطة قائد الأسطول ابريطي في البحر الأبيض المتوسط ، أو لحاكم
ميورقة ، أو جبل طارق ، أو مالطة .

وربما كان عدم حصولهم على تعليمات الضرورية هو السبب الذي
يجعل هؤلاء المعتمدين يقعون في أخطاء ، لأنه حدث أكثر من مرة أن
استدعتهم حكومتهم بناء على شكوى من سلطات الايالة .

وإذا كانت بريطانيا تنهج سياسة تجاه الجزائر لا تتسم بنفس المتابعة
والمواظبة التي تتسم بها السياسة الفرنسية ، وتستهدف نفس الأهداف
التي تسعى لتحقيقها غرضتها ، فهي مع ذلك ، تطالب دائما — وليس

بدون حدود - نفس الاعتبار والمكانة التي تمتع بها فرنسا ، ولكن بريطانيا تنازلت في أوقات الحرب لتتعاقد مع عريبتها في تقديم نرسات والترلف الى هؤلاء القراصنة ، وهو شيء يتناقض مع شخصيتها .

انني اميل الى الاعتقاد ، باعتبار الى لسياسة الخاطئة التي نتهجها بريطانيا تجاه الجزائر ، بأنها سطر الى الجزائر تحت تأثير الانطباعات القديمة ، عندما كانت هولندا أكبر دولة بحرية مدعسة لها ، وأنها لم تقدر الأهمية الحقيقية التي لهذه الدولة البربرية حتى قدرها . لأنني لا أرى بريطانيا تتأمر في الجزائر . عموما ، صد أية دولة أخرى غير فرنسا .

وقبل سنة 1816 ، كانت بريطانيا تتدخل في الجزائر لصالح أصدقائها ، وهذا التدخل اذ اكدت به فائدة التعجيل بالمفاوضات ، فهو فلما نجحت عنه شروط أفضل من الشروط التي يستطيعون الحصول عليها بدون تدخلها . ونحن لا نستطيع ان نسر بطريقة أخرى ارساليات الحرية التي تقدمها بريطانيا الى الجزائر التي لا تستطيع ان تصدث ضررا بمصالحها أو تقدم اليها خدمة جوهرية

وليس من شك في أنه لم تكن توجد ضرورة لقصف الجزائر بالمدفع - تلك العيلة التي كلفت كثيرا من المال والأرواح - لو لم يثن الجرائمون ، بسبب ما نلموه من تسلق وانزلق ، واثرييات التي جاءت في غير أوتها . ويتعمقوا بأذيال الأمن في أنهم يستطيعون مقاومه الدول الكبرى ، وبالتالي ، انجلترا وفرنسا .

تلك هي اوصعية لسياسة لمختلف الدول المعروفة والتي تحفظ بتثيل ديبلوماسي في قصر انداي بالجزائر في سنة 1810 ، حينما كانت البرتغال تاصل من أجل وجودها القومي ، بعد عرو اعراسيين بهذه المملكة ، في الوقت الذي يحتل فيه حلفاؤها جزءا هاما من أراضيها ،

وتجارتها تعرض للقرصة لحرارية (وقد تمكن الجزائريون من أسر
بارجة برتغالية دون أن يستعملوا السلاح ، وبطريقة مخزية للأسطول
البرتغالي) .

وإزاء هذه الأحداث ، صممت بريطانيا على استعمال نفوذها
في الجزائر في صالح حليفتها العائرة الحظ ، وتحريرها ، على الأقل
مؤقتا ، من مضايقات أعدائها لها .

وفي شهر مايو من نفس السنة ، سافر سكرتير المفوضية البريطانية
في ليشبونة من تلك العاصمة قاصدا الجزائر ، حيث أجرى مفاوضات
مع السلطات الجزائرية لمقد هدية ، أو بعبارة أدق لوضع المواد الأولى
لمعاهدة الصلح بين البلدين . وتقضي هذه الصوص بأن تدفع البرتغال الى
الجزائر مبلغ 690,000 دولار ، مصفا له مبلغ 337,000 دولار
فديه للأسرى البرتغاليين المحتجزين في الجزائر والدين يينغ عددهم 615
أسيرا .

وكذلك تعهدت بريطانيا بأن تستمر على استخدام نفوذها في الجزائر
للحصول على عقد معاهدة نهائية للصلح .

وفي غضون السنة التالية ، دفعت البرتغال الفدية وأطلق سراح
الأسرى البرتغاليين المحتجزين في الجزائر .

وفي سنة 1812 ، عقدت بين البلدين معاهدة صلح نهائية بواسطة
السيد أ . كورت A. Court . لوزير البريطاني المفوض لدى دول
المغرب ، دفعت البرتغال بموجبها الى الجزائر مبلغا اضافيا قدره نصف
مليون دولار ، كما تعهدت بأن تمنح ضريبة سنوية قدرها 24,000
دولار ، بالإضافة الى الهدايا التقليدية التقليدية وهدايا فترة كل
سنتين .

وعقب عقد هذه المعاهدة . عين فصل إنجلترا في الجزائر قصلا للبريفال أيضا ، وهو لا يزال يقوم بهذه المهمة لدى كتابة هذه السطور . ويتقاضى من أجلها المرتب والمنح العادية .

وقد اشهر سبر وليام أ . كورت منذ ذلك الوقت ، بوصفه ممثلا للملكة ، في مناسبتين هامتين . وأما لا أشك في أن التاريخ لن يهمله حينما يحدث عن انحصار انمود الانجليزي عن انقارة الأروبية .

وفي نفس السنة (1810) حينما قضت معارك الحرب العنيفة على تجارة الدول المحايدة في المحيط الأطلسي ، عجزت الدول التي تدفع الضرائب للجزائر عن ارسال القناد الحربي والبحري الذي تنص عليه المعاهدات التي تربط كلا منها بالإيالة ، وعند هذه النقطة ، كانت الجزائر في حالة يأس وأوشكت على وقف أعمال قرصتها ، ولكن هذا كان هو الوقت الذي اختارته إنجلترا ، بدافع من السخاء لا يمكن تصوره ، لكي ترسل اى جزائر ثلاث سفن كبيرة ، تحت حراسة بارجه حربية ، مشحونه بالصواري والكتابات ولجباب والبارود للمدافع والرصاص ، وغير ذلك من مواد لحرب ، وقد وصلت هذه القافلة البحرية الى الجزائر في 16 مايو 1810 م .

كان الجزائريون يعتبرون هذه الشحنات هبة بدون مقابل ، ولكن إنجلترا طالبت بعد ذلك بدفع هذه البضائع . وقد ألح اللورد اكسموث (Exmouth) على هذا الطرب وانرحح أنه أجيب عقب قصف مدينة الجزائر في سنة 1816 .

وفي سنة 1811 ، فاجأت سميه للقرصنة الصقلية تدعى «رودينيللا» احدى اسفن الشاطئية الجزائرية وأرسلت بها الى أعماق البحر ، وفي يوم 22 من نفس الشهر ، وصلت سفينة لقرصنة أسبانية بقيادة قبطان يسمى بارسلو Barcelo الى مدينة عنابة لتزود بالمواد الغذائية ، وقد اتهمت السلطات الجزائرية هذا لقبطان بأنه هو الذي أغرق سفينة

سوامي، حرره . كتاب ان حصل لاسي بزغ دله بسفه
و شرعه حصل في حقه و حصوله على رخصات
دله

و قد حصل من قبله و
و و

و هو ان حصل و
و و

و و
و و
و و
و و

و و
و و
و و
دولار

و و
و و

و و
و و

و و
و و

وقد كان من نتائج هذه التطورات أن أرسيت سبعة نقل المسافرين
لبريطانية ، «دي ندوميتد» The Indemtped الى الجزائر تحمل
70000 دولار جمعت بعناء في الأهاض والحرائب التي تركها الحرب
في أسنيا ، وقد كف رمان اسفينة ، الكومندان آدم بحراء معدومات
بحج فيها بأن أعلن للدائ أن أسبايا لا تستطيع ، وهي في وصعبتها
البائسة الحالية ، أن تقدم اليه مبلغا أكبر .

وفي نفس الوقت ، وتعرير هذه المفاوضات ، رقي نائب القنصل
امى مصب القنصل اعلم ، وسلمت الهدية التي تقدم في مثل هذه
المناسبة الى الداي ، بواسطة الحكومة البريطانية .

وعقب هذه الأحداث بوقت قصير ، استولت بريطانيا على جزيرة
صقبة ، ورأت أن تحمي الملاحة الشاطئية وسكان شوملى الحرية من
عارات القرصنة الجرائرية ، بحجة أن الموانئ الايطالية التي يحتلها
فرنسا ، تتمتع بنفس الحماية .

وكذلك استخدمت بريطانيا قرونها لدى الجزائر لهذه الغاية .
وحصلت على هذه صقليه - كما حصلت على تحرير الصقيين الذين
كانوا أسرى محتجزين في الجزائر .

اني لم أتمكن قط من معرفة ما اذا كانت بريطانيا قد اشترت هذه
الهدنة أم أنها كانت مجانا .

وفي شهر أبريل 1812 ، تلقى الداي رسالة من الأمير الوصي على
عرش انجلترا ، وحولها الى الكولونين بير قنصل الولايات المتحدة
العام في بلاد المغرب اذ داك ، بحجة رغبته في الحصول على ترجمة
دقيقة لها باللغة الفرنكية Lingua Franca ، وفيما يلي نسخة من هذه
الرسالة كما نقلها القنصل الأمريكي في حينه :

« يصرح الأمير الوصي على العرش باسم والده ، جورج الثالث . بأن المرض الطويل الذي يعاني منه الملك قد حال بينه وبين الرد على رسالة الداي التي نقها الى لندن سفيره ، الحاج حسن ، وهو يعرب عن أوثق علاقات الصداقة للداي ، تلك الصداقة التي تقوم على المعاهدات التي تربط بين البلدين ، ويؤكد للداي أنه سيجي عاصمه بواسطة أسطوله ، م دمت علاقات الصداقة قائمة بين الأمتين . وهو يصرح بأن الأسطول البريطاني هو سيد جميع البحار وبقي الرعب في الدول البحرية ، وأن كل من يحاول الوقوف في وجهه سيشي الأمر ماحضاه .

يرجو من الداي الا يسمح لأعداء بريطانيا العظمى بالمساس بعلاقات تصهم والانسجام القائمة بين الأمتين ، وألا يصغر الى أقوالهم الخداعة .

وسفيره سيفله مدى حسن استقباله ومعاملته في انجلترا .

وقد وجه اليه هدايا ، وهي عبارة عن بعض المنتجات الصناعية للمملكة (البريطانية) .

« حرد في قصر كارلتون في الرابع من شهر يناير ، 1812 » .

هذه الوثيقة الخطيرة اثنان والتي وقع عليها الأمير الوصي على العرش وصدق على توقيع الملورد ليفربول ، والتي تمير عن التزام بريطانيا بمحاكمة للدفاع عن الجزائر ، بشرط أن تحترم الاياة معاهدات الصداقة القائمة بين البلدين ، تدل بوضوح على مدى تقدير بريطانيا ورعايتها لهؤلاء البربر .

وفي هذه الفترة ، بلغ اجزائيون عدة مجدهم وقوتهم ، فكانت الدول البحرية تسمى للحصول على الخطوة لديهم بدون فتور ولا كلل،

وقد اعتقدوا أنهم باستيلائهم على بارقة أروية في معركة على أفراد ،
قد أثبتوا تفوقهم البحري على أسس متينة .

وكذلك انتصر الجزائريون في حربهم ضد تونس انتصار مينا .
وأسروا في إحدى معارك هذه الحرب بارقة أخرى . بل أنهم اجتروا
على اهانة الباب العالي بأسرهم عددا من السفن اليونانية التي تحمل
علم السلطان .

كان الجزائريون عند هذه المرحلة يسبحون بأهم أعظم قوه بحرية
بعد بريطانيا العظمى .

وفي هذه الظروف الملائمة ، قرر الداي اعلان الحرب على الولايات
المتحدة الأمريكية ، وقد كانت هذه السياسة تنطوي على العوامل التي
أدت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، الى أعظم الكوارث التي واجهتها
الجزائر حتى ذلك الحين ، والتي لن تنتهي آثارها ، على الأرجح ، الا
بفقد هذا البلد استقلاله والقضاء على قرصته .

لقد اتخذت السلطات الجزائرية هذا الاجراء بناء على نصيحة بعض
اليهود الذين كانوا يتمتعون بحظوة كبيرة لدى الداي في تلك الآونة ،
والذين كانوا على رأس شركة تجارية خطيرة الشأن .

فقد أخبر هؤلاء اليهود الداي بمدى اتساع نطاق النحارة الأمريكية
وكيف أن الأمريكيين يتحملون بدون امتعاض أعمال القرصنة التي تقوم
بها سفن الدول المحاربة صدهم ، واستنجوا من ذلك ، بطبيعة الحال ،
أن الجزائر تستطيع أن تقوم بنفس الأعمال ، بحيث سيتهي الأمر
بخضوع الولايات المتحدة ، وبحصول الايالة على مبلغ كبير من المال ،
في مقابل تجديد معاهدة السلام معها .

وحيث إذا نظرنا إلى الأمر على أساس لحسابات الواقعية التي تقوم عليها الشؤون البشرية ، فسجد أنه من غير الممكن اتهام هؤلاء يهود درنكاف خطأ كبير في تقديرهم ، وهم لم يكن في إمكانهم أن يعرفوا أنهم في الوقت الذي يسدون فيه صفائحهم للدائي ، كانت الولايات المتحدة قد أعلنت الحرب على بريطانيا العظمى . وهذا لحدث من شأنه أن يدفع إنجلترا إلى اخراج سفينها الحربية من البحر الأبيض ، وأن مصر الحرب سيتوقف على حوادث لا تستطيع الجزائر أن تدعي أية سيطرة عليها .

واللحظة التي اختارها الدائي لإعلان الحرب على الولايات المتحدة ، قد أسبغت على هذا الإجراء طابعا من العدوان الواضح والمتعمد .

في 17 نويو 1812 ، وصفت سفينة أمريكية تسمى « لداني » إلى ميناء الجزائر يحمل على متنها مقابل الضرائب السنوية المستحقة للجزائر من الذخيرة والعتاد الحربي ، وقد استقبلت السفينة بظاهر تدل على الرضا ، وبدأت عمليات تفريغ شحنتها ، وبمك انداء من يحمل إليه جميع هواتر المشحونات ، ولما اطلع عليها أدبى كثيرا من لسطخ والغصب ، لأنه لم يجد كميات البرود والكانلات التي طلبها ، كاملة .

وقد راد عصب الدائي حياء عرف أن السفينة نفسها قد حمت كميات من البرود لسلطان المغرب الأقصى في جبل طارق ، كما حملت على متنها بضائع أخرى لشركات وأفراد ، وقد تظاهر بأنه يعتبر هذا السلوك من الولايات المتحدة مهينا لشخصه .

وعقب ذلك ، أمر قنصل الولايات المتحدة بأن يدفع المبلغ المستحق للإيالة على بلده بملل امير . وبأن يرخص هو عن الجزائر في الخمس والعشرين من نفس الشهر ، برفقه عائلته وجميع المواطنين الأمريكيين الذين يعيشون في الجزائر .

وأما الفصل الذي كان يدافع على ما كان يعتقد أنه مصلحه بلده .
فقد احنح بكل قوته على هذا الاحراء التعسفي ، ولكن بدون جدوى .
وقد اضطر الى الرحيل في اليوم المحدد .

وفي منتصف شهر سبتمبر التالي . أسر المراسنه الجزائريون سفينه
صغيرة ذات ثلاث صواري ، تابعة لمولايات المتحدة وممها بحارتها ،
وهذه الغيمة الضئيلة القيمة هي كل ما حصلت عليه الجزائر نتيجة
لاعلان الحرب بكثير من العجوه والكبرياء . مع الأمن في الحصول
على غنائم كبيرة .

وفي السنة التالية ، قامت الحكومة الأمريكية بمسعى تحرير أسرى
السفينة في مقابل دفع الفدية . ولكن الذي رفض الدخول في أية
مفاوضات لهذه الغاية ، مصرحا بأنه نعر هؤلاء الأسرى أكبر قيمة
من أية فدية .

ذكرنا أن الامبراطور نابليون قد حمل دور المهرب على احرام
الأشخاص وممتلكات سكان الحر وشواطئ المساطق (الابطالية) التي
ضمها الى الامبراطورية الفرنسية . ولكنه بعد أقول بحجه ، عاد هؤلاء
ابريز الى ممارسة عمليات القرصنة ضد الشواطئ الايطالية التي نفيت
بدون دفاع .

وكذلك تعرضت هولندا التي انفصلت عن الامبراطورية الفرنسية ،
وانضمت الى الحلف انذي شكل من أجل اعادة النظم والشرعية في
أوروبا ، لغارات الجزائريين وهجماتهم .

والسويد التي انضمت الى نفس الحلف ، وجئت نفسها في وضعية
مماثلة بوضعية هولندا ، وذلك لأن الجزائريين تذرعوا بحجة التآحر
في دفع الضريبة السنوية ، وأعطوا أوامر بالاستلاء على السفن

السويدية ، وفي شهر يوليو 1814 ، استولوا على سبع سمن تابعة لهذا البلد وتحمل عنه واقتادوها الى ميناء الجزائر .

كانت شحنات أربع من هذه السفن تتكون من الأقمشة ، والملح ، والقهوة ، والسكر الخ ، قدرت قيمتها بنصف مليون دولار ، وقد استولت عليها السلطات الجزائرية .

ولكنه في نفس الوقت ، وصلت السفينة السويدية التي يحمل الضريبة السنوية وتحرسها بارجة حربية ، وقد تمكن السويديون من تجديد معاهدة السلام مع الايالة كما أعيد اليهم جزء من الأسلاب التي أخذت والتي أمكن التعرف عليها ، باعتبارها ملكا للسويد ، وأما البصائع الأخرى التي تقدر قيمتها بنصف مليون دولار ، كما ذكرنا ، فقد وزعت بها بين القراصنة .

وفي نفس الجولة للقراصنة ، أسر الجزائريون سفينتين أرسيتا في ميناء جبل طارق ، ومن هناك ، أخذهما تحت حمايته ضبط من البحرية البريطانية ، وأرفق بهما سفينة حربية ، حتى وصلت الى ميناء الجزائر في شهر أغسطس من نفس السنة ، ولكن إحدى السفينتين كانت تحت حماية العلم البريطاني ، ولذلك أطلق سراحها في الحال ، وأما الأخرى ، فقد كانت تابعة لآسانيا ، وأعلن أنها غنيمة شرعية .

ربما كانت سنة 1814 ، أعظم السنوات قيمة في تاريخ الحضرة ، فمن هذه السنة قد شهدت نهاية حرب طويلة دامت عدة سنوات ، واجرت ايها جميع الدول الأوروبية ، كما شهدت انحلال أعظم تكتل للدول في تاريخ الانسان (امبراطورية نابوليون) ، وحكومة الولايات المتحدة المسألة قد حرقها هي الأخرى تبار الحرب ضد بريطانيا التي عقلت معها معاهدة صلح في 24 ديسمبر من نفس السنة .

وبذلك انقلب آخر شراره بحرب اني سرى الخراب والدمار في
الممالك المسيحية

ثم بقى سوى الحرائق ومخاضها لمعوس ، لحكم صمو اللاء
واعدوا الحق عادى الاساسه .

وفي نهاية هذه السه (1614) ، عقد مؤتمر في فرنسا جمع الدول
محصدة في عهد لاونيه . وحدثت حرب مودينا سنة 1615
بعدها ، لانبار ، ولسان ، وريش ، ومع لامي

وفي سنة هذا المؤتمر طلب جان (في الاسل محاسن) لماسه
جميع حسان معه ، وحدثت حرب حسان ومؤتمر حسان
سنة 1618 من ضمنها حدثت حرب حصر سالز

هل حصل هذا المؤتمر بغير ائصال لغيره اني طلب عليه ؟

ذلك سؤال لا يصيب البحث من حروب في هذا الكتاب .

ولكنه حرا لان مؤتمر هذا قد صاح صان دن صاح عام مثل مياه
بحريم الرن وانحداره في العهد لافريمي (وهي صان دن صان
هذا دونه بحريه كيره لانصار اناسه وديبه واناسه) فقد دن
من انصبي ان يصر اناس من هذا حوسر ان يبحث ادعاءات هؤلاء ،
البرير لماسه سبوت لاجسي ودين دنو حيند يحجرون اكثر
من انهي من الاروبيي في قيد حدوديه ها . ويحد حراء بحريم
الفرصة ، التي هي لطفه سبه لمحصاره ، اناسه كليا

كانت بريطانيا قد آلت لكل نقل هودها بحق في هذا المؤتمر وايدس
فكره الماء الرن الأسود . ولكن فرنسا واسبانيا والبرتغال كانت
تعارض مرارا بهذا الشأن بدافع من مصالحها الخاصة . ولكن بريطانيا
لم تعارض سوى معارضة مائمه فكرة الماء استقلال كل من ايطاليا

وبولندا والبندقية وحملة ، بل وحتى تقسيم حلفائها . دولة سيكون
لقديمة ، لأرضاء شهوة حلفائها وشرهم .

ولكن بريطانيا كانت تسعى بأذن صماء لكل اقترح قدم أمام المؤتمر
يستهدف تحريم قرصة بلاد البربر ، ولما سئل رئيس وزراء بريطانيا في
أبريل بعد ذلك ، بشأن هذه القضية ، ادعى أن معاهدات بريطانيا
مع مدن المغرب هي التي سرر هذا الموقف ، ولكن المؤرخ الذي عاج
مؤتمر فين ، لم يتردد في أن يصف موقف الوزير البريطاني فيه بأنه
قد أوحى به الأناية ويقوم على صغط المصالح (4)

على أن حدثا أخذ تتطور وسيكون من شأنه أن يدحض آراء هذه
الدولة في صالح القرصة البربرية ، ويجعل المزيد من لتأييد لها في
المستقبل عملا لا طائن وراءه .

وبمجرد التصديق على معاهدة «خانت» Ghent **قرار الكونغرس**
الأمريكي الذي كان مخمعا أنه لم يعد يحصل دفع الصربة للجزائر .
وأعلن الحرب على الأيكة . وبعد الإجراءات الضرورية لأرسال جواب
بحرية إلى البحر الأبيض المتوسط لكي دعم الجزائر على عقد الصنع .
أو تقوم بحماية السفن التجارية الأمريكية ضد القرصة .

وفي هذه المناسبة وقع اختيار رئيس الولايات المتحدة على شخصي
وعلى القبطان بيبريدج (Bainbridge) والقبطان ديكاتور
(Decatur) قائدي الأسطول وكلنا وكلنا بمهمة عقد صلح مع
الجزائر .

أبحر من ميناء نيويورك مع اصابط الأخير في شهر مايو سنة 1815 ،
وكانت فرقة الأسطول التي وضعت تحت قيادة الأميرال ديكاتور تتكون

4 - انظر الملحق ج .

من ثلاث بوارج حربية وسلوب (مركب شرابي واحد الصارية)
وسفينة حربية ذات صاريتين وثلاث سكونات .

دخلنا الى البحر الأبيض في بداية شهر يونيو ، وفي يوم 16 من نفس
الشهر ، التفتنا ببارجة جزائرية في عرض البحر ، مقابل رأس جات
وأسرناها (5)

وبعد ذلك بومين أسرنا سفينة حربية جزائرية ذات صاريتين . وفي
2 من الشهر ، وصلنا الى عرض البحر المقابل للجزائر .

ولمبقا لتعليمات التي بحملها ، اقترحنا على الايالة الشروط التي
تستطيع على أساسها تجديد معاهدة اسلام مع الولايات المتحدة
الأمريكية .

لقد أخذ الجزائريون على غرة بهذه الأحداث ، ونظروا لأن أسطوبهم
كان يجول في عرض البحر في تلك الأثناء ، فقد قبلوا ، تقريبا ، جميع
الشروط التي أمليناها عليهم ، وبدون مناقشة . وقد تم توقيع المعاهدة
الجديدة يوم 30 يونيو .

وفي مساء نفس اليوم ، نزلت الى البر في الجزائر بوصفي فصيل
الولايات المتحدة ، وهو اللقب الذي حلعه علي رئيس الولايات المتحدة
الأمريكية ، في حالة توقيع معاهدة السلام .

لقد تعاقبت الأحداث بصورة سريعة أجد صعوبة في تصديقها . وكون
الجزائر ترضخ وتخضع أمام أول تهديد تواجهه ، فهذا شيء يبدو لي
غير قابل للتفسير . ولكن نظرة خاطفة اقنعتني بأن قوتهم لم تكن سوى

5 - راجع مقدمة المرحم أملاء .

شبح مصحك . ولدك أسمت لأن تعليماتنا لا تسمح لنا بأن نزل بهم
عقابا رادعا (6)

وعقب استمراري رسميا في منصب الفصل العام . وجهت على متن
سفينة ذات صاريين تسمى « إيبيرفيسي » Epervier نسخة من
المعاهدة الجديدة لكي تعرض للصديق عليها من الحكومة .

وبانتهاء مهمتها ، انطلقت لجنسنا ، واتجه الكمودور ديكانور على رأس
الأسطول للقيام بزيارة لنوس وطربس . وأرغم حكومتي الولايات
على أن تدفع كل منهما إليه مبالغ مقابل عدد من السفن الأمريكية التي
احتجزها الأسطول البريطاني ووضعتها في مينائها ، منقضا بذلك
لما تنص عليه المعاهدات التي تربط البلدين بالولايات المتحدة .

وهذا الدرس أحدث أثرا بالغا في دول البربر لم يكن له مثل مد
ظهور فرصتهم إلى الوجود .

وفي هذه الفترة ، عاد الامبراطور نابليون للظهور على المسرح
الأوروبي من جديد ، ليواجه حيوش الدول الأوروبية المتحالفة في معركة
واترو (7) واضطر إلى التنازل على العرش للمرة الثانية .

وعقب هذه الأحداث ، عقد ملوك الدول المنصرة اجتمعا في باريس
ليتباحثوا في مصير الجنس البشري . وهناك بلغتهم أحبار العقاب الذي
أنزله الأسطول الأمريكي بالبلدين المذكورين .

إن هذه الأحداث لا يمكن أن تتم في الأوقات العادية سوى البلدان
التي يصيبها الأمر . ولكنها في هذه الظروف ، أبرزت عجز الجرائزين

6 - راجع الملحق د .

7 - مكان يقع في جنوب بلجيكا ، غير بعيد عن جبل سانت جان ، وهناك هرم نابليون
للسرة الأخيرة في 18 يونيو 1815 .

وصنعهم الى درجة أصبحت الدول تنظر معها بعين الدهشة والاستعراب
لى موقف بريطانيا التي ظلت ترفض تحريم القرصنة . فى الوقت الذي
تصر فيه على الماء الرن والتجارة فى السود .

ولكنه بعد ذلك ، غيرت الحكومة الانجليزية موقفها بحه دول
البربر ، كما سنرى ذلك فيما بعد .

وفى منتصف يوليو من نفس السنة ، طهر أمام الجزائر أسطول
هولندي بقيادة عميد لسكر ، تتكون من أربع نوارح وسلوب وسفينه
حربية ذات صارتين وبواسطة القنصل البريطاني عرس على نداي
تجديد معاهدة السلام التي تربط بين البلدين ، طبقا لنص الشروط
التي تقوم عليها المعاهدة القديمة .

ولكن نداي رفض هذه الاقتراحات ، حيث أنه أراد أن تقوم هولندا
بدفع مؤخر الصرائب واهدنا الح . ، وهو يمثل مبعدا صححا . وعقب
ذلك انقطعت المفاوضات بين الطرفين .

وفى غضون الفترة الباقية حتى نهاية السنة تعاقبت بسى الحربية
البريطانية على مناء الجزائر . وكان يبدو أن هذه الزيارات المتواليه
تؤذر بحركة غير معتادة .

وفى هذه الأثناء ، اندثرت فى عدة مناسبات (وأنا لا أستطيع أن أشك
فى دقة هذه الأخبار) أن السلطات الجزائرية تعبر المظاهرة العدائية
التي قام بها الأسطول الأمريكى فى البحر الأبيض ، مجرد مسيرة للزهو
والتبجح وأنه لن يكون لها أثر حدي ، وأنها متى أبدت ما ينبغي من
الحزم والتصميم ، ستضطر الأمريكين الى دفع الضريبة السنوية ، فى
مقابل ضمان عدم تهجم القراصنة على سفنهم التجارية .

يجب الاعتراف بأن تدهور حالة اولايات المحدة المالبة وتزعزع الثقة فيها في أوروبا ، عوامل يمكن أن تبرز هذا الرأي .

وفي شهر أبريل ، سنة 1816 ، وصل قائد الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط ، اللورد أكسوث ، على رأس قوة بحرية تتكون من خمس وعشرين قطعة ، من بينها ست قطع بحرية في دريب نظامي . وهذه القوة لمهددة ، قدم الأميرال البريطاني شروطا للسم بين الجزائر ومملكتي سردايا ونابلي ، قبلتها السلطات الجزائرية بعد مناقشات نخيفة .

وبموجب هذه الشروط ، يلتزم ملك سردايا بدفع مبلغ 500 دولار فدية لكل واحد من رعيه المحتجزين عبيدا في الجزائر ، وأن يعيد الى الجزائر ، وبدون فدية جميع الجزائريين المحتجزين في مملكته ، وأن يقدم هدية قصيلة حده الأقصى 5000 حيه سيرليج ، وفي مقابل ذلك ينتظر الملك أن تعامله الجزائر على قدم المساواة مع انجلترا نفسها .

وأما ملك نابلي ، فقد التزم بمقتضى الشروط التي عرضتها بريطانيا بأن يقدم مبلغ 1000 دولار فدية لكل واحد من رعاياه الذين يوحدون في قيود لحديد في الجزائر ، وزياده على ذلك ، يعد بأن يقدم الهدية القصيلة التقليدية مرة في كل ستين ، وذلك بالاضافة الى ضريبة سنوية مائة للضريبة التي تدفعها البرتغال ، ويجب تحرير الأسرى بمجرد دفع فديتهم ، على أن يقسموا الى ثلاث فرق ، بحيث تنتهي عملية تحريرهم في نهاية مدة سنتين .

والقسم الأول يخرج في الحال وبناء على ضمان انجلترا دفع فديتهم . وهذه المعاهدات تضمن الدولة الوسيط (بريطانيا) تطبيق الطرفين لها .

والحدث الذي يجب تسجيله في هذا السياق . هو أن الأسرى الذين
نقلوا إلى جزيرة مالطة وإلى جبل طارق والذين يبلغ عددهم 33
أسيرا ، قد أطلق سراحهم باعتبارهم من الرعايا البريطانيين .

والمعاهدة التي عقدت مع ملك سرديا ، كانت ، بدون شك أكثر
سحاء مما يمكنه أن يتوقعه ، وبإتالي ، فقد كان من حق بريطانيا أن
تطالبه بالاعتراف بالجميل . بل أن هذا المسعى من بريطانيا يستحق
اعتراف العالم اجمع ، لولا ما عرف من أن هذه المكافأة كانت الثمن
للصحية باستئصال ممكة جنود الذي طالما صرحت بريطانيا بأنها مصممة
على المحافظة عليه .

نقد جلب القواب الفرنسية عن المدينة (جنوة) في 26 أبريل بعد
استسلامها ، وأعلن القائد العام البريطاني في بلاع رسمي أن بريطانيا
العظمى تلتزم بإعادة مؤسسات حصوه القديمة واستئصال هذه
الجمهورية (8) .

ولكن ما تقدم لا ينطبق على حالة معاهدة نابلي التي عقدت في نفس
الوقت ، فإن المعاهدة الأخيرة لا تمثل حتى مجرد خدمة ، لأن مما
لا محال لشك فيه ، أن مملكة نابلي كان يمكنها الحصول على معاهدة
السلام مع الجزائر بنفسها ، على أساس المبلغ الضخم الذي تدفعه
فدية لرعاياها (أكثر كثيرا من مليون دولار) ، وذلك دون أن تحتاج
إلى وساطة بريطانيا التي تضطر إلى الاعتراف لها بالفصل .

ومهما تكن الزاوية التي ننظر منها إلى هذه المفاوضات ، وإلى سلوك
بريطانيا فيها ، فنحن لا نجد أنها تنطوي على شيء من النبيل الذي

8 - كان الأسطول البريطاني بقيادة اللورد ويليام بنتيك ، قد ضرب حصارا على جنوة في
سنة 1814 ، وقد انتهى المسار بتسليم الحاكم الفرنسي وحلله الجيش الفرنسي
من المدينة . وفي 6 أبريل من نفس السنة ، أصدر القائد العام للقوات البريطانية
بيانا يتعهد فيه باسم الأمة البريطانية بأن يمد إلى الجمهورية مؤسساتها واستقلالها ،
وعلا المهاد كونه بريطانيا بشيء من المرونة في مؤخر فيينا .

شعر به بريطاني ، والذي كثيرا ما كان من حقها ، ذلك لأن مثل هذا
السلوك من شأنه أن يزرع دعاءات الرعب المميتة ، ويشجع لهم نوعا
من المكافأة والتشجيع لقرصنهم التي تعمل ضد العالم المنحضر .

وعقب رحيل الأسطول البريطاني مباشرة ، صرح الداي الذي لاشك
في أنه كان قد وقع تحت تأثير أعداء الولايات المتحدة ، وبحجة لمكوثنا
في إعادة إحدى السيتين ذات الصاريتين التين أسرهما ديكبور قبل
توقيع المعاهدة ، صرح بأن الولايات المتحدة قد خرقت هذه المعاهدة
ومع ذلك ، فإن الداي كان يعرف جيداً أن تلك السفينة التي كانت وجهت
إلى قرطاجنة (إسبانيا) قد احتجزتها الحكومة الأسبانية بحجة أنها
أسرت في مياهها الإقليمية .

وانت هذا التصريح ، النجأت إلى متن إحدى قلاع الأسطول الأمريكي
الذي كان يرسو في ميناء الجزائر في ذلك الوقت ، وهناك عقدت اتفاقا
شاهيا مع الحكومة الجزائرية ، بقضي بأن تحال المسائل موضوع
لنزاع برسالة مختومة يحررها الداي نفسه إلى رئيس الولايات المتحدة،
وبأن تبقى المعاهدة نافذة المفعول حتى يصل رد الرئيس الأمريكي .
وبموجب هذه الاتفاقية نزلت إلى البر وعدت إلى القنصلية لاستئناف
عملي .

وفي شهر مايو التالي ، عاد قائد الأسطول البريطاني من تونس
مصطحبا معه جميع قواته البحرية ، وهو إجراء قد اتخذ ، بدون شك ،
نتيجة لتعليمات جديدة تلقاها .

وأما محتوى المقترحات التي قدمها إلى حكومة هذا البلد ، فإنه لم
يكن من الممكن معرفته ، ولكنه يبدو أنها تتضمن شروطا تتناقض مع
الشروط التي وردت في الاتفاق الذي تم منذ شهر .

ومثل هذا السلوك المتدفع والذي يفصه الوفاة كان من الممكن أن
يدهش ويحير حكومة أكثر استنارة من حكومة الجزائر .

على أنه لابد من الاعتراف بأن الداي قد أبدى كثيرا من الحزم
ولحكمة واستصر في هذه المناسبة فهو لم يكف بعرض المطالب
البريطانية على لدبوان الذي دعي للانقاد في تلك المناسبة . بل ذهب
على الجنود في ثكابه . وقد اتفق الجميع على صحة التأيد والمساندة
في الموقف الذي يتخذه .

وعقب ذلك ، رد الداي على مطالب الأدميرال اكسموث قائلا أنه بالنظر
إلى أن ولاية الجزائر ولاية من ولايات الأبراطورية العثمانية . فهو
لا يستطيع الموافقة على قترحاته قبل أن يجري مشاورات مع نائب
العلي . وهذه المشاورات تستغرق مدة ستة أشهر .

وعندئذ هدد اللورد اكسموث بتدمير مدينة الجزائر إذا صمم الداي
على هذا الموقف في رفض شروطه ، وأعطاه مدة ثلاث ساعات للمساورة
وارد الهائي . وحسب وحده الداي يوم أنى الأدميرال البريطاني على
سواكه الغرب والمناقص والذي يرى كل شيء في التزامه . ورفض
مطالبه بصفة نهائية ، ثم طلب إليه أن يحبس أسطوله من مرمى المدافع
الجزائرية .

ولما تلقى اللورد اكسموث هذا الرد اسحب وقدم إدارا بأنه
سيمسك لمدينة . ولكنه لما اقترب مع بعض صباطه من سمية جزئية
شتم ووجهت إليه ، اهانة حاضرة ، وهو في طريقه إلى البحرية .

وفي نفس الوقت ، اعتقل القنصل البريطاني ووضع تحت الحراسة
في منزله . وكذلك نقلت زوجته وأطفاله من منزلهم في الريف واقتيدوا
في المدينة بصورة مهينة للغاية .

ومنذ هذه اللحظات اعتبر الداي أن الحرب قد بدأت مع إنجلترا .
وقد كان من بين الاحراءات الاحتمالية التي اتخذها عمب تلقى اذار
الأميران - ذلك الانذار لذي كان من لوصح يدبنا أنه سيمده سريعا
- أنه أمر والي عابة ووهران بأن يعتقلا جميع الرعايا البريطانيين
والأشخاص الخاضعين للحماية البريطانية ويصمموا حياتهم . وهده
الأوامر نفذت بكل ما ينبغي من الدقة والشدة في عابة ، حيث كان
يوجد عدد كبير من الايطاليين والكورسكيين الذين يعملون في صيد
المرجان تحت حماية بريطانيا ، وفي نطاق الامتيازات التي منحت لهذا
البلد . وفي هذه العملية قتل عدد من الأشخاص الذين حاولوا مقاومة
رجال السلطة أو هربوا للنجاه من هذا الاحراء . كانت الايالة تتمتع بحق
القبض على أشخاصهم ، ولكنهم قاوموا الأوامر واضطرت الى استعمال
قوة معهم . ان هذا شيء طبيعي ، وكان من المحتم أن يقع لهم في أي
مد آخر ، ومع لهم في الجزائر في مثل هذه الظروف .

والشيء الذي يمكن توجيه الموم من أجله الى الأميرال البريطاني ،
هو أنه بعد ما غادر تونس بنية القيام بمهمة دقيقة وخطيرة في نفس
الوقت ، لم يفكر في توجيه بعض وحدات أسطوله لحماية صيادي
المرجان ، أو على الأقل ، أن يبلغهم مدى الخطر المحدق بهم نتيجة
لعملياته .

وفي هذه الأثناء ، توصل الطرفان الى تسوية النزاع بينهما مؤقتا
وبدور أعمال عنف ، حيث أن الأميرال البريطاني قد وافق في نهايه
الأمر على منح الداي مهلة للتشاور مع الباب العالي بشأن المسائل التي
بقيت معلقة .

وقد وافق الداي على الاعتراف بسلطة هانوفر الجديدة وعلى أن
يسمح له بأن تتمتع بلامتيازات التي تنبص عليها المعاهدة الجزائرية

البريطانية ، باعتبار تلك المملكة تابعة للإمبراطورية البريطانية . على أن يتلقى الهدايا التقليدية الثمينة .

وفي نفس الوقت ، وضع الأميرال كسموث البارحة البريطانية « ذي فاحوس » تحب صرف الداي لكي تتولى نقل سيفه وهدية الى القسطنطينية .

بل ان الورد كسموث قد بادل الداي سيفه وتلقى منه هدية ، وهي عبارة عن حواد وعدد من الحيوانات . وكذلك كان يبدو أن كل شعور بالعداوة بين الطرفين قد اختفى وزال .

وبالنسبة لتفرج غير مكثرت ، كان المظر عربا حقا ، أن يرى ، بعد حوادث التهديد المتبادل بالعدوان مباشره ، علم الإمبراطورية العثمانية على بارجة حرية بريطانية ، وذلك تكريما لسير جزائري يستطي على منها (لتقله الى القسطنطينية) .

ولما وصت أخبار مفاوضات الورد كسموث في الحرائر الى أوروبا ، أثارت موجه من الامنعاض والاحتجاج ، وجئت على الحكومة ابريطانية تهمة بأنها لا تعمل الا من أجل مصالحها ولا تهتم بالأضرار التي تلحق بالآخرين في سياستها مع الجزائر .

ومع ذلك ، فان بريطانيا لم تحقق أهدافها عن طريق هذه المفاوضات . ونظرا لأن الشرف الوطني قد حدث هنا ، فقد كان من الضروري اعداد حملة أكثر فعالية ، وذلك نتيجة طبيعية لفشل الحملة الأولى .

وتبعاً لذلك أمرت الحكومة البريطانية في الحال بجهيز أسطول من ميناء « بورتسموث » ، وأبحر في اتجاه البحر الأبيض في شهر يوليو . ولما وصل الى جبل طارق ، عزز بعدد من الزوارق الحربية وبست بوارح

حرية تامة للأسطول الهولندي ، بقيادة نائب الأميرال ، البارون
« فاندركايلان » .

وقد أقطع الأسطول المشترك من جبل طارق في 14 أغسطس تحت قيادة
الأميرال البريطاني نفسه ، الورد اكسموث ، ووصل الى الجزائر في
صباح يوم 17 من نفس الشهر .

كانت الصحف الفرنسية قد نشرت الأخبار التي سعلق بهذه الحملة ،
وبذلك فشلت في مهمتها السفينة الحربية التي سبقت وكلفت برحيل
القنصل البريطاني وأسرته وإبعادهم عن خطر الحرب الذي سيتعرضون له
حتمًا ، في حالة وقوع معركة . ومع ذلك ، فان سيدات منزل القنصل
أسمعهن لاحظ وأعلن من رفاقه الجزائريين بلباسهن زي بحاره بريطانيين ،
وقد التجأن الى السفينة ، وقد كان في رفقتهم طفل صغير السن .

ولما داع خبر فرارهن ، اعتقل القنصل وضباط وبحارة زورقين تابعين
لسفينة حربية ، فوضع القنصل تحت الحراسة في منزله ، بينما نقل
البحريون الى السجن .

ولما وصل الأميرال اكسموث الى الجزائر ، بعث بإنذار حكومته
وطالب برد في ظرف مدة محددة .

وبهذه المناسبة تصرف الداي تصرفا يتسم بقلّة النصيم والحزم ،
ولا يليق بشخصيته . فان الباشا لم يكتف بأن يعيد رسول الأميرال
البريطاني بدون جواب على إنذاره ، بل انه سمح في نفس الوقت أيضا
للأسطول المشترك بأن يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة ، دون أن
تخطر في باله مقاومته (9) .

9 - راجع الملحق .

كانت الجراءة والجهل والفروور في جهة ، والنظام والشجاعة والجره في ثنؤن ادارة الحرب في جهة أخرى ، ومن ثم ، لم يكن من لممكن الشك في نتيجة المعركة .

وبعد معركة دامية دامت تسع ساعات خضعت الجزائر وراحت تستعدي الرحة أمام عدوها المتصر . واثر ذلك صرح اللورد اكسوث بأنه لم يعلن الحرب لتدمير المدينة وطلب في مقابل الصلح ، اطلاق سرح جميع العبيد المسيحيين ، واعادة مبلغ 350,000 دولار . كان ملك بابلبي وسردانية قد دفعه مدية لرعاياهم الدين أطلق سرحهم في شهر أبريل الماضي ، كما طالب بتنازل الايالة في المستقبل عن حصها في اسرودو رعايا الدول المسيحية .

سارعت السلطات الجزائرية الى قبول هذه الشروط فعاد سلم الى نصابه بين الايالة وأنجلترا .

ولجدير بالذكر أن البارون فاندركايلان قائد القواف البحرية الهولندية في البحر الأبيض المتوسط ، قد قدم بدور سسط وملحوم في هذه المعركة . وبتتسيق مع الأميران اكسوث ، اضطر الايالة الى عقد معاهدة سلام مع هولندا ، بنفس الشروط التي عقدت على أساسها المعاهدة الجزائرية البريطانية .

وعقب معركة الجزائر مباشرة ، انجه القائد البحري الهولندي الى طرابلس ، وعقد مع حكومة هذه الايالة أيضا معاهدة سلام . وافقت هولندا بموجبها بأن تدفع لطرابلس مبلغ 5000 دولار سويا على سيل الضريبة .

ولى انجلترا اعتبرت نتيجة معركة الجزائر نصرا باهرا يخول بريطانيا الحق لاعتراف جميع الدول بفضلها . وبهذه المناسبة وزعت النقاب ونياشين.

ومعاشات بدون حساب وبطريقة غير معهودة في المملكة ، وكل ذلك في
احتفالات ومهرجانات قومية ، وكذلك غلب آمال كثيره على المؤتمر
الأوروبي ابدي سيمتد في «أكس لاشابيل» (Aix la Chappelle) نتيجة
لنجاح حملة الجزائر .

وفيما يتعلق بالبراعة وروح المثابرة واصبر والشجاعة التي أبدتها
الأسطول المشترك في معركة الجزائر ، فانه لا يمكن أن يختلف رأي
شخصين فيها وفي أن هذه المعركة وحدها تكفي لضمان مجد القوات ،
له لم تكن قد اكتسبت في مواقع أخرى .

ومع ذلك يجب أن نتساءل عما اذا كانت المطالب التي اشتمل عليها
انذار الأميرال البريطاني ، تكفي لبرير نعريض جيش شجاع لخطر
مواجهه الجزائريين الذين يحصون بأسوار من الحجر غير قابلة للتدمير
ولسد بابهم التي تكون من صخرة صلبة من المدافع . ولو سدد
الجزائريون بيرة مدافعهم الي مي يصبها ، بأحكام في بداية المعركة
الى برج عدوهم اسي يستطيعون اصحاب السور . لكان من المرجح
ان تنزل بها خسائر كبيرة وتشلها بحيث تمنعها من احتلال مواقع الهجوم .
وكنهم تركوا لأسطول المشترك يعذب من الميناء دون اية
مقاومه ، مما جعل مدافعهم الرئيسية غير ذات مفعول . ولو جدد ذلك
لأصبحت اجلجرا باهانة لا مثيل لها بأن يدحر أسطولها على يد الجزائريين .

فه لمن الواضح أن تحريب وكر القرصنة لم يكن ضمن خطط الحكومة
لبريطانية . وذلك لأنه ، اذا كان نوع القوة التي اشتملت عليها هذه
الحملة ، ليس من شأنه أن يسمح باحتلال ابلد ، فان من الواضح
أن الجزائر قد اخضعت تماما . وأنا أملك الدلائل التي تسمح لي بالقول
بأنه لو استأنف قصف المدينه في اليوم التالي لجلى عنها الأتراك ولأصبح
من الممكن للأسطول البريطاني الهولندي احتلالها .

وهذا الانتقام من القرصة كان ينطوي على الأسباب الفاصية عن
هذه الجزائريين . بسبب تحرير العبيد المسيحيين ولزامهم بالامتناع عن
الاسراف في المستقبل ، ومن هذا ، فقد كانت العملية ذات فائدة كبيرة
للعالم المحاصر . ذلك شيء ، لا شك فيه . ولكنه من الثابت أن هذه الحملة
لم يكن من نتائجها حسن الجزائريين على تغيير سياستهم . لأنهم لا يزالون
مارسون القرصة ، ولا ينظرون إلا الوقت الملائم لمواصلة أعمالهم
المخربة ، وكان شيئا لم يحدث .

وعقب توقيع لصلح مباشره ، وجهت الحكومة الجزائرية اهتمامها
كله لإصلاح الأضرار الناجمة عن الحرب ، وكذلك بعثت أحد وزرائها
لى القسطنطينية ، كما عملت على إرساله انفاص التخصيصات التي تحف
بها الأضرار ، ولم تكن تغطي سنة حتى أصبحت هائلة ومحيقة كما كانت
من قبل .

وفي نفس الوقت ، تلقى رئيس الولايات المتحدة الرسالة التي وجهها
اليه ابداي ، وكلفني ، بلاشتراك مع *إدوين سويس* (I. Chauncey)
الفائد الأعلى للقوات البحرية الأمريكية ، بالتوسط بمهمة الدخول
في مفاوضات مع الحكومة الجزائرية من أجل تجديد معاهدة السلام
معهما .

وبعد الأحداث التي وقعت مؤخرا ، لم يكن من الممكن أن تواجه أية
عقبة .

وكذلك تم التوقيع على معاهدة أمليا نحن شروطها على الجزائر ، في
23 ديسمبر التالي .

وفي شهر سبتمبر ، 1817 ، وقعت ثورة من الثورات الكثيرة التي
تقع في هذه البلاد وكلفت ابداي عمر باشا حياته ، ووصعت على عرش
الجزائر رجلا يسمى علي خوجة .

وكما سبق أن ذكرنا ، فإن المباديء التي يقوم عليها النظام السياسي في لبلاد ومؤسساته ، لا تمنح الحق لشغل منصب رئيس الدولة الا لتركبي .

واجيش التركي في الجزائر يشتمل على أجاب يسمون الى مختلف الأجناس ويأتون الى هـ للاغراض في الانكشاريه . وهذه « المليشيا » هي التي تقوم بنفسها باختيار ضباطها . وأعضاؤها يجندون في الشرق . ويستمون الى أحط طبقات السكان .

ولدى وصولهم الى الجزائر يحرق هؤلاء المجدين في سبك الجيش . وأما الترفيع بينهم فهي تعود الى الكفاءة ، أو الى مجرد الصدفة . وحياة مظهر معدود لا تثير اهتمام أحد في العاده ، ولكنه عندما يرتفع فوق الحمال والمقهورين بمصل عقريه ، ونحيط به هالة من المجد على مسرح الأحداث ، عندئذ يصبح أهلا للاهتمام وللعناية بكل ما يتصل به وتوسط الأضواء على شخصه .

الى هذه الطبقة ينتمي الداي عمر بابا الذي ولد في جزيرة « ميتلين » (ليسوس العديمة) . وعندما جلس على عرش الجزائر في سنة 1814 . كان يبلغ 43 من العمر . وقد قيل انه ينحدر من أصل عربي اعتنق الاسلام . فأما قامته ، فتبلغ خمسة أقدام عشرة أو إحدى عشرة بوصة . وهو قوي البنية شيط الحركة جميل المظهر وبوه يميل الى البصر ، ولحيته كثيفة الشعر سوداء لامعة وقد وحطها الشيب ، وملامحه منتظمة وعيناه سوداوان معبرتان ولكنه لم يكن ينظر الى أحد في وجهه مباشرة ولا يرفع بصره الى الشخص الذي يتحدث معه الا بصورة خاطئة . ومظهره العام يتسم بلوفار . ومتى كان مراجع رائعا يكون مجلسه ممتعا ويسحرك بأخلاقه . ولكنه حينما يأخذه الغضب يصبح وجهه أدكن ، ومنظره حزينا ولا يجراً أحد عن الاقتراب منه . على أن تصرفاته

دائما تدل على النبيل . وفي بعض الأحيان يصدر عنه ما يدل على المودة والصداقة . وقد اشتهر بضبط النفس بحيث لم يعرف عنه أية فقد بوازيه في مناسبة من المناسبات . وفي بعض الأحيان يردد قليلا في الحديث ، ويبدو أن كبرياه لم يكن يعطي في عينه حمله .

كان الداي عمر يتمتع بعقل راجح ودراك سريع ، وكان يبيل الشخصية .

وعندما فكر في توجيه رسالة الى رئيس الولايات المتحدة سألتني عما اذا كانت اللغة التركية مفهومة في بلدنا . فأجبتة قائلا انه من المرجح ألا تكون كذلك . ولكنه يوحد في الولايات المتحدة أشخاص يفهمون اللغة العربية .

وأجاب الداي قائلا اني لا أرى من الملائم أن يكتب بلغة أخرى غير لغته (التركية) ، ولكنه مع ذلك قام بوضع ترجمة عربية لرسالته ، تسهلا للتفاهم مع حكومة الولايات المتحدة .

لجراته وشجاعته المادرة . وأما في حياته الخاصة فقد عرفته أنه ميال للاعتدال والأخلاق العاضلة والأمثال لتعاليم الدين الإسلامي الذي يدين به .

كان الداي عمر مزوجا بزوجة واحدة وبد له منها ثلاثة أطفال وقد كان يقضي أوقات فراغه في منزله وبين أفراد أسرته حيث يجد كل سعادته .

وبعدما يسمي عمله اليومي يشهد الداي عادة وهو يتجه الى منزله الخاص بدون حراسة ، ولا يرافقه سوى خادم واحد يحمل مصباحا أمامه . وبعدما ارتقى العرش ، ذكرت له عدة خصال تدل على الصداقة

والعرفان ، وأنا سم أسمع أحدا قط يتهمه بالحياد عن طريق العدل والصواب .

جاء انداي عمر الى الجزائر وهو يبلغ من العمر الثالثة والثلاثين برفقة أخيه لذي يبدو أنه كان رحلا يتجلى بصفت ممتازة ، حيث أنه لم يلبث ان أحل منصب الخليفة ، أو المستول عن الشؤون المالية في الولاية لشرقية ، ونظرا لأن عمر كان يرافقه دائما في تنقلاته ، فقد اكتسب معرفة دقيقة بشئون البلد الداخلية .

وكذلك كانت الحرب مع تونس والثوار والاضطرابات التي شهدتها الجزائر فرصة انداي لكي يبدي فيها شجاعته النادرة وذكائه الوقاد ولما أصبح أخوه مصيها ، قل تأمر من أحمد باشا ، وقد نجا عمر من نفس المصير بالتجاء الى شهي التكناب حيث تولى الجسود حياته ، وقد كانوا معجبين به أحمد الأعرج .

وعقب هذه الأحداث بوقت قصير ، هلك انداي محمد ، وتولى العرش مكانه انداي علي الذي حكم البلد بصعّة أشهر من تجلى عن مقاليد السلطة للذي الحاج علي ، الذي كان يلقب بالنمر ، بسبب ما اشتهر عنه من الفسوة . وكذلك اشتهر الحاج علي باعلانه الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية .

والداي عمر مدين للحاج علي الذي عينه في منصب الأغ ، أو القائد الأعلى للعش، الذي بدت فيه مواهبه ، خصوصا في تنظيم ادارته ، كما أبلى بلاء حسنا في ثورة باي وهران — تلك الثورة التي كانت تهدد مدينه الجزائر نفسها . والبعض يلومون انداي عمر علي ارتكابه بعض الأفعال التي تدل على القسوة والتي كانت بدون فائدة . وهذا الاتهام قد يكون صحيحا ، ولكنني أعزو هذه الأعمال الى الجسود

الأخلاقى العام وإلى الميل إلى الفسوة والضعف الذي يسود بين هذه الشعوب . ولكنه يجب أن نذكر أن التاريخ الحديث تقدم له أمثلة صارخة لنفسوة والضعف بقدر ما يقدمه من أمثلة للعدالة والاعتدال في البلدان المتحضرة .

على أنه توحد بعض الظروف التي سبب نارضاء الداي عمر العرش والتي لا تستحق مثل هذا الاعدار . أما أعمال بعث الفسيري في الاسان وتجمد الدم في عروقه .

وعقب رحيل أخبار هذا الحادث إلى الأغا عمر ، اتجه إلى مدينة لحزائر . هذه الرحلة بالاجماع ، وقد كان من الممكن أن يتلقاه دون أن يرتكب جريمة .

ولكنه ، لأسباب مجهولة ، اتجه إلى التاج ، وألح على ضرورة انتخاب الحزنجي ، أي رئيس الوزراء ، لهذا المنصب .

والنساء الذي يعرفه اليوم عن هذا الرجل ، قليل ولا يكاد يتجاوز أنه رجل معتدل ومقدم جدا في أسس الدولة . الحزنجي لكل حزم المنصب المحفوظ بالأخطار الذي عرص علي ، ولكنه قيل له أن عليه أن يختار بين التاج والموت .

وبعد ذلك بأربعة عشر يوما قتل هذا الشيخ بدون أي سبب مفهوم ، واعتلى الداي العرش .

كان ابداي الحاج علي ، على الرغم من ضعف بنيته وتقدمه في السن ، يحتفظ في قصره بحريم كبير . وقد طلت نساؤه يستعص بالاحترام خلال الفترة القصيرة التي تولى فيها الحكم حقه . ولكنه لما ارتقى العرش الداي عمر قلن جميعا بناء على أمر منه .

انه لمن الصعب العثور على عذر مسوغ لمثل هذه الوحشية . كان هوس
الداي الحاج علي وغروره قد دفع بالجزائريين الى الدخول في حرب
مع الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا . وكذلك أهان علم الامبراطورية
العثمانية نفسه ، في الوقت الذي بلغت فيه العلاقات بين الجزائر وفرنسا
واسبانيا درجة عالية من التوتر . وكذلك كان الدور الذي ينتظر عمر
باشا لدى اعتلائه العرش صعبا ودقيقا للغاية .

وما بقي لي أن أقوله عن هذه الشخصية يتصل ، خصوصا ، بالظروف
السياسية التي أحاطت بعمره ، والتي أشرنا إليها في الصفحات السابقة .
لقد توالى الأحداث بسرعة وأبرزت ذكاءه وعفريته وسلطت الأضواء
على المزايا التي تميز بها .

ولكن ما كاد الجزائري تلقاه من الاحترام والتقدير من الدول البحرية
جعله ينتشي بالغرور ويغرق في من الأوهام بشأن قوته الحقيقية ،
وكان يعتقد أنه يجب على جميع الدول أن تشتري صداقته بأكبر
التضحيات . على أن هذه المشاورات مع الدول لم تلبث أن زالت على
عينه عقب استيلاء الكمودور ديكتاتور على السفن من سفنه الحربية ،
وبوصول هذا الضابط على رأس أسطوله الى الجزائر ، في الوقت
الذي كانت فيه جميع السفن الحربية الجزائرية تجول في عرض البحر
للقرصنة .

كان عمر باشا عاقلا بالكافية لكي يفهم الخطر الذي يحيط به من كل
جانب . وكذلك رضع وقبل شروط المنتصرين . وإذا كان قد اتخذ بعد
ذلك مواقف غامضة وأبدى ميلا الى العودة الى الحرب ، فيجب أن
يعزى ذلك ، لا الى سوء نية الداي ، بل الى الاتجاه العام للسياسة التي
احتملها الجزائريون طويلا ، والتي طامأ وجدت فيها الجرائر فوائد جمة .
والى سوء تمثيل سياسة الولايات المتحدة وخطا المعلومات التي تتعلق
بمواردها .

ضطرب بريطانيا ، نتيجة للمفاوضات الأولى التي حثت بين الدول الأوروبية لافراز السلام ، في باريس ، في سنة 1815 ، اضطرت الى تعبير سياستها بوجه دول البربر ، فوجهت الحملة القوية التي تحدثت عنها ، بقيادة الأميرال اكسموث الى الجزائر . ومع ذلك ، فان سلوك بريطانيا الذي يمكن الشاء عليه اذا نظرتا اليه من وجهة نظر المبادئ العامة ، ينساقض تماما مع حقوق الأمم ويخلو من كل أثر بحسن الية . وادا تذكرنا علاقات الصداقة المتينة التي كانت تربط بين الجزائر وبريطانيا ، فيجب أن نعرف أن الجزائر لم توجه أية اهانة لبريطانيا كما أنها لم ترتكب أي عمل يمكن أن يتخذ ذريعة للعدوان .

لقد حاولت بريطانيا تسوية الحرب التي أعلنتها على الجزائر في سنة 1816 بمقتل عدد من الفرنسيين في عنابة . وكنتنا اذا نظرنا الى القضية نظرة صريحة ومخلصة ، فسنجد أن الحكومة الجزائرية ليست مدنية فيها ، وأنها لم تزد في هذه الحالة إلا أن أنها استعملت الحق الذي تمنح به كل حكومة في العالم . فان حادث دارتموور في انجلترا نفسها في السنة السابقة ، وعلى التحديد في مدينة دارتموور Dartmoor حيث يقع معتقل أسرى الحرب .

انهم يطالبون الجزائر بأن تتخلى عن المبادئ التي تقوم عليها كل سمعتها السياسية وأهميتها الدولية برضى العالم أجمع خلال قرون عديدة متوالية . ان هذا لطلب يصعب الداي عمر في موقف حرج للغاية ويعرضه لمسؤوليات خطيرة .

وأنا قد استعرضت في السطور السابقة تاريخ هذه المفاوضات وتسعة الحرب التي تلتها ، واعتقال القنصل الانجليزي في داره تحت الحراسة ، وقلت انه اجراء تسوغه مثل هذه الظروف ، باعتباره اجراء احتياطيا ، ونحن لا نحتاج لتسويمه الى البحث عن أمثلة له في تقاليد الباب العالي .

ولكن هذا الفصل حمل فيه بعد مثقالا بالسلاسل . وهذا الفصل يستحق ما يتهم به الداي من الانتقام الوديع والقسى . ولكنه من الممكن الدفاع عن عمر باشا بالقول بأن الشعب الجزائري كان يعلى بالعيط ضد الانجليز .

لقد كان يتردد على منزلي أثناء لمعارك عدد من الأتراك الذين كان من المرجح أنهم لا يريدون الدخول فيها . ولكنهم كانوا يهذفون الحمم بلعن القنصل الانجليزي وتهديده .

وانظر الداي بوصف السلاسل والقيود في يدي الفصل الانجليزي . بعد معركة ، وبعدما خرج اجمهير العميرة تبحث عنه بلمتلك به . بعد ذلك فصل الفصل وصل الى اسجن . وليس من شئ في أن هذا الاجراء هو الذي انقذه من موب محقق . وأما كنت دائما أعتقد واثقا أن الداي لما انقذ من الاجراء على أمل أن يتمكن من انقاذ حياة القنصل البريطاني .

وفي غضون معركة 27 أغسطس ، كانت تصرفات عمر باشا تصرفات رجل شجاع وعاقلة .

والعظة الوحيدة التي ارتكبها هي أنه لم يأمر باطلاق سراح مدفعيته قبل أن تتخذ قطع أسطول العدو المهاجم المواقع المناسبة للقصف . ولكن هذه القلطة كانت نتيجة لمرار تنقصه الحصافة بأن لا يكون الباديء باطلاق النار . وكذلك ارتكب عظة لا تغمر ، يرفضه ارد على رسول المهاجمين .

كان الداي عمر يشاهد في كل مكان مخفوف بالخطر . بل ان الباشا كان يستعمل بنفسه عدة مرات قطع المدفعية المواجهة للبحر ، واستمرى يقتل حتى اتضح أنه من غير المييد الاستمرار في المقاومة مدة طويلة . وقد كان قبوله لشروط الأدميرال الانجليزي نتيجة لتصرع عدد من أصدقائه وكبير ضباطه .

وقد أبلغني لمارس وأكارلو (Aukarloo) فصل السويد الذي هو رسول الداي عبر الى بارحه الأمرال الانجليزي أنه شهد بنفسه المنظر الذي أبدى فيه الداي امتعاضه وبغضه من سلم الشروط التي اقترحها المهاجرون للصلح . وكان من رأي الداي لذي أعرب عنه مررا أنه يجب ترك المدينة والحلاء عنها ونصب الحيام في الداخل . وفي المفاوضات انالية ظل الداي يحفظ بهدوءه الذي كان دائما من مميزات شخصيته ، وكان يطلب مني المفوض أن يبلغه بدون تكلف ونعشم ما هي ادعاءات حكومته .

لقد ثبت أن الرجل الذي يقف موقفا حديرا بحظوة الظروف التي وضعته الأقدار فيها ، فهو رجل لا بعدم مقدرة وكفاءة . ونائج معركة 27 أغسطس الأخير قد أتاحت الفرصة للداي لبدي ما تتمتع به شخصيه من لحزم والبراعة في ادارة الشؤون العامة .

لقد قيل عن حق ان الجزائريين مشعبون ويوجد كثير منهم من قطاع الطريق ويميلون الى الخرافات ، وأسطولهم قد دمر وتحصيناتهم أصبحت حرائب ، بن ان وجودهم الياسي نفسه ، قد تعرض للخطر . فهم كانوا يرددون منذ وقت طويل أن رئيسهم ليس بسعيد الحظ (وهو رأي متى اشر فلما يعيش الداي بعلمه وقتا صويلا) في تلك الظروف . وقد ارتفعت الأصوات جهرة بضروره التصحية بالداي على مذبح قوطهم .

كان الداي عمر يعرف الأخطار التي ترقبه ، ومع ذلك ، فقد قصد الى ثكنات الجيش ليخطب أمام الجنود لرفع روحهم المعنوية ، قائلا ان المصائب التي حلت بالبلد كبيرة ، ولكن ما حدث ليس مما لا يمكن اصلاحه . وأن البلد لايزال يملك موارد كثيرة ، وانهم اذا تدرعوا بالصبر والشجاعة ، فان فوه الجزائر قد تصبح مبعثا للربح أكثر من دي جبل . ولكن الشفاق والعف سيجعل البلد يحسر كل شيء . ويحتم

قائلا ، انهم اذا كانوا يحدون في شخصه عمبة في طريق الحط والسعادة .
فما عليهم الا ان يتخذوا منه كبش الفدا .

وهذه الخطب ، مضافا اليها توزيع المال في وقت ملائم وتهدؤ
أصدقائه ، كانت عوامل مهدئة لروح الثورة التي تعتلج في النفوس .
ولولا هذا النشاط ، لانهى الأمر باهجار عفيف .

وفي هذه الأثناء استقدم الذي من أقصى أطراف المملكة العمل
ومواد البناء ووضعهم على قدم وساق . وبفضل ما أتداه من الصبر
والمثابرة ، حيث كان يشرف على العمل بنفسه . تمكن من إعادة بناء
الجزائر وتحصينها في نهاية نفس السنة ، وجعل حصونها أمتن وأقوى
مما كانت عليه في أي وقت مضى . وفي نفس الوقت تماقد مع عدد كبير
من لعاصين من نابلي وقدموا بنظف المياه من المرافل والرواسب
التي نجمت عن العمليات الحربية . وكذلك اشترى أربع سفن حربية
وحجزها وشرع في بناء مركب حربي في أحواض بناء السفن .

لقد اتخذ الداي جميع الاجراءات الضرورية لكي يعيد الى الجزائر
ما كانت تتمتع به من القوة والسمعة بين الدول البحرية .

وفي شهر أكتوبر النابلي للمعركة ، وصل اكمودور شونسي الى
عرض بحر الجزائر على رأس أسطول يتكون من السفن الحربية التالية :
« واشطون » ، « جاوه » ، « الولايات المتحدة » ، « كونستلشين » ،
« ايري » ، « بارك كوك » .

كان من الممكن للأسطول يتكون من ست بوارج ، أن يهدم تحصينات
الجزائر نهائيا ويدمر المدينة عن آخرها ، وهي في حالة اضعف التي
كانت عليها . وهذا الأسطول بحث في شمس الجزائريين فرعا وهلعا كبيرا .
ولما اتجهت لاستقبال الأسطول ، لم يخف الكثير منهم مخاوفهم من أن

بهم المدة ، ودلت على الرعم من أبي كست أوكد هم أن الأسطول
الأمريكي إنما يقوم بزياره لهدف سمي . وأن الأمريكيين س يقوموا
بعمل حربي صدهم دون أن يبلغوني قرارهم مسبقا .

ولدى عودتي من الأسطول استقبلني الداي عمر . وهذا شرف غير
عادي يدل على شدة ثقته .

فلب لداي كم أنا متألم من عدم ثقة الجزائريين في شرفنا القومي ،
وأبلغته مؤكدا أنه إذا قدر للخلاف القائمة بين الدولتين أن تتساقم
وسهي بالحرب ، فانا لن نصرف الا على أساس مبادئ لشرف
الدقيقة .

كان يبدو أن عمر باشا قد أحس بوجع هذا اليوم وادعى أنه لم يكن
يعرف ما اذا كانت السفن التي وصلت تابعة للأسطول الأمريكي . وقال
لي أبي شهدت شخصا كيف كان في بعض الأحيان صحية لبعض
المظاهر . وذلك لأن الجزائريين يطهرون بالاعتماد بأنهم فوجئوا
بالأسطول البريطاني الهولندي الذي كان يحمل علم الصلح وغدر بهم

وفي اليوم التالي ، قام الكمودور تشوسي مع كبار ضباط الأسطول
بزيرة مجاملة لداي ، أبدى لها ارنيجه .

وبناء على رأي الكمودور ، صعدت الى بارجة الأميرال (واشنطن)
لكي تتباحث وتنسق آراءنا تجاه الرقيات التي نتظر وصولها . ولما
وصلنا الى جبل طارق ، تلقينا عن طريق السفينة « ذي مبارك »
الأمريكية أوراق اعتمادنا بوصفنا مفوضين لتجديد معاهدة السلام مع
الجزائر .

وهكذا عقدت معاهدة السلام ووقعت في يوم 23 ديسمبر .

كان رعايا لداي عمر من الجهال الذين يشلقون بالخرافات و يتهمونهم منذ وقت بعيد بأن لحط غير مسعف له ، والوباء الذي اجتتاح البلاد ، ولا سيما مدينته الجزائر ، في صيف سنة 1817 ، أكسدها الاتهام بسوء حظ الباشا .

وكذلك استغل علي خوجه الذي كان حصيما ويعتبر من علماء الدين هذه الظروف ، ونجح في تدبير مؤامره بين الانكشارية لخلعه .

وسواء أكانت المؤامرة محكمة الندير ، أم أن الداي قد غفل ولم ينجد الاحبيات لمصادره ، فإن المتآمرين هاجتوه في فراشه يوم 8 سبتمبر ، وأغسوا ابيه أن أحبه قد حان . وبعد مساومات غير مجدية لحصول على سارله على العرش ، قتلوه خفا في عين المكان .

كان الداي عمر ذا صفات أخلاقية رفيعة ، ولكنه كان ضيق أفق التفكير في الشؤون الدينية ولسياسية معا . فإن أي اعتداء على حدود اشرع يتعرض صاحبه للعقاب الشديد في عهده .

ولو قرر الداي عمر التخلي عن العادات القديمة وتقل مثر اقامته الى انصبه ، حيث يكون في مأمن من المؤامرات المفاجئة ، لكان الآن ، على الأرجح بصورة تشبه اليقين ، على قيد الحياة ولا يزال على عرش الجزائر .

والآن أختتم هذا الاستطراد بتسجيل ملاحظات عن بعض ملامح عمر باشا ، بلغت الى علمي ، وهي تدل على شفقه وعلى صفات أخرى في شخصيته .

في أواخر سنة 1815 ، دبرت مؤامرة كان على رأسها عبد الله ، وزير البحرية ، وهذا الرجل كان من قطاع الطريق في منطقة تقع في

جوار زمير ، ولا وصل الى الجزائر لم يلبث أن برى وأصبح حاجبا
ثم صدقا مسوع الرأى ، ثم ورر للداي العاشم . الحاج علي الذي
اتهى به الأمر أن اعتاله بيديه ، ومكافأة له على هذه الجريمة رفاه
عمر باشا ، عفا اعتلائه العرش . الى منصب وزير البحرية ، وعبد الله
هذا لم يكن يتمتع بأية فضيلة ، وقد كان يجمع اى جانب الحل
والفسوة وحب الانتقام وجهل وحشي ، لموح لا حد له .

انه لمن حسن الحظ أن المؤامرة التي دبر لاعيان اباشا ووضع
اسلطة في يد هذا الخبيث قد اكتشفت في الوم الملائم . وأن ورير
البحرية قد اعتقل في 12 ديسمبر .

وبدلا من أن يقتل كما حرت العدة هـ في مثل هذه الحالة . عفا عنه
الداي عمر ووضعه في سفينة لتنقله هو وعائلته وثروته الى اشرق .
ودلك على حساب الحكومه ، وقد ترك اورير لأخيه ضياعه وأراضيه
ليتمتع بها (وهي أملاك واسعة) .

والشخص الذي حل محل عبد الله على رأس البحرية كان « تشو »
أو الجلاد ، وهو لا تميزه أية سمه تستحق الذكر . وقد كانت الغلظة
وانغضاضة والجهل . هي مميزات شخصه . والحدير بالذكر أن
الشعب كان قد اتهمه بالواطىء مع العدو أثناء معركة 27 أغسطس
وطالبت الجماهير بقطع رأسه بأصوات مرتفعة ، وكذلك وضعه الداى
عمر في السجن . والواقع أن الشؤون الجزائرية لم تكن قط تتطلب
ضحيه كما كانت في تلك الظروف ، ومع ذلك ، فقد رفض الباشا
قتله ، وفي أول مناسبة موالية ، وضعه في سفينة مع أسرته وأرسله الى
لبنان .

ولما ارتقى عمر باشا العرش ، بعث بمن يحضر أمه وأخاه الدين وصلا
الى الجزائر في صيف سنة 1816 ، ولكنه يبدو أن الداى كان يعتبر

نفسه في حالة ميؤوس منها ، لأن أخاه عاد الى جزيرته الأصلية بعد المعركة مباشرة . وقبل أن تقع السفينة التي تقله ، (مع أم الداوي وابنه) استدعى الداوي قبطان السفينة اسويدية مع قنصل السويد وقدم للأور هدية رائعة ، وأوصاه بأن يعتني بأمه وولده ، أعز شيء لديه في أيام وحدته ، وبهذه المناسبة لم يستطع الداوي حبس دموعه التي سالت غريرة ، كما أخبرني قنصل اسويد .

من الممكن أن نقرأ المثاليين الأوليين لسفقة الداوي باعتبارات تنص بالسياسة ، ولكن لمثل الأخير لا يقبل اساءة التأويل .

ونحن لا نستطيع أن نهمهم شخصية عمر باشا وتقديرها حق قدرها . الا اذا عرفنا شخصية الداوي العادي في الجزائر . لقد حل محل العف والوحشة والجهل . نارتقاء عمر باشا العرش ، مطهر السل وأوقار وانعدل والرحمة ، وانه لم يحن الطالع أن هذا المثال الرائع لا يزال يحتديه خلفاؤه من بعده .

كان على حوچه رجلا ذكيا طيب ودا مواهب ، ولكنه كان معروف بالوقاحة وسرعة الغضب ، وقد خرق التقليد المتبعه في الجزائر منذ فرون واستحود على فتاتين احدهما يهودية انجليزية ، والاخرى من مملكة سردنيه وضمهما غصبا الى حريمه . وكذلك وجه أسطوله في عدياب لفرصة ، في وقت كان فيه لواء يحصد مائة وخمسين شخصا في اليوم في مدينه الجزائر ، وقد أسر هذا الأسطول سفينة تابعة لمملكة سردانيا مثقلة بصدئ كبيرة انقصة ، وكان ذلك لبب قافه ، كما أسرو عدة سفن مرسية وأسبانية أطلق الداوي سراحها بعد ذلك .

وهؤلاء القراصنة كانوا أثناء جولاتهم في عرض البحر يصعدون الى ظهر كل سفينة وينشرون عدوى الطاعون بين بحارها ، ولم يكونوا

يحترمون سوى السمن الأمريكية التي كان الأسطول الأمريكي في ذلك الوقت يتجول في مناطقها ، فقد رأوا من غير الملائم زيارتها .

كان على حوجه رحلا كثير العمل واسع الاحلاع . وربما كان أكثر علم متطلع في الجرائر في ذلك الوقت . وأما لقب الحوجه بعد كان الأتراك هم الذين تصقوه عليه ، ولكنه لم يمارس قط مهنة الكتب

والعرب أنه بعدما ارتقى العرش بأعمار دموية فاسية كان دائما يدعى العلم والتقوى .

وفي مناسبات الأعياد والحفلات الرسمية التي يستقبل فيها فاصل الدول الأجنبية ، كان هؤلاء يمررون في صريفهم اليه على عشرات الحشود ، ولكنهم عندما يصلون الى قاعة الاسمباب ، يحدونه يرتسي أفهم الأرباء ، محاطا بالحرس ، وبين يديه كتاب . وعندئذ يظهر بأن الفصل قد قطع عليه الأمل والقراءة فيلقى بالكتاب جابا في عجلة .

كان عبي حوجه مضطرا بأنه قادر على عادة المجد الى الجزائر مع فوته البحرية ، وكأنا أراد أن يثبت للعالم عدم جدوى معركة 27 أغسطس واحتفاره للدول البحرية التي شنتها ، فقد حمل أحد الرعايا الانجليز ، وهو شقيق الفتاة اليهودية التي ذكرناه ، على اعتناق الاسلام ، وعنه مترجما له .

والاعتقاد السائد في مدينة الجرائر هو أنه لم يحل سه وبين ضم اية فصل احلرا وشقيقة قنصل هولندا الى حريمه سوى الموت . وأسرار حريمه وقصره ، نشرت بعد موته من وباء الطاعون .

لم يلبث الانكشارية أن أدركوا أنهم وصعوا على العرش في مكان أمير نسل الشخصية شديد الحرس على مصالح وطنه ، رجلا مستبدا صاغية ، أنانيا ، ذا نزوات وسفاكا للدماء ، وكذلك دبرت عدة مؤامرات

في الثكنات لخلعه ، ولكن هذه المؤامرات اكتشفت في الوقت الملائم .
وكان من نتائج ذلك أن نقل علي حوجة مقبر أفاضته مع أخيه
العمومية (13) إلى قصر الداوي القديم في القصبة ، وهناك نظم فرقة
من حرس قصره تتكون من الجزائريين وصل يحدر من الأتراك .

ويبدو أن هذا الداوي قد وضع خطة تقضي بإلغاء الانكشارية كلية
وبجعل العرش وراثيا في عقبه .

وكذلك اضهد الأتراك بدون فتور ولا توان ، وبكل ما يمكن من
الوحشية ، وقد قدر عدد الأتراك الذين قتلهم بحو ألف وخمسمائة
رجل .

لقد كان عهد علي حوجة الذي هلك في الطاعون في سنة 1818 ،
عهد مذلة وسوء حظ للآيالة .

ولما تولى حسين داي العرش خلفا له ، خدر ، هو الآخر القصبة مقراله ،
حيث توفرت شروط الأمن له .

ولم بلغني أخبار نشر القراصنة الطاعون في السفن في عرض البحر ،
قصدت إلى الداوي وقلت له انه نظرا لأن الجزائر ليست في حالة حرب
مع أية دولة فينبغي له أن يأمر قواده البحريين بعدم ريادة أية سفينة
تجارية أمريكية في عرض البحر ، ما دام الولاء موجود في البلد . وقت له

13 - ذكر عدد من الأشخاص في هذه الماسة بأنهم يقدرون قيمة محتويات الخزانة التي
بقيت على ظهر البغال إلى القصبة ، وقالوا أنها تصل إلى مبلغ مائة ، وهو 50
مليون دولار . وأنا لا أدعي علما دقيقا في هذا الموضوع ، ولكن مما لا شك فيه
أن الخزينة تحتوي على مبلغ مائة . المؤلف . وتطبيق المترجم
من القرن الماضي ، يساوي 400 فرنك للدولار الإسباني في الأربعينيات
اسمكتين لم تنجر كثيرا في غضون العشرين سنة الماضية بعد تسجيل شالر لهذا الرغم ،
لكن قيمة كثر القيمة التي لهبته القوات العربية ضد احتلالها المدينة ، تزيد من
200 مليون فرنك . وهذا ، بالطبع تقدير تقريبي لجبا إلى إرادته لعدم وجود أي
تقدير آخر فيما عرفت .

أيضا أن النتائج التي تترتب على فرض الحجر الصحي على السفن التي يزورها القراصنة ، باهظة التكاليف وأنه لا يمكن تحمل ذلك بصبر ، وببيرة أخرى ، فإن مثل هذه الزيارات سوف لا تتم بدون عقاب .

وقد رد علي الباشا بأنه سوف يعمل كل ما في وسعه لارضاء رغبات الولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنه دفع عن حقه في أن يزور ضباطه جميع السفن التي تقابلهم في عرض البحر لكي يتأكدوا مما إذا كانت تابعة لبند صديق أو لبند عدو . واحتم بأن اقترح أن يتم الاتهام على اشارة معينة تجعل من الممكن التعرف على سفن الولايات المتحدة ، دون أن يحتاج الأمر الى الصعود على ظهرها .

وفي شهر أبريل ، وصل الأسطول الأمريكي الذي يقوده الكمودور ستewart إلى الجزائر وأرسي في مياثها ، ولما تقدم اليه بنفس الطلب الذي قدمته أنا ، قبله خلف علي خوجة بدون أية مناقشة وقام بتنفيذ تلك الشروط بكل اخلاص .

وفي شهر يونيو التالي ، وصلت الى الجزائر البرجة « ذي سبارتن » والسفينة الحربية « دي سبراي » في مهمة عن الحكومة الانجليزية .

وقد كانت نتيجة هذه الزيارة اطلاق سراح الفاتين اللتين تحدثنا عنهما سابقا ، مع دفع الداي تعويضا لكل واحدة منهما ، قدره 5000 دولار ، بالإضافة الى دفع تعويض قدره 30,000 دولار للسفينة التابعة لمسكة سردانية التي أسرت واحتجرت حولتها . وعلاوة على كل ذلك ، تمهدت الحكومة الجزائرية بأن لا تبعث فرائصتها في جولات في عرض البحر ، ما دامت الجزائر تعاني من وباء الطاعون .

وفي أواخر نفس السنة ، اجتمع ملوك الدول الأوروبية الكبير في مدينة « ايكس لاشايل » في مؤتمر جديد ، من أجل تحديد المصالح العامة للعالم المتحضر على أساس متين ، فيما قيل ، على أن نتائج

المداولات التي جرت في هذا المؤتمر لم تنشر ، ويبدو أن مصالح
الجنس البشري قد بصيت بدون تحديد ، كما كانت من قبل .

ومع ذلك ، فإن أسطولاً بريطانيا فرنسياً قد وصل إلى الجزائر في
سبتمبر 1819 ، وأعلن قائدهما للداي أن مؤتمر « ايكس لاشايل »
قد قرر أنه يجب على دول البربر أن تمتنع عن ممارسة اعرصة في
المستقبل ، وإعلان الحرب على أية دولة مسيحية أوروبية .

وبعد بضعة أيام من التفكير والتروي . رفض الداي هذا الإنذار ،
محبذاً بالحقوق التي تتمتع بها للجزائر معاهدات دوله رسية أقرها
لعالم كله خلال قرون متوالية .

والسألة ، هي ، اذا كان مؤتمر « ايكس لاشايل » كان جادا حقيقة
في هذه المناسبة ، أم أنه وقع ضحية للمغالطة والتصليل بالتقارير التي
قدمتها الأطراف التي كلفت بتنفيذ قراراته التي تتعلق بدول البربر .

كان الجزائريون الذين قلما يهسون مصالحهم ، قد بعثوا في أوائل
سنة 1819 ، إلى لندن بسفارة على متن سفينة حربية وضمت تحت
تصرفهم لنفها ، وكانت مثقلة بالهدايا التي من بينها الحيد والسباع
والنعام الخ . وقد استقبل وزيرهم الذي أرسل على رأس هذه
السفارة في كارلتون هاوس بالاحترام والمراسم المعتادة .

والهدف من هذه السفارة غير لعادية — بقدر ما أمكنني معرفته —
هو الرغبة في معرفة ما اذا كان في امكانهم ، أم لا ، وبدون أن يجروا
على أنفسهم غضب بريطانيا ، الاستمرار في خرق المعاهدات التي تربطهم
بالدول الصغيرة ، حسبما نسيه أهواؤهم ، ونهب تجارة الدول التي ليس
لها تمثيل معتمد في الجزائر ، فإن هذه المسائل لم يقرر اللورد ايكسفوت
شيئا بشأنها .

و قد عيب من مصدر لا ينطرق اليه السك أن الوزير الجزائري ،
قد عرض على اوزير البريطاني ، باثورست (Bathurst) المسألة التالية :

نظرا لأن حكومتنا قد ارتبطت بعدم اخضاع أي مسيح بقيد العبودية ،
فهل نستطيع سمس الحرية ، دون ان نصر بمصالح بريطانيا ، قبل
الأسرى الذي لا تسمح المعاهدات باسترقاقهم ؟

ويبدو أن الوزير الجزائري قد اعتر بما أبداه لسوصي على العرش
البريطاني وحاشيته من روح المجاملة ، قد توهم أن هذا الطلب قد وافقت
عليه الحكومة البريطانية ، وذلك لأنه ، لدى عودته قد حمل حكومة
الايالة على الاعتقاد بأنها تستطيع ، كالمتاد في السابق ، أن تعتمد على
صداقة بريطانيا وحمايتها .

وتتجده لهذه الأخبار التي أثارت موجة من السرور العام في الجزائر ،
شرعت السلطات الجزائرية في تجهيز سفن القرصة ، ولكن هذه الامل
العريضة لم تثبت أن تبحت بعد ذلك بأسبوعين ، عقب وصول
الأسطول البريطاني المرسى المشترك بتندار مؤثر « ايكس لاشايل » .

وفي غضون هذه الفترة من تاريخ الجزائر الذي عالجناه في هذا
الكتاب ، كانت فرنسا قد تازلت على السيادة على البحار لغريمتها
بريطانيا ، وأصبحت علاقاتها بالايالة لا سجاوز نطاق الدفاع .

وفي أواخر سنة 1815 ، وجهت الحكومة الملكية التي عادت الى حكم
ابلاذ وكيلا (فتملا) ليتمها في الجزائر ، ومد ذلك الوقت ، بدأ عهد
من اترضيات الباطلة الكايف وعبر المعقولة تحاه هؤلاء القراصنة .
ان هذه الترضيات والتنازل سياسة لا تليق بمقام دولة كبيرة ، وهي قد
أثرت في سمعة فرنسا هنا الى حد يصعب علي معه الدحول في التفاصيل
التي تنقرر منها نفس الانسان .

لم تعترف الجزائر قط ، بحكومة جوزيف نابليون في أسبانيا ، وذلك نتيجة لممارسة إنجلترا نفوذها ، أثناء الثورة التي تلتها جهود الامبراطور نابليون لتنصيب شقيقه على عرش أسبانيا .

وفي هذه الأثناء ، كانت المبالغ الضخمة التي تكلفها العلاقات الجزائرية الأسبانية ، تغطيها قروض من بعض اليهود الجزائريين بسعر مرتفع جدا للفائدة ، بواسطة قنصل أسبانيا .

وفي غضون سنة 1813 - 1814 ، قام باي وهران بثورة على الجزائر ورحل على رأس جيشه شرقا حتى وصل الى مكان لا يبعد عن العاصمة بأكثر من ثلاثة فراسخ .

وبعد انتصارات وهزائم ، تمكن الداوي عمر باشا الذي كان يشغل منصب الألغا من قمعه وأسر باي وهران ثم أعاده .

وفي هذه الأثناء ، هرب يهودي كان مسموع الكلمة عند الباي ، من وهران حاملا معه جزءا من كنوز الباي ، ثم التجأ الى جبل طارق . بعد ما نزل في مالقة في المرحلة الأولى .

وعقب اعتقال عمر باشا العرش ، فض الاعتقاد بأن أسبانيا قد أسفقت حمايتها على هذا اليهودي ، ونتيجة لذلك أقام دعوى على الحكومة الأسبانية ومطالبها بإعادة مبلغ ضخم ، ولكنه غير معروف بالتدقيق ، باعتباره الكنز الذي يفترض أنه هرب به اليهودي .

وقد أجنحت أسبانيا بأن هذه الدعوى لا تقوم على أساس من الواقع أو العدل ، وانتهى بها الأمر أن أرسلت (هي الأخرى) أسطولا الى الجزائر ، في سنة 1817 ، وقد صرح قائد هذا الأسطول بأن أسبانيا لا تعترف بادعاءات الداوي ، وأنها لا تنوى حتى الدخول في مباحثات معه بشأنها .

وكذلك ، اكفى الداي بمطالبة أسبانيا بمبلغ 300,000 دولار ، وفي نفس الوقت ، بلغت ديون اليهود الجزائريين مبلغا ضخما ، نتيجة خصوصا ، لتراكم الفوائد عليهم . وقد تنازل اليهود على هذا الدين بحكومة الجزائر . وإذا أصيب حصيلة هذا الدين الى المبلغ السابق الذي يطالب به حكومة الجزائر ، كان المجموع حوالي مليون وثلاثمائة ألف دولار .

ومنذ سنة 1815 كانت أسبانيا تبذل جهودا مستمرة من أجل تسوية معقولة ، ولكن بدون جدوى . وسدو أن الايلة لا تريد لتنازل عن أي قسط من هذه الديون ، وتقتصر على المحافظة على حقوقها كاملة في هذه القضية . وهي ربما تحتط بحقها في تسديد هذه الديون بالالتجاء الى القوة في الوقت المناسب

وبعد الثورة ، أحست الحكومة الاسانية الدستورية أن العلاقات الناعمة مع الجزائر شيء يعجز بمصالحها ويمس بشرفها في نفس الوقت ، ولذلك وجهت تعليمات الى قنصلها بأن يطلب الى اداي تصفيه هذه القضية . وإذا رفض ذلك . فعلى القنصل أن يعادر الجزائر .

وصلت هذه الرسالة الى الجزائر في شهر يونيو 1822 وحملها أسطول أسباني هولندي مشترك . وكانت هولندا قد ارتبطت بأسبانيا بمعاهدة للدفاع ضد دول البربر ، عقدت في سنة 1815 .

ولما كان رد الداي عن مطلبه غير مرض . هرب القنصل والتجأ الى الأسطول ، وبذلك قامت حالة قريبة من حالة الحرب .

كان الجزائريون قد بعثوا في سبتمبر 1821 بأسطول يتكون من ثمان سفن حربية الى الشرق لمساعدة الأتراك لقمع ثورة اليونان وموري

(14)، وهذه اقوات عززها الأسطول الجزائري بدفعات
Morée متوالية من البحارة ، وبعد هزيمة حملة القبطان باشا في خليج «باتراس»
في سنة 1822 ، عادت هذه القاطع البحرية الى الجزائر
Patras

كان الداي يشعر بالفخر لسعة التي حازت عليها اقوات البحرية
الجزائرية في المشرق ، كما كان يحسب حساب السياسة الغامضة التي
تتبعها لدول البحرية الكبيرة ، وكذلك وضع ، فيما يبدو ، خطط
تتسم بكثير من الطموح . وقد قرر أن يناقش صلاحية الاتفاقيات التي
عقدتها الايالة مع بريطانيا بواسطة اللورد كسموث في سنة 1816 .
كما صمم على اعلان الحرب على أسبانيا ، على الرغم من المحالفة التي
تربطها بهولندا ، وأخيرا قرر العودة الى الأيام الجميلة التي كانت فيها
الجزائر تسترق المسيحيين .

ان الحقائق التي ذكرناها في هذا الكتاب تدل على مدى الاحترام
والتقدير الذي كانت لدول ابحرية الأوروبية ، ولا سيما بريطانيا ، تعامل
به دول البربر ، وخصوصا ، الجزائر . ونحن قد رأينا أيضا كيف أد
بريطانيا كانت تتلصقا في الموافقة على تحريم القرصنة مع ما تمثله من خطر
على التجارة والحضرة ، وذلك في الوقت الذي تسادي فيه باسم
المقدسات الدينية والفلسفة بالعداء الرقيق الأسود ، وأخيرا ، اضطراها
الى الموافقة على إلغاء القرصنة الجزائرية نتيجة للاجراءات الشديدة التي
اتخذتها الولايات المتحدة ، منذ معاهدة « خات » ، تلك الاجراءات
التي جعلت من السخيرة الصبر وقتا أطول وتحمل عمليات السلب
والهلب في عرض البحر .

وفيما يتعلق بقضيه تحریم الرو . فإن هذه القضية لا يمكن أن
يختلف بشأنها شخصان مسسيران وهجبان للإنسانية . على أنه من المؤكد
أن اتجاره في الرقيق ليس إلا أكثر فظاعة مما كانت عنه . في
الوقت الذي حصلت فيه بريطانيا على امتيازات «اسيتو»
لمهوره والتي نستعملها على سبيل الرشوة لكي ندخل في لمفاوضات
التي أسفرت على إنهاء معاهدة «أوترخت» ، أو في غضون أسبوعين عشر
عاما التي استغرقتها المناقشات في البرلمان بشأن هذا الموضوع الخطير
الشأن قبل إصدار قرار فيه .

إن الزمن ، هذا العلم الكبير . الذي هم همه فقط أن يدمي أضواء
ساطعة على الحوافر التي يمكن وراء نصف الإنسان . سوف يصنع
هذه المائة في الرواية لطر إليها الأحيال للمفيدة ، وسيورع المدح والذم
حسب أعمال الإنسان وبياته .

وأما فوائد الولايات المتحدة وشرفها ومصالحها . حين جلب الدول
البربرية على احترام علمها في البحر ، بدلا من أن تشتري رصدها
بأغريه ولهدايا التي لا تنهي . فهي مسألة لا تحتاج إلى الشرح
والتعليق .

التي أحب أن أعتقد أن الحزم الذي أبدته الدول الكبيرة في مؤتمر
«ايكس لاشابل» سيكون من نتائجها نعيد قرارات ذلك المؤتمر
صد الدول البربرية . ومنى أن ذلك لاوان ، ستكون مرانته فهو
بحريه صغيرة في البحر الأبيض عاملا رادعا كافيا لمحافظة على النظام
الذي يطبقه الولايات المتحدة بشأن هذه القضية ، ولكنه قبل ذلك .
لا بد من تجريد أسطول قوي لجعل هذه الدولة تتجلى عن ممارسه
اقرصنة ، ولو تخليا عن هذا النظام لكان معنى ذلك انهيار السمعة
التي كوناها في اجزائر وشهرت بالحزم ، وبذلك يبرر تبؤات المنافسين

الغيورين منا ، ونضع تجارتنا في البحر الأبيض المتوسط تحت حماية
الضريبة المهيئة والتي لا يمكن الثقة فيها ، على كل حال .

* * *

الفصل السادس

المصير المحتمل لهذا البلد الجميل ، أعظم موقع في افريقية لاستكشاف الفارة ولنشر التجارة في الداخل ، النائم الذي يحتمل أن يكون على الحضارة نتيجة لاستقرار امه اوروبية في افريقية الشمالية وتحريم التجارة في الرقيق الاسود .

لقد حاولت في المصول السابقة أن أقدم فكرة دقيقة مفصلة عن قوة اجزائر ومواردها وسياستها ، وأنا أعتقد أنني أثبتت أن اجزائريين لا يملكون حتى الوسائل (لسفافية) التي تسمح بالتعايش السلمي مع الدول الأخرى ، وبالأحرى الوسائل التي تمكنهم من مساندة ادعاءاتهم المهيمنة بأن يبقوا خارج تيار الحضارة بدون عقاب .

والقرون الثلاثة التي مر على وجودهم السياسي كقراصنة تقوم ، لا على أساس قوة حقيقية ، بل على أساس تأثير أفكار سياسية تتنافض مع الحرية والتقدم الذي عرفه هذا القرن .

وعلى الدولة المتداعية الآن والتي تسمى الامبراطورية العثمانية والتي تعيش على حافة الهاوية أن تزيل آخر الادعاءات التي جعلت من الممكن احتمال القرصنة التي تتناقض مع الوجود الاجتماعي .

وبالنسبة للمواطن الأوربي الذي بقدر بحق قوة بلده وسياسته المستقلة ، فإن وجود القراصنة أو القضاء عليهم سيان ، ومع ذلك ،

فان وجودهم الذي يضطر لولايات المتحدة الى الاحتفاظ بقاعدة في
لبحر الأبيض المتوسط لحمايه شرف ابيد ومصالحه . قد كان ولا
يزال ذا فائدة كبيرة لزياده قوة أسطوته .

وكعبداً عام ، قد يكون من المفيد البحث لمعرفة ماذا سيكون مصير
هذا البلد اجيل ابي يقف قريباً جداً من مراكز احصاره ويملك الوسائل
التي تسمح باعاشه عدد كبير من لسكان ، ومداً معتدلاً . وتربية لا تقل
حصب عن أحصب الأراضي ، وأخيراً ، عناصر القوة التي لا يمكن أن
تتعبد عنها قوة دولة أخرى في نفس حجمه وامتداده لجغرافى .

ولو كان هذا الجزء من الأرض في يد شعب متحضر نشيط . لأمكنه
أن يتطعم في هذا لجيل نفسه ابي عهد قادر من ارباء والمجد والى شر
لحصاره في هذه لفاره الوسعه سي لا يراى سكانا يمسون في سلام
داس من التوحش .

وموقع الجزائر ، هو النقطة الوحيدة ابي يسكن وفروع الاحياء
عليها لتحقيق هذا الهدف الخطير الشأن .

ونحن قد أوصحنا في الصفحات السابقة بما لا مزيد عليه أن الحكومة
الجزائرية كما هي موجوده في الوقت الحاضر ، غير وبله لتحسين ، وان
وحشيه الأتراك وحلهم أمر غير قابل للاصلاح ، وهذه الحكومة غير
المعقون مشتهر حتم بمجرد ما يضطر اى اى احلي عن الفرصة ، وادا
سارت الأمور على منوالها الحالي ، فان وقت هذا الانهيار غير بعيد .

وحيث ، سيكون من نتائج التخلف الذي يعاني منه الأهالي وعدم
وجود أي أثر لتعليم واسدرب السياسي انقسام هذا الشعب الى قبائل
متعدده تحافظ كل واحدة منها على استقلالها . وستتحم عن المنفعة
ولعيرة بينها حروب وتصبح كل محاولة لتحسين الوصع غير مجدية

بسبب طبيعة المكان المطلة ، وحينئذ سيدخل في عهد من اوحشه
ويجعلن من هذا البلد الجميل صحراء قاحلة .

انني لا أستهدف دحض الأسباب السياسية . دا كاتب بوح أسباب
حقيقية ، التي قد تعارض مع حلال بلد أروبي هذا ابلد . وذلك على
الرغم من أن الحلف المقدس ، قد رأى بسقتضى حكمه . أن من الملائم
نزال أسبابا الى مستوى امبراطورية الحرب الاقصى . في محل الأهمية
لسياسية ، انه لمن المرجح أن الحلف المقدس سوف يعارض كل محاولة
نقوم بها دولة (أروبية) لغزو بلاد البربر وتمدينها .

وكذلك لا يبدو من لضروري مناقشة مسألة المستعمرات مافيه
ولو تمهيدية ، فان عدم حدود المستعمرات لدول المستعمرة ، اذا أخذ
كمبدأ النظم لتحديث للاستعمار ، قد أثبتته الأيام لدول لأروبية اسي
لها امبراطوريات . فان الولايات المتحدة (مثلا) وهي بلاد تربطها
روابط من اسعة واعداد والقوانين بانجلترا ، (ولو أنها بعيدة عنها)
التي بجني منها الان فوائد اعظم من الفوائد التي كانت تحصل عليها
أيام كنت تلك ابلاد مجرد مستعمرة تابعة . على انه يمكن القيام
بمحاولات للاستعمار على اطرار انقدم ، ويصدر ما يمكن بعمل بصورة
ولمنحربة اثبانه ، يبدو ان من المنطق ان نتوقع لمثل ذلك النظام نجاحا
ياهرا ، متى نم اختيار الموقع بحكمة ، ومتى حصصت الوسائل
الضرورية لصان الحماية والرجاء للاستعمار في المراحل الأولى .

لقد أبدت بريطانيا في تاريخها لسياسي طموحا ورغبة في التوسع
أقلقت أكثر من مرة راحة الأمم وعرضت استقلالها لخطر ، ولكن طبيعه
مؤسساتها ووضعها الجغرافي الخاص بين الدول الأروبية قد جعلت منها
تبحث اقلق أكثر مما تبث الخوف في نفوس جميع أولئك الذين ساور
نفوسهم الشكوك في الحق الالاهي وعصمة الملوك .

وبريطانيا هي الدولة الوحيدة التي آلمست في العصور الحديثة
مستعمرات على أساس المبادئ الدستورية ، ومن هنا يرى أن مستعمرات
بريطانيا تبدي تعظما بحريات المديية . ومقدرة على حكم نفسها جديده
تأجل الأيام التي عرفها أحداثها . وذلك في الوقت الذي نجد فيه
مستعمرات الهند الأخرى لا تتجاوز أوصاع شعوبها أوصاع السيد
نظام الهند المستعمر .

وإذا نظرنا إلى الموضوع من هذه الزاوية ، فيكون من مصلحة
بريطانيا أن تسولي على هذه المنطقة من أفريقيا لكي تؤسس
مستعمره .

ولكنه يمكن لجوب عن هذا التساؤل بالقول بأن بريطانيا مثقة
الآن بالمستعمرات المنتشرة في مختلف أنحاء المعمورة ، على أن بعد هذه
المستعمرات والظروف الخاصة التي تحيط بها . يجعل من غير الممكن
أن تصبح جزءا مدمجا من قوة حقيقية في امبرطوريتها . والمستعمرات
لبريطانيا التي لا تزال باقية في أمريكا الشمالية سوف يشي بها الأمر
أن تصبح جزءا من الاتحاد الكونفيدرالي (الولايات المتحدة) ،
ومستعمراتها في الأركهيل الأمريكي وإيبس المجاورة له ، لا تعدو
كونها ضياعا كبيرا ، سيتقرر مصيرها عما قريب . بحيث تصبح ، على
الأرجح ، في وضع سان دمينيج .

والامبراطورية لبريطانية في الهند تقوم على أساس غير متين وليست
بذات فائدة كبيرة في المستقبل ، على أن الامبراطورية ستظل وقتا
طويلا مصدرا لسلخ ومكانا للطوائف الكبيرة للرعايا البريطانيين ، بل
وموردا لثروة لقطاعات كبيرة ووسيلة لشر الفساد والرشوة في الدولة
وكون هذا من مصلحة إنجلترا أم لا ، هو أمر لا يعود القرار بشأنه
إلي ، ولكنه يبدو من الواضح أن الهند لن تضيف شيئا يذكر إلى قوة
الامبراطورية البريطانية .

انه لا سكن للانسان أن يفدر العوائد الهائلة التي سيجلبها بريطانيا
والحسن الشري كله من اقامه مستعمرة انجليزية في نوبيديا . اذا كان
لهذه المستعمرة أن تلقى نوع المؤسسات القائمة في بريطانيا ونظام
سياسيا يترك لها حظ من الاستقلال . وادا كانت بريطانيا لا تفرص
عليها واجبات فيما عدا الواجبات التي تفرصها المصالح المشتركة بين
ايبدين . وهذا النوع من العلاقات بين المستعمر والمستعمرة ، كان هو
النمط السائد في العلاقات بين الدول (اوليات) التي يشملها الاتحاد
الكونفيدرالي الأمريكي ، وهو الذي ينبغي أن يقوم بين ايرلسدا
وبريطانيا . لو رأف الأخير أن تنح سببه أفضل نجاه ايرلندا .

وشواطئ أفريقيا الغربية سطوي على فوائد عظيمة لزراعة . وهذا
لبلد ، بصفة عامة ، مستعد لوفير لشروط الضرورية لنظام امبراطورية
عظيمة . والواقع أن هذه المنطقة من بلاد ايبير يسكنها أن توفر كميات
من القمح ، والحمور ، والزيت ، والحرير ، والصوف ، أكثر من أية
منطقة أخرى ، وفي هذه الظروف ، سيعس انجاره مع داخل أفريقية ،
وتعود الى ما كانت عليه من الازدهار في عهد الرومان حين شهد عدد
من مدن هذه المنطقة من موريتانيا رجاء وعطمه لا تكاد تصدقها الآن

وسوف تسيطر القنون ومبادئ الحضارة في نفس القسوات التي
تسكنها التجارة ، لتنتشر في المراكز الرئيسية في هذه القارة النعمة .
وسوف تلقى تحارة العبيد غير الانسانية ، وقد يؤدي الأمر الى ظهور
حالة اجتماعية في المنطقة ، والى قيام ثوره لا تقل أهمية عن الثورة التي
شهدتها أوروبا نتيجة لاكتشافه أمريكا واستعمارها .

ومبادئ الاقتصاد السياسي ثبت لنا كيف يكون تقدم المستعمرة
سريعا ، متى كانت تتمتع بمناخ معتدل وتربة طيبة .

وكذلك تدل التجارب على أن الإنسان متى استخدم الوسائل الملائمة للأهداف التي يسعى لتحقيقها ، فإن النتائج كثيرا ما تتجاوز آماله ، ولو نقل إلى هذه المنطقة الفأص في اسكن الذي أصبح عبئا على بريطانيا لا يطاق ، تدريجيا وطبقا لخطط منتظم ، ولو استخدمت بريطانيا رؤوس أموالها الهائلة لتنمية الموارد الطبيعية في هذه البلدان . ون من المرجح أن يصبح هذه الامبراطورية الجديدة في غضون قرن من الزمن ، في وضع من الرخاء والعظمة لا يقل عن وضع بريطانيا نفسها .

لقد سبق أن قلت أنه لا يعني أن أرد على أية اعتراضات سياسية إن كانت هناك اعتراضات ، ولكنني وقد أوضحت أن الأمر ممكن في سياق الأحداث البشرية ، يجب علي أن أثبت أن فكري ليست شيئا غير معقول .

إن مما لا جدال فيه أن الجزء الذي يسمى مملكة الجزائر من بلاد البربر ، تنطوي على مزايا صاعدة معية ، لو اعتمد مثل هذا المخطط ، فليد يتمتع بمناخ صحي معتدل وله تربة خصبة تصلح لإنتاج مروحى واسعة من المنتجات ، كما أن له موانئ جيدة ، وهو يقع غير بعيد من أوروبا ، بحيث أن شعبا أوروبى يستطيع بسهولة إقامه مستعمرة ويأمل في تحقيق نجاح سريع ومؤكد .

والبلد ، من جهة أخرى ، يثل ميزة خاصة ومهمة جدا ، من حيث أن عدد سكانه صغير ، وبالتالي ، فهو سيستفيد كثيرا من هذا التغيير ، لأنهم سيدخلون في علاقات زواج مع المعمرين ، دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في الدم الأوروبى أو إلى حيل المعمرين ، ربما طهر لبعض أن هذه الملاحظة تدفعه ، ولكن قوتها وأهميتها لا تنحصر على سكان الولايات المتحدة ، حيث يوجد لسوء لحظ عدد كبير من السكان الزوج الذين لا يمكن الاختلاط بهم بنفس الطريقة .

وفيما يتعلق بوسائل المقاومة التي قد يستعملها البحرانيون لما لا أستطيع أن أضيف إلا شيئا قليلا إلى ما سبق أن ذكرته في المصون السابقة .

إنه لمن المؤكد . إذا وجه أسطول بحري يهجوم على حدود المدفع الثلاثة التي تقوم على قواعد من الحجر الصلد نغطيها ألف قطعة مدفعية من العيار الكبير ، أن سفن هذا الأسطول سوف يدمر . وذلك حتى لو كان الأسطول أقوى وأعنى من الأسطول الذي كان يهجمه اكسموث في سنة 1816 . ولكن البحرانيين لن يستطيعوا المقاومة إذا واجهوا عروا منسقا من البر والبحر . وذلك حتى لو لم يكن الجيش العاري كبيرا .

فإن هذا الشعب الذي لا يندور عدد أفراده مليون سنة . ومعصمهم من الرعاه ، ولا يملكون سلاحا ولا يعرفون معنى التنظيم ، وهو يعيش في رقعة من الأرض واسعة جدا ، لا يستطيع . بحال من الأحوال القيام بأية مقاومة فعالة لتزو جيش منظم .

وحكومة الأتراك لمي تمارس القرصنة في عرض البحر تمارس قرصنة مماثلة في أير أيضا ضد السكان في جميع الرقعة التي يمد عليها سلطانها ، وبالتالي ، فهي حكومة غير شعبية . وحتى لو قصت أعداد السائنة وتعود الأتراك ومعصمهم بجمع عدد كبير من الأهالي حول الحكومة القائمة وحدت لجباهير للدفاع عن عاصمته ، في حالة وقوع عزو ، فإن المرجح أن تكون مثل هذه المقاومة غير ذات فائدة كبيرة للأتراك ، وأنها لن تستمر ، على أكثر تقدير ، سوى بضعة أيام . وتنتهي بعد ما يظهر النقص في المواد الغذائية ، ومضى أمكن الاستيلاء على العاصمة ، فقد فضى على حكومة الأتراك قضاء مبرما . وسيكون من المستحيل عليها أن تجند جيشا ثانيا .

من الطبيعي أن تتصور أن النوميديين سيقومون في الداخل بحرب
عصابات مدة من الزمن . وهذه لحرب سيكون انجحاح في قمعها
يسيسه وليس بالقوه .

وبعد لاسيلاء على مدينه لجزائر ، يبدو من المرجح أن يعلن مكان
المدن من العرب ، بل ومن الأتراك أيضا ، خضوعهم للحكومة الجديدة
التي تقوم على أساس من احترام العادات القديمة والتقاليد ، وحماية
الأشخاص وحقوق لمكية ، وعندئذ ، يصبح جميع السكان مواطنين
مسالمين ، كما حدث في أماكن أخرى ، مثل لكنا ومدراس .

ولديانة الاسلامية في مبدئها ، لا معادي الحضارة والتنظيم الاجتماعي
أكثر من أي دين آخر ، حيسا تكون أسطه العليا في يد غير مسلم .
ان أخطر ما يتشكى الأهالي ويتذمرون منه ، هو ذلك الحظر العام
الذي فرضته حكومة الأتراك على تصدير منتجات الأرض والصناعة الى
الخارج ، ود أزاله الحكومة الجديدة هذه القيود فسوف تضمن
لها ولاء جميع القبائل الافريقية ، وفي نفس الوقت ، تحقق الرخاء
والثروة للبلد .

والعتاد الحربي الموجود في الجزائر ، مثل الخزينة العمومية التي هي
تاج النهب والسلب الذي دام ثلاثة قرون ، والتي يقل انها تحتوي
على 50 مليون دولار (1) ، كل ذلك سيصبح ، بطبيعة الحال ، غنية
في يد المتصر ، بحيث يعوضه عن النفقات الحربية التي تكبدها في عملية
الغزو .

سيكون من باب الادعاء من جانبي أن أحاول تحديد عدد قوات
الجيش الضرورية لغزو ايبند واحتلاله ، وسكه ذا نولت بريطانيا هذه
العمليات ، فستجد في سجلات غزواتها وفتوحاتها في آسيا ، سوابق
لكل المشاكل التي قد تواجهها .

1 - راجع أملاء ، ص 176 هامش 13 .

الفصل السابع

يوميات شالمر

مستخلص من اليوميات التي كان القنصل يسجلها في قنصلية الولايات المتحدة بالجزائر .

اضطرابات وقعت بين القبائل والجزائريين ، الحماية التي اسبغها قنصل الولايات المتحدة على خدعه من القبائل ، احتجاج القناصل الاجانب ، نزاع بين القنصل البريطاني والحكومة الجزائرية ، ارغام القنصل البريطاني على مفادرة الجزائر ، تسليمه مهام القيام باعمال القنصل الى القنصل الامريكي ، محاولة الصلح بين الاميرال الانجليزي والحكومة الجزائرية ، عناد الهاي ، ضرب الاسطول البريطاني الحصار على ميناء الجزائر ، تسوية نهائية للنزاع بين بريطانيا والحكومة الجزائرية على اسس متينة ، غرق سفينة امريكية عند شواطئ بلاد البربر ، دفع القنصل الامريكي فدية القبطان وملاحي السفينة ، مفاوضات هولندا مع الجزائر .

22 اكتوبر 1823 :

وردت اليها الاخبار يوم أمس ، تقرب باد القبائل الذين يسكنون الجبال ، حبال بجاية ، قد أعلنوا ثورة على حكومة هذه الولاية . وقد قتل في المعارك التي وقعت بين الثور وقوات الحكومة عدد من الأشخاص ، وأسر المني (الحني) لركي وأخذ رهية واقتيد الى الجبال ، وهذه المطقة تقدم كثيرا من العمال للجزائر ، ولا سيما من الحدم الذين يشتغلون في مارب القناصل الذين يحوهم لما ينمون به من الأمانة وانظافة .

تلقى جميع القناصل الأجانب اليوم بواسطة « دروجمان » (1) مذكرة من الحكومة تطالب فيها بأن يوضع تحت تصرفها جميع الأشخاص الذين يشتمون الى المنطقة الثائرة ممن يوجدون الآن تحت خدمتهم ، لكي يعاملوا معاملة الرهائن والأسرى من الثوار ، وقد كان القنصل الأمريكي في ذلك الوقت قد توجه الى الريف ليقوم بزيارة للقنصل لبريطاني ، حينما تلقى هذا الأمر .

وكذلك أبلغت الحكومة أن القنصلية لا تستطيع الرد على هذا الطلب في غيبة القنصل . ومع ذلك ، فإن الحكومة تمكنت من القبض ، بالحيلة والاقناع ، او بالقوة ، على القبائل الذين يشتغلون في قنصليات بفاريا والدانمارك وسردانية .

وأما قنصل انجلترا الذي يستخدم عددا من هؤلاء البؤساء ، فقد رد على مذكرة الحكومة بكثير من البلب اللائق ، قائلا انه لن يسلم خدمه الى الحكومة أبدا ، محتجا على هذا الرقص بالقوانين الدولية والعرف الدبلوماسي ، وحقوق الصيافة المقدسة ، وهي كلها حقوق تحمي الانسان من أعمال العنف والقمع .

ولقد تلقى قنصل انجلترا اليوم عدة رسائل تطالبه دائما بتسليم أبناء القبائل الذين يعملون في قنصليته الى الحكومة ، وقد انطوى تجديد المطلب على أسباب وجيهة نوعا ما ، ولكنه رد عليها كلها بالسلب .

ولدى عودته من زيارة قنصل انجلترا ، تقابل قنصل الولايات المتحدة في طريقه مع قنصل فرنسا الذي بعث هو الآخر برده على

1 — Drogman بالانجليزية والعربية Drogomanno بالاطالية ، كلمة مستعملة في الادارة التركية ، مأخوذة من اللغة البيرونتية وتعني المترجم الرئيس ، وهي لا تملك في أنها مأخوذة من العربية ، باستبدال الاء بالءال : « ترجمان »

مذكره الحكومة ، ولكنه . كان في حيره ولا يدري ماذا يصنع لو
حددت الحكومة طلبها .

23 أكتوبر :

وصل اليوم دروجمان يحمل مذكرة أخرى من الحكومة صعب في
عبارت أكثر تطلق من المذكرة السابقة . فقد جاء في هذه المذكرة أنه
بالنظر إلى أن الحكومة أدركت أن القنصل سيعاني بعض الصعوبات
نتيجة لحرمانه من خدمه الذين قد لا يمكن من وجود من يحل محلهم ،
فهي لم تعد تطالب بتسليمهم ، وإنما تكفي بأن توصيه بأن لا يسمح
لهم بالخروج إلى الشارع ، حيث أنهم سيعرضون لنفس عيهم طبقا
لأوامر الحكومة إذا غر عليهم حرج لقضليه ، وقد رد القنصل على
هذه المذكرة كما يتطلب الأمر ذلك .

24 أكتوبر :

تلقي القنصل الإنجليزي في غضون هذا النهار عدة رسائل من الحكومة
تطلبه تسليم القبائل ، ولكن دائم بدون جدوى . حيث أنه رفض
تسليمهم ، وفي نفس الوقت وردت أخبار تقول بأن القنصل الفرنسي
قد سرح القبائل الذين يعملون في منزله وقضليته وصحبهم بأن يعسوا
بأنفسهم (!) أن هذا الرجل الذي تربى في المشرق يحمل في نفسه آراء
متحاملة لا يمكن فهمها ، أنه يحيد الحديث باللغة التركية ، ويميل إلى
الأكثار من الحديث ، وحديثه يتسم بصواب . ولكنه شخص لا يمكن
الاعتماد عليه .

25 أكتوبر :

قبل أن يستيقظ القنصل في هذا الصباح ، أبلغه الدروجمان أن
سلطات الإيالة مصممة على ضرورة تسليم القبائل الذين التجأوا إلى

انقصيت الأحبة اليها ، وأن الخزنجي قد سعى ، بالنظر الى صداقه
 التي تربطه بالقنصل مد وقت طويل . لاستثناء انقصيه الأمريكيه
 واعفائها من تطبيق هذا الأمر ، ولكن جهوده كانت بدون جدوى . وأنه
 الآن ينصح صديقه انقصل بنسليم الأشخاص المذكورين . بدلا من أن
 يجلب على نفسه أعمال عنف لا مفر منها ، وهو (الخزنجي) يؤكد
 لفنصل أن خدمه سيعاملون بمستوى الرفق وأنهم سيعادون اليه في ظرف
 بضعة أيام .

وعقب ذلك بعث القنصل قهرمانه ليورد باسمه على رسائه الدروحمان
 ويقول له ان القنصل لا يسقبل قبل الساعة التاسعة صباحا ، كعادته ،
 وأنه من المعلوم جيدا أنه لن يرضى أبدا بتسليم الأشخاص المطلوبين ،
 وأنه يجب عليه هو (الدروحمان) بوصفه موظفا في الحكومة أن يتخذ
 الخطوات التي يرى انها تضمن نجاحه ، لكي يتجنب الاصلاح على هذا
 الطلب والفضيحة التي قد تنجم عنه .

وفي نفس الوقت أرسل مرجم آخر ، وهو السيد ابن رمون ، وعلى
 اساعه التاسعه ، عاد الدروحمان الى القنصية وطاب بصفة صريحه
 تسليم لقبائل ، وكلف بأن يبلغ لقنصل طلبا جديا للغاية ، من صديقه ،
 الخزنجي ، بأن يستجيب لهذا الطلب ، ويؤكد له أن قوة عسكريه
 مسلحة قد أرسلت الى مارل فاصل اجلترا ومرسا لتنفيد هذا
 الطلب ، وأن قوة مسلحة قد وجهت لمس العرص وأنها الآن ترابط
 عند باب القنصلية الأمريكية .

وقد طلب القنصل الى الدروحمان أن يبلغ شكره الى الخزنجي من
 أجل الجهود التي بذلها لخدمته ، وأن يبلغ تحياته بمد ذلك لأعضاء
 الحكومة الآخرين (2) ، وأن يحبرهم جميعا بأنهم يطلبون اليه شيئا

لا يستطيع أن يجيهم اليه دون أن يكون ذلك مغلا بشره وترو
الأمه التي يملها ، وان حقوق احياءه حقوق ممدسه عند الأتراك
والعرب ، وان من لتوفين الاساسيه . وان هو من حايبه يلتزم
بحترامها بقدر ما يكون ذلك في قدرته ، وان لا يستطيع مواجهة القوه
بالقوه وصدها ، وان لن يسوم بمحاولة مقاومه أسدحه الحكومه ، لكه
لكي تستطيع القبض على أولئك ، يتحتم على قوهها أن تعتدي على
حرمة أكثر الأماكن قداسة ، وهو منزله الشخصي ، وباخذهم من هناك
وعندئذ استدعى أبناء القبائل ووضعهم في مكتبه الخاص وأعطى
الباب .

وعقب ذلك ، لم يفت الدروجمان أن عاد مرسلا من قبل وزير
ابحريه ووزير ابحريه . ووراء ضابط على رأس قوه عسكريه ،
وقب عند مدخل اتصليه . وقد قدم اليه اوراق التأكيد بشأن المعاملة
التي ينبغي لها خدم الفصل ، مع وعد باعادهم اليه في وقت قريب ،
وفي نفس الوقت يرجوه ألا يقاوم الأوامر الإيجابية التي أصدرها
الدي . وني ستمد ، على كل حال ، بكل صرامه ، مهما تكن النتائج
وهذا التصريح أيده الدروجمان بلافتة ودموعه ونواحه .

أجاب الفصل عن هذا الانذار ، قائلا ان الدي ووزراءه لا يمكنون
أية قوه بحمه على انترايح عن انقيام بواجبه والمساس بشرف المنصب
الذي وكل اليه من قبل حكومته ، وان اذا أحد الرجال القبائل منه ،
فيجب أن يكون ذلك بغيرهم بقوة من المكان الذي يوجدون
فيه ، عند أقدامه ، وأنه اذا كانت الحكومه مصممه على ذلك ، فكما
أسرعت في تنفيذ عزمها كان ذلك أفضل .

ولما رأى الدروجمان تصلب الفصل في موقفه ، خرج من عنده ،
وبعد بوقت قصير اسحبت القوه العسكريه في اثره .

وعقب ذلك ، تمقى القمص معلومات تهيد بأن منسزل القمص
لبريطاني في لمدينة قد اخترعت حرمة بالقوة والقي لقبض فيه على
انين من القبائل ورصموا في السلاسل وجروا بلقيام بالأعمال الشاقة

وفي وقت متأخر من هذا لنهار ، وصلت أخبار تقول بأن قوة مسلحة
قد قصدت الى منزل القمص البريطاني الرمني وطالبت صراحة منه أن
يسلمها القبائل اموجودين في منزله ، وأنه رفض هذا الطلب بكل حزم
وعمد الى وضع اختام دوله بلشمع على باب داره ، ثم رفع عليه
العم البريطاني . ومع ذلك ، وفي أواخر النهار ، وباء على أمر صريح
من الادي ، حطمت الأختام وكسرت أبواب المنزل . ودخلت قوة
مسلحة اليه بطريقة ثير الفضيحة وفتشته دون أن تراعي حتى خلوة
امراة القمص وساته ، وهو ملجأ كان يجب أن يعتبر مقدسا . وهذه
الاهانة الأخيرة (الاعتداء على حرمة النساء) هي أكبر اهانة توجه
الى رحل في البلدان التي يدين بالاسلام ، ولا يوجد في السجلات
التاريخية المعروفة ، مثل لها ، حتى في حروب الماليك في مصر (3) .

وأما موقف قنصل فرنس ، فهو معروف الآن جيدا . فبعدم أجرى
مقابلة مع وزير البحرية عاد الى قصبيته واستدعى الخدم الذين
يصلون عنده من القبائل ودفع لهم أجورهم ، وسمحهم من خدمته
بمحضر الدروحيان وحارس ، وبعبارة أفضل ، فقد سلمهم الى السلطة ،
وبذلك تعطى عن الدفاع على حقوق الناس في الجزائر ، وذلك باسم
لحكومة التي يمثلها هنا .

3 - الماليك ، عبيد الره وجراكسة ومغول ، استعان بهم الأيوبيون واستخدموهم في
الجيش ، فاشتدت قوتهم وتمكن منهم من الوصول الى الحكم واستمروا في مصر
اسرين مائتين . المبريون (1253-1382) أولهم أيبك الممز ، وآخرهم حاجي الثاني ،
والبرجيين (1382-1517) اناسوا في برج القصة بالقاهرة ، قسموا البرجية ، وأولهم
برنوق الظاهر ، وآخرهم طومان باي الأتراك الذي أمده السطان سليم الثاني .

سأل قنصل إنجلترا القنصل الأمريكي ما اذا كان من الملائم
تحرير مذكرة احتجاج على أعمال الحكومة الجزائرية التعسفية وقد
أجاب الأخير بأنه على استعداد للاشتراك معه في هذا المسعى وفي كل
اجراء يراه ملائما ، ولكنه لا يريد أن يكون ذلك مشترك مع أي
رجل تخطى عن مسئوليات منصبه وخان واجبه .

28 أكتوبر :

لما عاد الهدوء الى نصابه ، قصد القنصل الأمريكي الى منزل القنصل
الانجليزي ، حيث اجتمع بقنصل هوسدا ، وهناك عم بكثير من السرور
بالموقف المشرف الذي وقفه الأخير من الحوادث الأخيرة . فان القنصل
الهولندي عندما بلغته الأخبار المذكورة ، جمع القسائل الدير يعسون
لديه ، وخيرهم بين البقاء تحت حمايته ، أو النجاة بأنفسهم . وقد اختار
هؤلاء الحل الأخير ، وبذلك احترمت السلطات منزله .

وتركية لشرف كل من قنصل الدانمارك وقنصل السويد ، يجب أن
تذكر أن قنصلية الدانمارك كانت تقريبا غير مأهولة ولم يكن لها سوى
حارس واحد ، بينما لم يكن على رأس قنصلية السويد سوى كلب
بسيط ، حيث كان القنصل نفسه عائلا عن الجزائر .

وفي هذا اليوم وصلت ثمان سمن حربية عائلة من تركيا .

26 نوفمبر :

نظرا لاصرار قنصل إنجلترا على تحرير مذكرة احتجاج عامة ضد
تصرفات سلطات الايالة خلال الفترة بين 22 - 25 من الشهر الماضي ،
فقد رأى القنصل الأمريكي أن لا يعرض نفسه تهمة الأذية ، فوافق
على الاشتراك في هذا المسعى ، شرط ألا يضطر الى توقيع أي احتجاج
يتضمن شيئا لا يتفق مع وجهة نظره في الموضوع .

وتتجه بذلك ، اجمع القناصل في دار قنصل هولندا الريفي ، حيث
اعتمد مشروع احتجاج قدمه قنصل انجلترا «جماع الآراء» .

2 ديسمبر :

عقد اجتماع في القنصلية الأمريكية اشترك فيه جميع قناصل الدول .
تاولوا صام الغداء في القنصلية ووقعوا مذكرة احتجاج ضد أعمال
الحكومة الجزائرية في غضون الفترة بين 22 - 26 أكتوبر الماضي
وهذه المذكورة قدمها القناصل مجتمعين لى وزير البحرية ووزير الشؤون
الخارجية الذي قبلها ووعد بأن يقدمها الى الداي .

10 ديسمبر :

بلغت اليوم أخبار موثوق بها الى لقنصل تهيد أن الشاين الذين
النجا الى القنصلية والذين يتيان الى بلاد القبائل ، قد صدر الحكم
عليهما بالاعدام ، وأن الداي قد أمر بتنفيذ حكم الاعدام فيها بمجرد
خروجها من مبنى القنصلية .

27 ديسمبر :

وصلت اليوم الى الجزائر بارجن تابعتان لمسكة نابلي ، وبعد
رسوهما ، حرت بينهما وبين القنصل الانجليزي اتصالات ، ثم أفلعن
بعد ذلك مباشرة في نفس اليوم .

1824 - 9 يناير :

وصلت اليوم الى الجزائر سكونه بريطانية قادمة من ازمير تحمل
على متنها ستين مجندا . ولدى وصول السفينة امتطى على متنها بعض
الجزائريين لأسباب غير معروفة ، فشتوا ربان السفينة الانجليزي
وضربوه ضربا مهينا .

أقلع قطع مع الأسطول الجزائري ، وهي عبده عن بارحتين وحراة
وسكوبه للقدم بحولة للفرصة في عرض لبحر . وكان على رأسها القائد
مصطفى الرايس . وهذه السفن رفعت لدى افلاها اعلم الاسباني .
وهو عمل يعتبر بمثابة اعلان الحرب على اسبانيا .

12 يناير :

وصلت اليوم الى الجزائر سكونة فرنسية قادمة من ضلوع . وقد
استغرقت رحلتها خمسة أيام .

16 يناير :

لحق القصل (الأمريكي) من قنصل فرنسا نسخة من رسالة
وجهها الى قنصل بريطانيا جاء فيها أن حكومته تستكر بأقصى ما يمكن
من الاشترار سلوك سلطات لا يالة بحوه ونحو قنصل الدول الأجنبية
هنا . وتقول ان احكومة الفرنسية تعتبر أنه لا يمكن حرق احصانة
الديبلوماسية للقنصليات الأجنبية ورجاء أن يسق أعماله بأعمال
قنصل بريطانيا في كل اجراء يتلقى تعليمات بالقيام به نتيجة لهذه
الحوادث ، ولو أدى ذلك الى اعلان حالة الحرب . وهذه المذكرة
سلمها القنصل الانجليزي الى القنصل الأمريكي بمجرد ما تلقاها .

24 يناير :

وصلت الى الجزائر سكونة تابعة للأسطول الجزائري ومعه غنمة ،
وهي سفينة تحت العلم الاسباني ، وهذا الحادث كان مثارا لحماس
وسرور كبير في الجماهير الجزائرية ، وقد اعتبر بدايه عهد جديد من
الرخاء للجزائر .

27 يناير :

بعث القنصل الانجليزي دروجمان قنصليته ليحتج لدى السلطات الجزائرية على المعاملة السيئة التي تلقاها ضباط السفينة الاسبانية وبحارتها الذين فرضت عليهم العبودية ، وهو اجراء يمثل خرقا لمعاهدة سنة 1816 ، وقد رد الداي على هذا الاحتجاج في الحال ، قائلا ان المعاهدة المذكورة عقدت لمدة ثلاث سنوات فقط ، وقال ان ضباط السفينة الاسبانية وبحارتها قد وضعوا في الأغلال . وأنه ابتداء من هذا اليوم تعود الالة الى استرقاق المسيحيين كسابق عهدها .

29 يناير :

وصلت البارجة الانجليزية «نيادا» بقيادة القبطان اسبنسر Spencer ، وقد أقلعت من « تاجه » تحصل على منها برقيات الى القنصل الانجليزي تتعلق بحوادث أكتوبر الماضي ، أرست في الخليج . وقد أبلغ القنصل البريطاني بصمة سرية الى القنصل الأمريكي التعليمات التي تلقاها من حكومته ، وهذه التعليمات تزكي سلوك القنصل وتوافق على تصرفاته ، وكذلك اشتملت هذه التعليمات على بنود اضافية لمعاهدة تطالب الحكومة البريطانية الداي أن يوقع عليها ، وهذه البنود تنص بكل بوضوح على الحقوق التي كانت موضع نزاع خلال قضية أكتوبر .

وفي هذا اليوم أيضا وصلت سفيتان أسبانيتان كلتاها ذات قيمة ضئيلة الى الجزائر ، غنيمة للأسطول الجزائري ، وقد علم القنصل أن لداي يتردد في التوقيع على البنود الاضافية لمعاهدة التي قدمها اليه القنصل البريطاني ، وهو يتظاهر بالاعتقاد بأن هذه البنود ليست صادرة عن الحكومة البريطانية لأنها لا تحمل الختم الحقيقي للدولة البريطانية ، ونظرا لأن هذه البنود صيغت في عبارات نهائية ولها طابع اجباري .

فهي لا يمكن تعديلها ، وقد أبلغ القنصل الانجليزي القنصل الأمريكي سره بيه في أن ينقل أسرته من الجزائر ، وقد أوصاه بالحاح أن يقوم بهذه العملية هو أيضا ، وأضاف قائلا ان مشكلة البائل ربما وحدث حلا وديا ، ولكن مشكلة العودة الى اسرقات الميحيين في الجزائر تكتسب طابعا من الخطورة وتصبح في نظر انجلترا ذات أهمية كبيرة ، وأنه نظرا لأن الحكومة الجزائرية تجهل نوع الاجراءات التي ستخضعها الحكومة البريطانية نتيجة لهذا الصرف ، فهي ، بدون شك ، سحط بالأشخاص الذين يهملون الحكومة الانجليزية بوصفهم رهائن عندها .

رافق القنصل الأمريكي السيدات والأطفال من أسرة القنصل الانجليزي حتى امتطائهم من ابارحة ، وذلك بحجة تناول الطعام مع القبطان سينسر وقنصل السويد وقنصل هولندا وزوجة الأخير . وقد عاد الجميع على الساعة الثانية صباحا ، وكم كانت مفاجئتهم كبيرة حين التقوا عند مدخل الميناء بالقنصل الانجليزي وهو في طريقه الى ابارحة القبطان سينسر .

وعقب ذلك وصلت مذكرة الى القنصل الأمريكي من القنصل الانجليزي تقول بأنه سيواصل مفاوضاته بعد الآن من البارحة من أجل التوقيع على البنود التي وجهتها حكومته الى الداي دون أن يتنازل عن شيء من مضمونها ، وقد أوصى القنصل الأمريكي باعناية بمنزله وخدمه ويضعهم تحت حمايته ، مع كل ممتلكاته في الجزائر ، في حالة فشل لمفاوضات ، وأما السيدة ماكدونالد (زوجة القنصل البريطاني) فقد أبحرت دون أن تحمل معها الأشياء الضرورية ، ولا حتى الملابس الداخلية . وكذلك أمر القنصل الأمريكي القهرمان المشرف على شؤون منزل القنصل البريطاني بأن يرتب أمتعة من أجل إرسالها الى البارحة بعد الحصول عن طريق الدروجمان على اذن بذلك من السلطات الجزائرية ، وفي حالة رفضها ، وهو شيء مستبعد ، يجب أن يرجع

اليه . كان هذا في يوم الخميس ، وقد أعلن القبطان ميسر الى سلطات
الايالة أنه سستظر ردها النهائي حتى يوم السبت ففهم .

30 يناير :

هم يجر ما يستحق الذكر في هذا النهار ، وفيل ان الديوان عقد اجتماع
م سر ساء لستاحت في الشؤون الهامة محل الذكر .

31 يناير :

حصل لحاج علي رايس ، مدير الميهاء المشهور بذكائه وبآرائه
المتحرره ، صباح ابيوم ، رسالة من الداى ، يبدو انها بادره سلام ، فقد
ساز صرحه عن ادعائه «سترقى الأسرى الأسبان ، ووعد بأنهم
سيعاملون كما يعامل أسرى الحرب العاديين ، وأنه سيوقع البود التي
عرضتها عليه الحكومه البريطانيه ، بل انه هم يعارض بقوة حتى البند
لدى يتعلق برفع العلم في المدينه ، وهو اشترط الذي يضيقه أكثر من
غيره ، ويبدو أن هذه المسألة قد توقفت يوم أمس في الديوان . وقد
كان الذي يرى بعباد وجوب عدم تقديم أية ترصية الى بريطانيا ،
وسكنه اضطر ، في نهاية الأمر الى استأثر عن رايه الذي كان يعارضه
فيه جميع أعضاء الديوان ، وفي هذه الأثناء ترك القبطان ميسر البارجة
ونزل الى الأرض ، وقد نطت كليات كبيرة من الأمتعة التي أعدها
الفصل الى البارجة .

وكان الدروجمان قد أبلغ احكومه باسم القنصل الانجليزى أنه نظرا
لان هذه الأمتعة من الأمور الضرورية للسيدات والأطفال ، وهي هم تكن
قط موصوع للمساغة في حالة الحرب ، فانه يأمل ألا تعارض في شها
الى البارجة ، وهو (أي القنصل) سيبحث بمن يأخذها تحت علم دولته .

وعقب اقلاع البارجة البريطانيه مباشرة ، توجه القنصل الأمريكى الى
وزير البحرية والى وزير الخارجية ، وبرفقته الدروجمان والسيد

جراتي المترجم ، ليلعهما أيهما ، وهما يعرفان جيدا حقوق الصيافة التي كانت تربطه بقنصل إنجلترا الأخير ، لن يدهشا اذا علموا انه كلفه بالعبء بكل ما يمكنه ، وبالتالي ، فهو يوي رفع العلم الأمريكي على القنصلية الانجليزية التي سلمت اليه ، وبصفه عامة ، سيضع تحت حمايته كل ما خلقه القنصل الانجليزي ، السيد ماكدونالد لدى رحيله .

وقد رد وزير الخارجية قائلا ان من المرجح ان لا يعارض في مثل هذا الترتيب .

وأضاف القنصل (الأمريكي) قائلا انه يعتقد أن تصرفه هذا لا يجاوز كونه ممارسة لحق ، وأنه انما جاء ليلعه نبتة هذه ، ولكي يطلب اليه أن يمدد بالحرس الذين يتوون حماية القنصلية الانجليزية .

وفد لاحظ الوزير في نفس ابواب قائلا ان صداقة الأفراد لا يحس شيئا من مساكن الحرب بين الحكومات . وأنه بوصفه وزيرا يعرف جيدا ، أن لقنصل بوصفه مواطنا أمريكيا ، لا يكثر بظبيعه لعلاقات بين الايالة وانجلترا ، وباختصار ، فهو صديق لطرفين ، يعرف حموه وينبغي له أن يمارسها ، وقد وافق الوزير على هذا الحل وأعطى أوامره في الحال . وكذلك أصدر القنصل أوامره بأن يرفع العلم الأمريكي وشعار الولايات المتحدة على لقنصلية الانجليزية وعلى منزل القنصل في الرف ، ثم انتقل بنفسه الى القنصلية والمزل وتسلم المفاتيح على الساعة الرابعة .

وفي هذه اللحظة ، شوهد طراد جزائري (حرافه) تطارده سمن بريطانية في عرض البحر . وعلى الساعة الخامسة الا ربع اقتربت منه بحيث لم تكن تفصل بين الفريقين سوى مرمى بندقية ، وكان كلاهما يطلق النار على الآخر بصمة مستمرة ، وقد أبدت السفينة احربية الجزائرية شجعة نادرة المثال ، واستمرت المعركة حتى الساعة السادسة

الا ربيع ، حين حجب منظر لمركة عن أعيننا العسق وكان يبدو وكأن
اطلاق النار قد توقف .

وعلى الساعة الخامسة أطلقت المدافع الجزائرية المشرفة على البحر
مطلقاتها لتعلن ، بدون شك ، قيام حالة الحرب .

لقد كانت مقاومة السفينة الجزائرية بردها بنيران مدافعها على نيران
البارجة الكبيرة شيئا مذهبا حقا ، كما كان سلوك بحارتها يشرف أية
دولة في العالم ، فان السفن البريطانية ظلت تطلق نيرانها عليها نحو ثلاثة
أرباع الساعة على نصف مرمى مسدس دون أن تتغلب عليها وتحملها
على الاستسلام .

1 فبراير :

وصل لدروجمان وخدام القنصلية الأمريكية صباح اليوم الى
القنصلية الانجليزية ورفعوا عليها العلم الأمريكي وشعار الولايات
المتحدة بحيث حلت محل العلم البريطاني والشعارات لبريطانية على
اساعة التاسعة صباحا ، وقد صنعوا قفس السيء بمسرب القنصل
الانجليزي الرقي .

وقد حضر لدروجمان الى القنصل (الأمريكي) صباح اليوم يحمل
اليه رسالة ودية من الساي يعرب له فيها عن رضاه يأخذه تحت حمايته
المنزل الذي تركه القنصل الانجليزي ، ويؤكد له حمايته به في هذه
الوضعية الجديدة ، وأضاف اداي قائلا ان قنصل الولايات المتحدة
هو الشخص الوحيد الذي يسمح له في الجزائر بالقيام بهذه المهمة .

ظهرت السفينة الحربية الجزائرية في الخليج وهي محطمة الصواري
تمام وتطلب الجدة ، وقد جرتها سفن أخرى في غضون النهار ، وذكرت
اشاعة أنه قتل أربعة من رجالها وجرح ثمانية آخرون ، وهذه الخسارة

الصغيرة نسبيا يمكن تمسيها تتحصن ابخارة في الطابق الأسفل وقد أخذ الانجليز معهم فيطان السفينة أسيرا ، كما أخذوا الأسرى الأسير الدين كان قد أسرهم من قبل وتركوا السفينة حطاما في عرض الخليج ، وهؤلاء الانجليز لم يشاهد بهم أثر في هذا الصباح .

3 فيسويو :

ونتيجة للرسالة التي تلقاها يوم أمس من الداي ، توجه القنصل الى وزير البحرية ورافقه الدروجبان وابن زمون بصفته مترجما . وقد أبلغ الوزير أنه يحثي بناء على ما ورد في رسالة أمس من أن موقعه قد أسىء فهمه في اجزائر ، وأنه يعتقد ان من واجبه أن يقدم مختلف أنواع الخدمات بصفته صديقا مستقلا لرسمين . بل وللمواصين العاديين أيضا من مثلي وأبناء الحكومات التي هي في سلام مع الولايات المتحدة ، وذلك كلما واثت الفرصة ، ولكن قوانين الولايات المتحدة ، تمنعه من التدخل في الشؤون السياسية التي ليس طرفا فيها ، ولو حاف هذه القوانين تترص لعموبت صارمه . بل انه حتى في حالة ما اذا كانت الولايات المتحدة طرفا في نزاع ، فهو لا يتصرف الا بناء على أوامر وتعليمات من رئيس الولايات المتحدة ، والقنصل يكون سعيدا لأن يقدم كل خدمة في استطاعته الى الحكومة الجزائرية أو الى أية حكومة مستقلة أخرى ، بشرط ألا نبعد به عن نطاق وظيفته . وبالتالي فهو لا يستطيع قبول أية مهمة تجعله حاصلا لسلطة أخرى غير سلطة حكومته ، وقد لاحظ الوزير أنه لم يكن ينبغي أن يبقى عدد من القنصليات بدون فنامل يشئون بلادهم . وقد رد القنصل بأن هذه من احالات التي لا يمكنه حتى مجرد الادلاء برأي بشأنها ، وقد توصل الفريقان الى حل وسط على أساس المبادئ المذكورة أعلاه ، أن يعتبر جرائيت مكرتيرا للقنصل ، وبهذه الصفة تنسبط به مهمة الاشتغال بشؤون تلك القنصليات ، طبقا للتعليمات التي تلقاها ، واذا

ظهر أية صعوبة أمامه ، وهو شيء مستبعد ، فإن القنصل سيقدم نصيحة بشأنها بوصفه صديقا للجميع .

وعقب هذه المقابلة بوقت قصير ، بعث الداي الى القنصل (الأمريكي) برسالة ودية للغاية بواسطة الدروجمان ، وفيها يشكره عن الترتيبات التي توصل اليها مع الوزير ، ويضيف بأنه يصع جرائت ابتداء من الآن تحت حماية الحكومة الأمريكية ، وقد طلب الداي لى القنصل مساعدة جرائت بأرائه فيما تدعو الحاجة الى ذلك ، حيث أنه لا يريد أن تتعرض مصالح هذه القنصليات لضيع في غيبة القناصل .

علم القنصل (الأمريكي) أن الجزائريين لو عرفوا نيات قنصل انجلترا والقبطان سنبر مقدما لاعتقلوهما .

4 فبراير :

وصلت سفينة حربية تابعة لمملكة سردينيا الى الجزائر قادمة من مرسيليا ، تحمل رسائل للأفراد وصحفا لقنصل ، والسفينة تحمل عددا كبيرا من الطرود والأشجار والبسات الخ ، بالإضافة الى بعض السلع العالية الثمن ، وهي عبارة عن هدية نابلي لنداي ، وهي هدية كان من المفروض أن تقدم عن طريق القنصل الانجليزي ، وقد أنزلت كل هذه الأشياء من السفينة بمحضر موظف شؤون الجمارك في القنصلية ، ووضعت في مكان مأمون .

8 فبراير :

وصلت الى خليج الجزائر سفينة هولندية قادمة من ميناء ماهود ، لم تجر السفينة أية اتصالات ، وقد أقلمت في نفس اليوم ، وعن طريق هذه السفينة علم القنصل أن الأسطول الأمريكي يوجد حاليا في ذلك الميناء .

10 فبراير :

علم القنصل عن طريق صديقه القديم ، الخرنجي . أن ذئب القنصل الانجليزي في وهران قد اغتقل ، كما احجزت جميع ممتلكاته وأمتعته . ولكنه هو (الخرنجي) تدخل لدى الداي وذكره بأن هذا القنصل ليس الا وكيلا للقنصل الأمريكي . وعقب ذلك أرسلت برفيقه متحلة تتضمن الافراج عنه واعادته الى عمله واخراجه . بوصفه وكيلا لقنصل الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد وجهت انقصيه عددا من البرقيات الى وزير اخارجية (الأمريكي) عن طريق وزير الولايات المتحدة المفوض في لندن ، تحملها سفينة مساويه ذات صارتين ستقلم يوم الغد ، في اتجاه ميناء ليفورن .

11 فبراير :

وصلت اليوم الى الجزائر أربع بوارج وسبع حربية ذات صارية واحدة تابعة للأسطول الفرنسي .

12 فبراير :

أجرت قطع الأسطول امريسي اتصالات بقنصل فرنسا ، وفي نفس الوقت ، عادت سفيتان حريتان جزائريتان من جربة قامتتا بها لمقرصة .

زل قائد الأسطول الفرنسي الى ابر ، ولكنه لم يتمكن من الدخول الى قصر الداي وسببه معلق بجانبه ، وأنا قد سميت أن أسجل أن القبطان سبسر الانجليزي كان قد منع هو الآخر من الدخول الى القصر لنفس السبب ، وهذا ادعاء جديد من الالة ، لأن القنصل الأمريكي سبق أن قدم الى الداي عددا من انضباط الأمريكيين الذين كانوا يحملون سيوفهم وفي المساء ، عاد قائد الأسطول الفرنسي الى بارجته ، وفي

اعد أفع الأسطول من ميناء الجزائر ، وهذه السفن جاءت من تونس
وتحمل على متنها رسائل الى الدكتور هيب (Heap) القائم بأعمال
القنصلية الفرنسية .

13 فبراير :

عرف القنصل (الأمريكي) أن قنصل فرنسا قد اعتم فرصة وجود
قطع الأسطول الفرنسي في الجزائر ، وطب الى الحكومة التعجيل بحل
المشكلة التي تتعلق بامتلاك فرنسا منزلا وحديقة في عنابة ، وهو
المنزل الذي يضم فيه حاليا نائب قنصل بريطانيا . والمعروف أن هذا
المرل كان موضع نزاع بين فرنسا وانجلترا مدة سبع سنوات ، وقد
أجيب القنصل الى طلبه وصدر أمرا بتمليكه للفرنسيين .

14 فبراير :

وجه القنصل الأمريكي السيد بن زمونه الى السلطات الجزائرية التي
تعترف بمركزه ليلغها أنه (الفصل) بوصفه صديقا محايدا يرجو منها
أن تفكر أنها في حالة حرب مع دولة كبيرة ، وأنها اذا كانت لا نوي دفع
الأمور في طريق الأسوأ (وهو في هذه الحالة لا يسمح لنفسه بإبداء
رأيه) ، فيبني لها ، انتهاجا لسياسة سليمة ، أن تمتنع عن اتخاذ أي
اجراء لا هدف منه الا اثاره النفوس ، الأمر الذي من شأنه أن يجعل
القطيعة أكثر خطورة ، وأن حق امتلاك منزل عنابة الذي منح للقنصل
الفرنسي ، مستعبره الحكومة الانجليزية اهانة جديدة توجه اليها ، الأمر
الذي يحول دون تذليل الصعوبات الحالية بسهولة ، وأن طلب القنصل
الفرنسي في هذه الظروف يتناسى روح الكرم والنبل التي يجب أن
يتحى بها جميع لمشين الأحزاب في مثل هذه الحالات ، والقنصل
يعتقد أن الحكومة الفرنسية لن توافق على مساءه ، ولذلك ، فإن القنصل
يوصي السلطات الجزائرية ، اذا كان السلام هدفها ، أن توقف مفعول
هذا النزاع وتمتنع عن اتخاذ أية اجراءات مضايقة في تلك الأثناء .

15 فبراير :

عاد السيد بن زعمون وأخير القنصل أنه أبلغ رسالته الى الأعا ، والى أمير البحر ، والى مدير دار الصك ، وأنهم جميعا قد شعرو بفوه مافيا من حجج ، وأنهم عرصوها ، في الحار على الداي ، الذي عترف بأنه قد تسرع في حل القضية ، وتبعاً لذلك ، فقد أصدر أمراً بوقف لتنازل عن المنزل للقنصل الفرنسي .

بعث الداي وجميع وزرائه رسالة وديه الى فصل الولايات المتحدة الأمريكية يشكرونه فيها لنصيحته ويرجون أن ييسخ الحكومة الانجليزية استعدادهم للقيام بكل ما من شأنه أن يعيد علاقات السلام الى مجراها العادي ، وقد أعاد القنصل السيد ابن زعمون يحمله نحياته السعيدة ، وكلفه بأن يبلغ الحكومة الجزائرية أنه اذا كانت ترغب في السلام حقيقة ، فعليها أن تزيل العقوبات التي تعرض طريقه ، وأن تقوم ، خصوصا ، بعادة الأسرى الأسبان في الحال الى بلدهم .

16 فبراير :

وصلت اليوم سفينة ذات صارتين تابعة لملكة سردانيا قادمة من ليفورن (4) وتحمل على متنها قنصل الدانمارك اسيد كارستنن وأسرته . حضر السيد ابن زعمون الى القنصل وأبلغه أن الحكومة الجزائرية قد أحسنت استقبال آرائه وأن وزير البحرية والخارجية يريد مقابلته بعد ساعة من الزمن .

وفي الوقت المحدد ، قصد القنصل (الأمريكي) الى وزير البحرية وفي معيته للدروجمان والسيد ابن زعمون بوصفه مترجماً ، وقد جرت

4 - Livourne بالفرنسية والاطالية (Leghorn بالانجليزية) ميناء ومدينة يقع عند مكانها حاليا 172000 نسمة ، وهي مدينة صاعدة ، وأهم صناعيتها ، سكر لحادن والصناعات الكيميائية وصناعة تكرير النفط .

محادثة طويلة بين القنصل والوزير وأمير البحر ، وقد بدأت المحادثات بتقديم الوزيرين تحيتهما للقنصل ، فائس انه الرجل الوحيد في الجزائر الذي يمكنهما طلب مشورته ونصيحته بثقه في الظروف الحاضرة .

وقد كرر القنصل على مسامع الوزيرين ما سبق أن أبلعه لهما عن طريق سيد اس زعمون ، وبعد ذلك واصل الطرفان مناقشة جميع أعمال الحكومة التي أدت الى العداوة مع انجلترا ، وقد أعرب القنصل في هذه المدة عن آرائه بكامل الحرية ، وهو يعتقد أنه أثبت خطأ هذه الأعمال ، وأوضح ضرورة اعتماد سياسة تتفق مع التطورات بحظيرة الشأن التي وقعت في السياسة العالمية ، وذلك لأنه مقتنع بأن ادعاء الجزائر الحق في الاعتداء على دول مستقلة لم يعد أمرا محتلا ، فإذا أراد الجزائريون حمية عودة العلاقات السلمية مع عدوهم الحالي ، فهو يوصيهم بأن يمتنعوا عن ابداء شعور عدائي لا فائدة منه ، وأن يعملوا بقدر ما في استطاعتهم لازالة العوائق التي تعترض المفاوضات .

وقد ألقى القنصل ، خصوصا ، على القول بضرورة اطلاق سراح الأسرى الأسبان ، حيث أن عودة اسرقى المسيحيين ، هو في رأيه ، موضوع انزعاج اوحيد يدي تصعب نسوته ، وقد أكد للوزيرين أن مسألة رفع العلم البريطاني في المدينة موضوع سوف لا تلج عليه الحكومة البريطانية ، إذا قيل لها ان ذلك يتعارض مع المعتقدات الدينية ويجرح شعور السكان هنا ، وقد استمع الوزيران الى القنصل بكل اهتمام وعلى مظهرهما ما يدل على أنهما يساركانه رأيه ، في جميع المسائل المعروضة على بساط البحث ، باستثناء مسألة تسريح الأسرى الأسبان التي أبدى بشأنها ميلا الى عدم لاتفاق معه ، ولكنهما ترجيا القنصل بأن يكتب الى الحكومة البريطانية في صالح الحكومة الجزائرية ، وقد أوضح لهما القنصل استحالة تدخه بهذه الصورة ، ولكنه أكد لهما أنه بوصفه صديقا محايدا ، فسيكون دائما مستعدا للقيام بكل عمل

في استطاعته مما ينفق مع واجباته . وبعد ذلك ، طلبا اليه أن يقوم بنقل رسالة من الداي الى الحكومة البريطانية ، وأبلغها أنه على استعداد بقيام بذلك عن طريق وزير الولايات المتحدة المفوض في لندن ، ولكنه ذكرهما بالأخطار التي يتعرض بها السفن البحري وفيه سلامة البريد .

17 فبراير :

حمل الدروجمان الى القنصل برفقة من ايداي موجهة الى الكونت باثورست Bathurst ، وقد وضعها القنصل في مطروف مع رسالة مماثلة تقتضيها الظروف ووجهها الى السيد بوره ، وبالأمر ، تلقى القنصل الأمريكي من وكيله في وهران رسالة (وهذا الوكيل هو نائب القنصل الانجليزي) ، أبلغه فيها أنه ألفي اقبص عليه كما احتجزت أمنعه بطريقة صارمه . وغضب ذلك اشكى القنصل لدى السلطات الجزائرية على هذا العدوان على حقوق وكيله الذي لا يحمل الجنسية الانجليزية . وقد رد الوزير على هذه الشكوى بأن أوامر قد أرسلت منذ بضعة أيام لاصلاح سراحه ، بوصفه وكيلاً لقنصل الولايات المتحدة ، بل انه سمح اليه امرا مكتوبا بشأن سفينة ذات صاريين تحمل علما انجليزيا احتجزت باعتبارها انجليزية تقضي باخلاء سبيلها ، بحجة أنها سفينة أمريكية .

21 فبراير :

أقمت قذفة قبائل تابعة لمملكة سردانيا من ميناء الجزائر في اتجاه مرسيليا ، وقد اغتم القنصل (الأمريكي) مناسبة سفر هذه السفينة بوجه معها برقيات الحكومة الجزائرية تحت مظروف الى السيد راش .

22 فبراير :

ظهرت بارجة انجليزية في خليج الجزائر محمل علم نائب الاميرال .

23 فبراير :

لا يزال الأميرال الانجليزي في خليج الجزائر ، وفي غضون الليل وصلت برجة أخرى وانضمت الى الاولى في الحبيح ، وقد طلب وزير البحرية الجزائرية الى القنصل الأمريكي ، باعتباره صديقا لجميع ، أن يأخذ قارباً وتقصد الى البرحة الانجليزية ، ليطلب الى الأميرال لانجيزي توضيح مهمة التي قدم من أجلها وليؤكد له حسن نيات الحكومة الجزائرية . وقد طلب القنصل الى الوزير تزويده بمذكرة مكتوبة حتى يمكنه الاعتماد عليها للقيام بمسعى دقيق مثل هذا ، وقد أجب الوزير بأنه نظرا لأن القنصل يعرف جيدا كل ما يتصل بالمسائل موضع النزاع ، عد الحكومة تعتمد على حصافته وشرفه ليقرر هو ما ينبغي أن يقوله ويصنعه أثناء قيامه بهذه المهمة .

خرج القنصل ووراءه دروجان القنصلية والسيد ابن زعمون المترجم ، ومصطفى الرايس ، قائد الميناء ، ولما وصل الى البارجة «دي رجنت» على الساعة الثانية ، استقبله بكل لياقة نائب الأميرال ، هنري ب نيل والقبطان سبنسر قائد البارجة «نايدا» وقنصل انجلترا السابق .

ونظرا لأن القنصل ليس لديه مقترحات ليرضاها على الأميرال سوى نيات الحكومة الجزائرية ، وحيث أنه سبق أن بعث ببرقياتهما الى اللورد باثورست عن طريق وزير الولايات المتحدة في لندن ، ولأنه اتخذ جميع الاجراءات التحفظية لحماية القنصلية الانجليزية (وممتلكات القنصل الانجليزي التي تركت وديعة عنده) فقد اقتصر في مهمته على سؤال نائب الأميرال عن لياته في هذه الزيارة ، وهذا الأخير لم يتردد ، وبكل صراحة لا يشوبها أي تحفظ ، أبرز له مذكرة مكتوبة ، وفيما يلي مضمونها :

ان الحكومة البريطانية تعبر نفسها في وقت احاصر في حالة حرب مع الجزائر ، والأميرال لا يحمل أية تعليمات خاصة . ولكنه أمر بفرض حصار شديد على الجزائر . ويتحد أقصى الاحراء ان عداا ، وذلك حتى يوافق الادي على الموقع على التصريح الذي عرصه عليه الفصل العام لانجلترا ، ممثل صاحب الجلالة .

وبعدما اتفق ، كم خول السلطة لذلك ، مع نائب الأميرال بيل على ضرورة احترام الجانبين علم الهدية بتفاوض ، في حده ما اذا أصبحت الحرب شبيطة ، التزم الفصل (الأمريكي) باسم الحكومة الجزائرية بأن تحترم الأخير هذا الترتيب . وبعد ما سقى شكر نائب الأميرال على رعايته للمصالح الانجليزية في الجزائر ، انسحب الفصل ونزل الى المدينة عند غروب الشمس ، وقد قام مترجمه ورائد امياء بالالاع نتيجة هذ المسعى الى الادي ، كم سلب الى الادي رسالة مختومة من طرف نائب الأميرال ، تتضمن ، فيما فيه الأخير ، المعلومات التي وردت في المذكرة التي قدمنا نصها .

24 فبراير :

انضم الى بارجة الأميرال مركب ذو صاربه واحده من نوع « كطر » (5) تحت جبح الظلام بينه امس ، وبمرا لأن الفصل (الأمريكي) قد اضطره صدادع شديد الى ملازمة لفراش ، فانه لم يتمكن من التوجه الى اجتماع دعاه اليه وزير البحرية لذي بعث اليه رسولا خاصا لهذه الغاية ، وقد عاد الرسول بيلع انقصل أن وضع الأسطول البريطانية قد احتجزت مركبين جزائريين لصيد السمك ، ولذلك ، فانه لم يستطع أن يوجه اليه مركبا خوفا من أن يقع أسيرا في يد الانجليز ،

5- مركب شرابي ذو مربعة واحدة يكون دائما لسفينة حربية يستخدم نقل المؤن والاشخاص من السفينة واليه .

إذا لم يتدخل القنصل لهذه الغاية ، وقد ترجاه أن يكسب رسالة الى قائد الأسطول الانجليزي بهذه الغاية ، ونظرا لأن القنصل لم يكن في حاله يسمح له بالكتابة ، فقد عرض أن يصمن العلم الجزائري الذي يحمله المركب ، أو يرسل الى الوزير العلم الأمريكي ، اد فضل ذلك ، وهذا الاقتراح الأخير هو الذي قبل .

عقب رسالة نائب الأميرال الى لداي التي حملها قائد الميناء والمترجم ابن زعمون ، وافق لداي ، حسبما أبلغ اورير القنصل الأمريكي ، على جميع الشروط الانجليزية ، فيما عدا الشرط الذي يتعلق بشر العلم الانجليزي في المدينة ، والحكومة الجزائرية قد تناولت هذه القضية في البرقيات التي بعثت بها الى الوزير البريطاني ، وقد ذكرت أنها تفصل أن تعرض لأشد الحروب تسميرا على أن تقبل هذا الشرط .

25 فيسراير :

أقلمت بارجة الأميرال اليوم وابتعدت عن الميناء وخليج الجزائر .

فقد رأى القنصل الأمريكي أن أعليه الوزراء في الحكومة الجزائرية يسلون الى السلم ، ولذلك قرر أن يستعمل كل نفوده من أجل عودة السلم الى نصابه ، وكذلك بعث ابن زعمون الى وزير الحربية والى الأميرال الجزائري ليلص نظرهما الى الخطر المحدق بالجزائر ول يقول لهما انه سيكون من السخف أن تحلم الجزائر بالدخول في حرب مع انجلترا ، وأنه اذا أصبحت المسائل المتنازع عليها حاليا (وهي سهم التسوية) مشاكل قومية ، فان هذه الحرب سوف تتمم بالضرورة خراب الجزائر ، وهذه لاشارة استقبلها الوزيران أحسن استقبال .

27 فيسراير :

قابل القنصل (الأمريكي) ليوم الاغا بناء على موعد بحجة التصديق على عقد ، وفي هذا الاجتماع ، أوضح له بكل صراحة وحرية الخطر

المحدد بوضع الجزائر ، وأنه لا يوجد أي ثورن بين فود هذا البلد وقوة إنجلترا ، وأنه يجب التعلب على الجبل والرسوخ بقود ، وأنه متفوه ، وأنه لو شرعت إنجلترا في العمييب الحربية ، لا يوجد من يستطيع أن يتنبأ بشروط الصلح التي ستمرضها بطرا بعد ذلك . وقد شعر القنصل باغتباط لأنه وجد في الأعا ابدى هو رجل متز حفا مهيا لرايه ، وقد أعرب الأعا عن رعبه في ن يعود السلام مع بريطانيا الى نصابه بمبور الشروط التي قدمها ، وحث الفصل الأمريكي متوسلا اليه بكل ما هو عزيز لديه ، على أن يثابر في عمله انجيل انقدر ندي أحده على عاقبه . وقال له : سيكون ذلك مفد الملكة وأنه سيتخذ منه صديقا مدى الحياة .

وقد رجا الأعا الفصل بأن يبحث عن عسر لمبلة ابداي . لأنه لا يستطيع هو ، ولا أي حرائري آخر . ولا يجرؤ على أن يعرض عليه الوصية كما هي حقيقة ، ونتيجة لهذا الاجتماع ، بحث الفصل الى وزير البحرية بمن يطلب اليه تحديد موعد للاجتماع به ، وكان يعرف — لأن اليوم كان يوم الجمعة — أنه موجود في القصر ، وأما موضوع هذا الاجتماع ابدى اتحذه دربعة لهذه لمقابلة . فهو الحاجة الى التشاور معه لتأمين سلامته الشخصية . في حانه وقوع هجوم على الجزائر ، حيث أن الفصل بعته أخبار تقول بأن منزله ملعم . وجد الفصل هذا الوزير تحت تأثير أفكار من نوع آخر ، وبالتالي ، فقد كاد الاجتماع به بدون أية نتيجة أو أهمية ، وبعد هذه لمقابلة قصد الفصل الى مقابلة مع ابداي — تلك المقابلة التي كان قد طلبها مسبقا .

استقبله الداي بكثير من اللياقة والحمارة ، وقد كان مرح المزاج ، كثير الدعاية بحث أنه كان يصحك من مخاوفه ويصفها بأنها مخاوف أطفال ، وقد عمد الفصل الى استعمال صفته كممثل لأكثر البندان صداقة مع الجزائر ، بيلفت أنظار الداي الى الخطر الذي يعتقد أنه يهدد

الجزائر ، وكرر على مسامحة نفس الحجج التي عرصها من قبل على
الأغنا ، ونفس السجدة التي تنسم بالصراحة .

ولكن الداي كان يرد على تلك الحجج بأفكار سخية تدور كلها
حول انقضاء والقدر ، وقد قال الذي انه كان على القنصل أن يعرف
من دراسته لتاريخ « مصير النمرود الذي كان أعظم ملك في عصره
ولكنه مات بعد ما فرصه بعوضة » ، وبعد ذلك ، رفع عمايته ليؤكد
له أن مصير كل إنسان قد خطته يد الله على جبهته ، بن ن الداي قد
صرح بأنه على الرغم من رغبته في الحصول على سلام مشرف من إنجلترا ،
فهو لن يوافق أبدا على عودة القنصل الانجليزي الأخير الى الجزائر .
ولجدير بالذكر في هذا السياق ، أن هذا القنصل الذي كان معرنا
بالعمل في حديقته ويحب الحياة الريفية ، كان أبعد ما يكون عن استغلال
النفوذ والقوة ، والذي ان الذي انفس في انقضاء والقدر لا بد وأنه قد
استمع قبلي الى نصيحة شخص آخر . والحقيقة أن جميع الحجج قد
وحدث عنه أذا صماء ، والمرجح أنه سيسير صوعا ومعوض العيني إلى
الخراب .

وفي هذا اللقاء أثبت لداي للقنصل الأمريكي بأقصى ما يمكن من
امراحة ثقته في صفاء نيته ، وقال له انه يستطيع في جميع الظروف
الاعتماد على حميته للملكية لشخصه ولكل ما يتعلق به . وهذه التأكيدات
قد كررها له أيضا جميع الوزراء من قبل .

2 - ملرس :

تقدمت بارجة من السفن الحربية البريطانية التي تحاصر الجزائر ، وهي
تحمل علم المفاوضات ثم أرسلت قارباً الى ابانة . وهدف هذه الزيارة
هو ائزال زنجية كان الانجليز قد أرسلوها الى البر . وفي هذا اليوم
سفن نفسها ومطارا في الجو أخوان كاتا يملان في المشرق وديعان معرفة

صنع الصواريخ ، وذلك أثناء تجربتهما صاروخا من صنعهما وكذلك
جرح في العملية شخص آخر .

4 مصادر :

وصلت بارحة انجليزية قادمة من طولون . وقد أخطأ الأميرال الانجليزي
في التعرف على هوية هذه البوحة وتشكك في نيتها ، فأطلق النار عليها .

7 ماس : :

وصلت سكونه حربية فرنسية قادمة من طولون . وقد قامت بزيارتها
سفينة تابعة للأسطول المحاصر . لقد كان عدد قطع الأسطول البريطاني
المحاصر يختلف بين يوم وآخر منذ بضعة أيام . وأما الآن فهو تكون
من بارجة الأميرال وست بوارج أخرى .

حضر لمقابلة القنصل (الأمريكي) اليوم ، سيدي حميدان بن أخ مدير
دار الصك مع تاجر كبير في المدينة ، ليطلبها اليه أن يرشدهما بشأن ما يسمى
عمله في الظروف الحالية ، بالظر الى أن الداي منصلب في موقفه ويريد
أن يتحدى القوات البحرية البريطانية . وقد أحالهما القنصل الى الحجج
التي سبق أن أدعى بها ، ثم أشار عليهما بتشكيل وفد من أعيان السكان
ليتوسل الى الداي بأن يعمل للبقاء على حياة رعاياه وثروتهم وذلك
بالموافقة ، على تسوية مع دولة ليس في وسع المملكة مقاومتها .
وقد عم القنصل من هذا الشخص أن الرسالة التي وجهها الداي الى
السلطات البريطانية والتي قام هو بها بتوصيلها تحتوي على اقتراح
مهم يتعلق بعودة القنصل الانجليزي الى الجزائر . وقد أعرب له القنصل
عن استنكاره لهذه المخادعة ، حيث أن هذا الاقتراح يتناقض مع نص
صريح ، وقال له انه اذا كانت الحكومة الجزائرية تريد منه أن يخدمها
في شؤونها ، فيجب عليها أن تلتزم جانب الصدق والثقة ، والا ، فانه

بوصفه قنصل دولة أجنبية ، سوف لا يهم إلا بما يعنيه وسوف لا يشغل نفسه بمصالحها ، وليس من مبدئه أن يخدم أحد الطرفين في النزاع على حساب الطرف الآخر .

8 مارس :

جاء من أبلغ القنصل الأمريكي أن الأغا لا يوافق على فكرة توجيه وفد من الأعيان لمقابلة الذي — تلك الفكرة التي صرح بها يوم أمس — وذلك لأنه يعتقد أنه لن تكون لها من نتيجة سوى إثارة غضب الداي ، بحيث يصبح أكثر عنادا في المخطط الذي وضعه .

10 مارس :

تحيط بهمة السفن الحربية الفرنسية الراسية هنا هالة من الغموض . ويفرض أن هذه المهمة خطيرة والحقيقة أن السياسة الفرنسية تجاه الجزائر منذ سنة 1815 تتم بموضع لا سبيل إلى سجلاته . وقد وجهت بصورة تثير الفضيحة ولا توحى بالشفقة .

سم القنصل الأمريكي إلى قنصل فرنسا رزمة من البرقيات لابلغاها إلى سيد راش تحت غلاف موجه إلى الشقيقتين بورينج وشركهما ، لكي يعيدوا توجيههما بواسطة السكونة الفرنسية التي ترسو حاليا في الخليج والتي أعلن أنها ستقنع يوم الغد .

13 مارس :

أقلعت البارجة والسكونة الحربية الفرنسية اليوم ، والأخيرة في اتجاه طولون ، وعلى متنها الأسرى الأسبان الذين سلموا إلى قنصل فرنسا ، بوصفهم أسرى الحرب ، بقصد دخالهم في الحساب في مبادلة الأسرى ، إذ استمرت الحرب مع إسبانيا . وقد علم القنصل (الأمريكي) أن الأيالة قد وافقت على قيام فرنسا بدور الوسيط بينها وبين إسبانيا ، بشرط أن

يعترف ذلك البلد بادعاءات الجزائر (المايه) صدها . فب ان يذكر انه في يوم 10 من هذا الشهر ، بعد ما عرف القنصل أن نائب قنصل إنجلترا وعددا من الرعايا الانجليز في عيابه قد رح بهم في السجن وعوملوا بقسوة مفرطة ، قد بعث باندروجمان الى السلطات الجزائرية لكي تفتح على هذه الشدة التي لا فائدة منها . وقد عاد اندروجمان على الفور يحمل رسالة مهذبة تقول بأن أعمال الشدة الممارس اليها لم يكن مرخصا بها ، وأن رسولا قد أرسل على جناح السرعة الى عيابه يحمل أوامر بإطلاق سراح المسجونين في الحال وبمعامته جميع أسرى الحرب بإرفاقه واشفقة .

22 مارس :

بعث القنصل بعده برفيت الى وزير الخارجية (الأمريكي) عن طريق طنجة ، بواسطة الآغا . وهذه لبرفيات التي تحمل الأرقام 80 و 81 . ارفقت بنسخة من هذه المذكرات من تاريخ 10 يناير حتى 21 من الشهر الجاري ، الكل في مظهر موجه الى القنصل الأمريكي بطبجه ، لكي يعيد ارسالها الى جبل طارق . وفي الليلة الماضية التحق سكونة حريه بالأسطول البريطاني المحاصر للجزائر .

وفي هذا الصباح أوست سميئة الأميرال البريطاني في المياء تحت علم المفاوضة ووجه مركبا يحمل برقيات للداي .

23 مارس :

لاتزال سفينة الأميرال في المرسى في الخليج وتحت علم المفاوضة . وفي هذا المساء وجه مركب آخر الى الجزائر ، ولكنه لم يعرف شيء عن المقترحات التي قدمها بالأمس ولا عن مقترحات اليوم .

وصلت الى خليج الجزائر اليوم بارجة هولندية قادمة من ميناء ماهون وقد حملت الى القنصل (الأمريكي) رسائل من القبطان فونو

دئد اسكوة البحرية الامريكية « نوسوش » . ومنذ شهر مايو من
اسنة لم يتلق أحبارا مباشرة من الأسطول الأمريكي المربط في البحر
الاميض الا عن طريق هذه السفينة .

24 ميسر :

نحرت عدة من يوم بين المينا وسفينة الأميرال ، الانجليزي ان
الذي ير يفورده من النصب لأنه الوحيد برابة في مجلس الوزراء ،
بخصوص النزاع القائم بين انجلترا والجزائر . بل انه لم يرد حتى
استخدام مترجم بالكفاءة في المفاوضة ، وهو يتظاهر بالاعتقاد
بأن الأميرال لا يحمل الاعتماد الذي يخول له السلطة للتفاوض معه
لمتد لسلام النهائي . وقد نجم عن ذلك سوء تفاهم بين الطرفين . ان
القنصل الأمريكي يعتبر من ضمن الأمور التي يخشاها الداي (5) وتلقى
لقنصل الأمريكي من الأميرال البريطاني عددا من صحيفة « كوريه »
التي تصدر في لندن ، يحمل تاريخ 10 من هذا الشهر .
والقنصل يعتقد أن السلطات الجزائرية هي أرسنه اليه لثبت له معرفتها
بأنه تلقى تعليمات من حكومته مؤخرًا ، الأمر الذي يدل على أن الجزائريين
لا يتقون في أقواله ولا في صحة وثائقه .

25 ميسر :

تقلت اليوم سفينتان بين الميناء وبارجة الأميرال الانجليزي . والمترجم
الوحيد الذي يسمع بالكفاءة ، وهو السيد ابن زعمون ، لم يستخدم في
هذه المفاوضات ، للأسباب التي وردت الإشارة إليها أعلاه ، على الأقل ،
ذلك ما نفترضه . ان اشاعات قوية لا تصدق تقول بوجود سوء تفاهم
بين الطرفين .

5 - كما في الأصل . والنقص هو أن يؤيد ومراقبه .

26 مارس :

بعث الأميرال الانجليزي رسولا الى الحكومة الجزائرية وصور اشعه ان الرسالة التي يحملها تفيد الأيالة لسرة الأخباره وبكل صراحة بأن الأميرال يتمتع باصلاحات الضرورية لتفويض مع الداي شأن سروض الصلح وتصيف هذه الأخبار ان الأميرال قد حدد يوم السبت موعدا ليقف فيه الرد الجزائري . وقد رد الداي على هذا المسعى بأنه على اعتماد لدخول في مفاوضات مع الأميرال ، متى أصعبه الأخير على أوراق الاعتماد التي تلقاها من حكومته .

27 مارس :

بعث الأميرال الانجليزي صابعا من رجاله برتبة قبطان تحت علم المفاوضه الى المدييه ليمثله وقد انظر البطان ثلاث ساعات وبعد ذلك ، رفض الداي استقباله ، وصرح بأنه لن يفاوض الا مع الأميرال نفسه ، ان كان حقيقة يحمل أوراق التفويض . وقد كانت الحكومة الجزائرية ترفض دائما ارسال سعاة الى الأسطول الانجليزي .

28 مارس :

نزل الأميرال الى البر . وقد أجرى محادثة شخصيا مع الداي . وكما ذكره ، فان الداي قد استمر على لاعراب عن شكوكه في صلاحيات الأميرال للتفاوض معه في شئون الحرب والسلام . ومع ذلك ، فقد توصل اطرافه ، في نهاية الأمر الى اتفاق بشأن بود السلام . وذلك فيما عدا ما يتعلق بمودة القنصل الانجليزي الأخير الى الجزائر . فان الداي قد رفض دائما وبإصرار استقبال القنصل . عاد الأميرال الى بارجته ، وفي المساء بعث بمركب آخر يحمل علم المفاوضة .

29 مارس :

وجه الأميرال الانجليزي اليوم علم المفاوضة الى البر . ولما عاد الرسول الى البارجة أقلعت الأخيرة وغادرت الخبيج .

أخبر السيد بن زعمون القنصل بأن الداي قد بعث في طلبه يوم أمس وعهد إليه ترجمة رسائل من الأميرال الانجليزي . وقد جاء في الوثيقة الأولى أن الأميرال يتمتع بالصلاحات للتفاوض في شئون السلام مع الأيالة ، وتطلب باريس مدوياً إلى ابارجة « دي رجنت » لكي يتفاهموا معه . وهذا الطلب رفض . وتقول الوثيقة الثانية ان الأميرال ، رغبة منه في اتمام مهمته ، أرسل صابطاً من رجال أسطوله وزوده بالصلاحات لضرورة لكي يتفاوض مع اداي . وهذا الطلب رفض هو الآخر . وأما لرسالة الثالثة ، فقد كتبها الأميرال عقب عودته إلى بارجنت بعد المباحثات التي أجراها مع دي . وقد أعرب فيها الأميرال عن أسفه حيث أنه لم يسمع عقد الصلح ، وقال له ان رفضه استقبل القنصل الانجليزي الأخير ، بعبر امانه لحكومته . وقال انه يأمل في أن يبعث الداي إليه ببرد مرض ، بعد التفكير والنروي ، حتى يمكن تجديد السلام ، وأنه سينتظر هذا الرد حتى اليوم التالي :

وقد أمر الداي السيد زعمون بأن يكتب إلى الأميرال الانجليزي على ظهر إحدى رسائله رسالة أملى عليه نصها ، وهذا معناه : انه هو الداي لم يعلن الحرب على إنجلترا ، ولا يعتقد أنه توجد أسباب لإعلان الحرب عليه ، وأنه يرغب في استقرار السلام الذي يقبله بالشروط التي عرضها عليه الأميرال ، ولكنه لن يقبل أبداً عودة السيد ماكدونال ، القنصل الانجليزي إلى اجزائر ، وأنه قد أبلغ في الحال خبراً مؤداه أن بارجنتين بريطانيتين قد قامتا بقصف ميناء ومدينة عنابة ، وأنهما قد أسرتا سفينة محيدة ، وأحدثتا أضراراً كبيرة ، وأن عدداً من رعاياه قتلوا وجرحوا ، وأن هذه التصرفات لا يبدو أنها تتفق مع اللهجة التي استعملها الأميرال في محادثاته مع الداي بالأمس . وهذه الرسالة كتبت بلغة انجليزية رديئة ووقع عليها الداي ، وبناء على أوامره الصريحة غلقت في قطعة قفزة من اوراق ، وأرسلت في هذه الحالة إلى الأميرال الانجليزي .

كانت الشروط التي عرضتها الحكومة البريطانية في هذه المرة هي نفس لشروط التي تقدمت بها من قبل ، وذلك فيما عدا كون إنجلترا قد تخلت عن مطلبها بنشر العلم البريطاني في المدينة . وكذلك يصح بد مستقل على الحاح إنجلترا على ضرورة تطبيق معاهدة سنة 1816 التي أملاها اللورد اكسموث ، وإعلان الأيايه أنها لن تقوم باخضاع المسيحيين لفيود العبودية في المستقبل ، وأنها ستضمن سلامة أشخاص جميع الانجليز الدين يمشون في مملكة الجزائر .

وإذا عرف المرء كبرياء هؤلاء الناس وميلهم الى الاهانة وجهلهم بكل ما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية ، وقارن سلوكهم بسلوك غيرهم من الأمم ، وعرف ما أبداه الأميرال من الميل الى التوفيق في هذه المفاوضات ، فإنه لن يجرؤ على الأمل في أن تسفر الحرب القائمة بين لجزائر وإنجلترا عن حلول مشرفة .

5 أبريل :

وصلت بارجة تابعة لمملكة نابولي وأرست الخليج ، بعد ما أجرت اتصالات مع الاسطول الإنجليزي لذي يصرب الحصار على مدينة الجزائر . وقد حملت ابارجة على متنها فنصل نابلي الى الجزائر . نزل فنصل نابلي اليوم الى البر . وقد عرض القنصل الأمريكي على هذا المعتمد ، وهو السينيور ، ماجيلولو أن يأويه في منزله ريثما يتم اعداد منزله الخاص ، وقد قبل هذا العرض . علم القنصل ان الداي قد قبل طلب فنصل فرنسا الملح وأمر باخلاء منزل نائب القنصل البريطاني وحديقته وتسليمهما الى الفرنسيين .

18 أبريل :

ظهرت في الصباح المبكر سفينة حربية فرنسية ذات صارتين بعد ما اخترقت نطاق الحصار تحت جنح الليل ، وقامت بمطاردتها بارجة بريطانية .

وعلى الساعة السابعة ، أطلقت البارجة عدة طلقات من مدافعها ، ولكن السفينة الفرنسية عادت الى عرض البحر .

20 أبريل :

وصلت حراقة تابعة للأسطول الهولندي قادمة من ميناء ماهون وأرست في الخليج ، بعد ما أجرت اتصالات بالأسطول البريطاني المحاصر للجزائر . وقد علم القنصل (الأمريكي) بواسطة هذه السفينة أن الأسطول الأمريكي قد غادر هذا الميناء منذ وقت واتجه الى جبل طارق .

يمارس الأسطول المحاصر تمييزا واضحا بين السفن التي يسمح لها بالاقتراب من الميناء . وهذا التمييز لا يتفق مع العرف والتقنين الحرية .

9 مايو :

بشت بارجة من الأسطول المحاصر ، تحت علم المفاوضات بريقة الى الداي .

10 مايو :

وصلت حراقة حرية فرنسية قادمة من طولون في رحلة استغرقت أربعة أيام ، وأجرت اتصالات مع الأسطول المحاصر . وقد حملت هذه السفينة لقنصل الأمريكي رسائل وصحف وجهها اليه مراسلوه في مرسيليا

12 مايو :

علم القنصل من مصدر موثوق به أن الرسالة التي وجهتها احدي بوارج الأسطول المحاصر يوم 9 من الشهر الجاري قد وجهها الأميرال البريطاني الى الداي . وقد جاءت هذه الخطوة نتيجة لتعليمات تلقاها الأميرال من حكومته ، وتضمنت الرسالة شروطا للمصلح ، هي : نفس الشروط التي رفض بعضها الداي عدة مرات من قبل . وقد رد الداي على المورد بقوله انه يقبل جميع الشروط الانجليزية فيما عدا عودة القنصل

الانجليزي الذي لن يرعى باستقباله أبدا في الجزائر . وقد سلم هذا الرد على الساعة الناشئة بعد الظهر الى المركب الذي حمل الرسالة . والداي لا يزال يشك في صلاحيات الأميرال البريطاني لتفاوض معه . وهذا لرأي السخيف يشجعه عليه أشخاص يعرفون عن مجريات الأمور أكثر مما يعرف هو . تناول قبطان الحراقة الفرنسية وصباطه طعام العشاء في ابياء برفقة القنصل الفرنسي ،

13 مايو :

وصلت بارجة تابعة لمملكة نابلي وقد استغرقت رحلتها من ذلك البلد ثمانية أيام ، وقد أحترت اتصالات بالأسطول المحاصر ثم أرست في الخليج . وقد تنقّى القنصل الأمريكي عن طريق هذه السفينة رسالة ودية وعدة أعداد من الصحف اللندنية ، من القبطان سبسر ، قائد البارجة البريطانية « نايدا »

16 مايو :

قام قائد البارجة التابعة لمملكة نابلي وضباطها بزيارة القنصل الأمريكي ، ودعاهم للغداء معه في منزله الريفي . وقد وجه قنصل نابلي رسميا الى القنصل الأمريكي نسخة من رسالة مكتوبة بأمر جلالة الملك الى قنصل الولايات المتحدة في نابلي يشكره بها على ما لقيه قنصل نابلي من اللياقة والخدمات من القنصل الأمريكي بالجزائر .

18 مايو :

نسخ القنصل هذه المذكرات ابتداء من 21 مارس حتى اليوم وبعث نسخة منها الى وزير الولايات المتحدة الموصى في لندن ، وأخرى الى وزير الخارجية الأمريكية ، وذلك عن طريق مرسيليا التي ستقصد اليها بارجة مملكة نابلي التي ترسو خالية في خليج الجزائر .

20 مايو :

سلمت الرسائل المذكورة أعلاه الى قنصل نابلي لكي يسلمها الى
الفارس بالكارنو قائد بارجة ممكة نابلي التي ستسافر الى
مرسليا .

أقمت لسكونه الحرية الفرنسية « لاطورش » . وصلت بارجه
وسفينة حربية هولندية وتصلت بقنصل هولندا في الجزائر . وعن طريق
هذه السفينة تلغى القنصل الأمريكي عددا من ارسائل من ميناء ماهون ،
صادرة عن الكمودور رايتون وكذلك تلغى من الأميرال
لانجيري عدة رسائل شخصية وصحفا وكيسا من الكتب التي ارساها
اليه الأميرال من مرسليا وشحها على من السفينة الهولندية الراسية
في الميناء . ومن بين الرسائل التي تلقاها ثلاث صادرة عن الوزير الأمريكي
في لندن محس تواريخ 19 و 23 مارس و 4 أبريل الأخير .

قدم القنصل لي الآغا والي أمير البحر الجزائري عن طريق السيد
ابن رعمون مترجمة الى العربية عن الرسالة التي تلقاها من اوزير الأمريكي
في لندن والتي تبين مدى سوء نية الحكومة الجزائرية نحوه حين كلفته
بإبلاغ رسالة الداي الى الحكومة البريطانية .

21 مايو :

أقمت السفينة التابعة لممكة نابلي اليوم منجمة الى مرسليا ، جاء
السيد ابن زعمون اليوم الى القنصل يحمل اليه تحيات الآغا وأمير البحر
وشكرهما على لرسالة انتي وجههما اليهما يوم أمس ، وقد أكد له
ثقتهما التامة في أمته واخلاصه وفي الدوافع النبيلة انتي أوحيت له سلوكه
في هذه الحرب ، وقد أعرب الآغا عن أسفه لعدم العمل بنصائح القنصل
حينما كان الوقت لا يزال مواتيا ، وأما الآن ، وبعدما رأياه من تصميم
الداي وما أبداه من العناد ، فقد قررا أن يتركه ليعمل بأرائه الخاصة .

والآغا لا يخفي أمله ، بل ورغبته ، في أن يشغل الداي فسلا كلب في سياسته وفي ادعاءاته غير المعقولة .

29 مايو :

اليوم هو آخر يوم من شهر رمضان ، وغدا يحتفل المسلمون بعيد فطر ، وبهذه المناسبة قصد القنصل لى وزير البحرية بيقدم اليه تهانيه كما تقضي التقاليد ، وقد كان في رفقه دروجمان القنصلية ولسيد جسرانت بوصفه سكرتير القنصلية (المكلف بشؤون القنصلية الانجليزية) والدي وصمغ نحب حياه القنصلية الأمريكية منذ رحيل القنصل الانجليزي الأخير عن الجزائر . وقد استقبل اوزير القنصل بكثير من اللماسة واحمدا ، سأل عما اذا كانت توجد في البحر الأبيض في الوقت الحاضر سفن حربية أمريكية ، ولماذا لم تعد تزور الجزائر كما كانت تفعل في الماضي . وقد أجاب القنصل بأن الأسطول الأمريكي في هذه المنطقة كان في راحة مؤخر ، وأنه عم من رسائل من لكمودور أن الحصار المصروب على مدينة الجزائر قد حال دون مقدمه مؤخر ، ولكنه مع ذلك قرر أن يأتي الى الجزائر بنفسه أو يرسل احدي بوارج الأسطول في الأسبوع الأول من شهر يونيو القادم ، وقد لاحظ الوزير أن احصار لم يكن يجب أن يحول دونه ودون زياره الجزائر ، حيث أن الانجليز سيحترمون العلم الأمريكي ، بالتأيد . وقد لاحظ القنصل أن الوزير كان يرعب رعبه فويه في الدحول في حديث في موضوع الحرب مع نجترا ، ولكن القنصل يجب انحوض بلباقة في هذا الموضوع .

3 يونيو :

وصلت السفينة الحربية الأمريكية « ايريك » بقيادة القبطان ديكون وقدمت اليها التحية التقليدية وقد حملت السفينة رسائل من ماهون من الكمودور كرايتون . وبعدما علم بالوضعية السائدة هنا ، وبناء على نصيحة القنصل (الأمريكي) أعرب عن رغبته في الاتصال بالسلطات

اجزائية . وعلى الساعة الثالثة بعد لزوال ، نزل مع القنصل من السفينة وأطلعت المدافع حسن طلعات تحية له ، كما تمضي التقاليد . وعقب ذلك بعث القنصل الدروجمان الى الداي ليبلغه رأ القبطان ويكون يريد الشرف بمقابلته اذا كان ذلك يحوز رصده . يقدم تحيانه الى سموه . وقد رد الداي على رسالة القنصل برسالة أخرى مفعمة بتعابير اللباقة والأدب ، وأبسى تأثره بهذا المسمى ، وحدد موعدا بتقبطان والقنصل الأمريكين في يوم الغد على الساعة الواحدة بعد الزوال لاستقبالهم .

4 يونيو :

على الساعة الواحدة بعد الظهر ، توجه القنصل الى لقصة حيث قدم القبطان ويكون وضبطه الى لداي الذي استقبلهم بكثير من اللباقة والمودة . وقد سأل الداي عن هناك من جديد ؟ فأبلغه القنصل انكارته التي لحقت بالحاكم ما كرتي عند شواطئ أفريقية العربية ، كما أحاطه علم بانخبر اندي وصيه من ميناء ماهون والذي يقول ان هنري بين ينتظر وصول حاملات المابل لكي ينس هجوما على مدينة انجائر . وسأل الداي القنصل عما اذا تلقى أخبارا من لندن بشأن الرسالة التي كاد قد وجهها حكومته الى اللورد بانهورست . فأجاب القنصل أن رسالته قد سلمت الى من به الحق فيها وأن الرسالة التي وجهها هو الى وزير امريكا المفوض في لندن قد سلمت هي الأخرى الى اللورد بانهورست ، وذلك بناء على طلبه هو . ولكن اللورد بانهورست شعر بصدمة ودهشة عظيمة لأن ما ورد في الرسالة الأولى لا يتطابق مع مضمون الرسالة الثانية . وعندئذ طلب الداي الى القنصل أن يخبره بما كبه في رسالته ، فرد القنصل بأنه انما كتب ما طلب اليه الداي والوزير أن يكتبه .

وقد طلب الداي الى القنصل عدة مرات أن يبدي رأيه في الأحداث الجارية ، وكانت تبدو عليه الرغبة الملحة في الدخول في مباحثته بشأن

الأسباب التي أدت الى الحرب الحالية . ولكن القنصل الذي لم تكن لديه أية تمة في هدف المناسبة في المترجم ، اكفى بالحديث عن عدم قدرته على انخوض في المسائل التي من هذا النوع وعن عدم صلاحية مناقشتها .

وبهذه المناسبة لم يضم أي اعتراض على احكام القبطان ويكون وضامه بسيوفهم أثناء مفايتهم مع الداي .

8 يونيو :

أوضح القنصل لقبطان ديكور اوصيه التي يجد فيها نفسه حاليا في الجزائر حيث يتمتع بحظوه كبيره وتحمل مسؤوليت ثفيه ، وطلب اليه أن يترك معه شانا حسن السلوك من بين رجاله ، ليحصل سكرتيرا له في الفصليه ، ما دمت الحالة الحاضرة قائمة ، وكذلك أصدر القبطان أمرا الى ميدشيمان بليزاتسون بأن يبقى في الفصليه ملحقا حتى صدور أوامر أخرى .

أعلنت السفينة الحربية « ايريك » في انجاء تونس وطرابلس ورافقتها إحدى السفن المحصرة ، وفي غضون زيارة « ايريك » للجزائر أبدى الرسميون الجزائريون كثيرا من المجاملة واللياقة .

15 يونيو :

تلقى القنصل هدية من القبطان ديكور هدية ، وهي عبارة عن بندقية جميلة صنعت حديثا في الولايات المتحدة ، وقد قدمها بدوره ، عن طريق ابن زعمون ، هدية للأغا ، الذي هو رجل شرف ويحب الأسلحة الجميلة ، وقد رد الأغا بأنه يعتبر هدية قنصل الولايات المتحدة شرفا عظيما ، ولكنه أصبح الآن من المعلوم أنه قد تبني وجهة نظر القنصل فيما يتصل بالحرب الحالية مع بريطانيا ، ومن ثم ، فهو يرغب في أن ترسل اليه البندقية بصفته الشخصية .

9 يوليو :

زاد عدد قطع الأسطول المحاصر الذي كان يتكون من بارحتين ، زاد في الأسبوع الماضي بعدد من السفن الحربية التي وصلت الواحدة بعد الأخرى ، مما يدل على أن الجزائر أصبحت ملتقى لجميع السفن التي تشكل الأسطول البريطاني العامل في البحر الأبيض ، وفي هذا الصباح انضمت سفينة حديدية يبدو أنها حاملة القنابل أو سفينة لقل الذخيرة إلى الأسطول المحاصر ، وقد جرتها سفينة تسير بالبخر ، يبدو أنها هي الأخرى حاملة القنابل . وفي المساء كانت تترأى للناظر تسع سفن ، وقد ظهرت سفينة حربية هولندية وسفينة ذات صاريين في الخليج ، وقد أجرت الأخيرة اتصالا مع فنصل هولندا ، وكما لم تأت بأي خبر جديد .

10 يوليو :

أرست بارجة الأميرال الانجليزية « ذي رجنت » صباح اليوم في الخليج ، ويبدو أنها وصلت في الليل ودون أن تلاحظها السفن المحاصرة، وقد أفلمت على الساعة السابعة وانضمت إلى بقية سفن الأسطول في عرض البحر . إن الجو سمى بالغيوم والرياح خفيف ، ويبدو أنه لم تصل حتى الآن جميع قطع الأسطول الإنجليزي ، وفي هذا الصباح ، قامت الرواد الحربية لجزائرية ببنائات على مرأى من الأميرال الانجليزي وأسطوله .

11 يوليو :

أرست البارجة البريطانية « ذي رجنت » صباح اليوم في الخليج على مسافة ثلاثة أميال من مواقع المدافع الجزائرية ، على الأقل كما تبين المسافة من ها ، وعقب ذلك وصلت ثلاث بوارج أخرى وأرست لتشكل صفنا ثابتا في جنوب البارجة الأولى وعلى مسافة قصيرة منها .

ظهرت صباح اليوم سكونه حرية فرسية في الساعات المبكرة في الخليج ، وقد حيت الأميرال ، ولكنها لم تحصل على اذن منه للاتصال بالجزائر .

وفي هذا المساء ، قامت باخرة بجر السفينة التي كانت تبدو لنا حاملة القنابل ، ولكنها لم تتخذ موقعا حربيا . قام الجزائريون بمسورة بأسطول حربي صغير يتكون من 27 زورق حربي .

12 يوليو :

وصلت صباح اليوم بارجة وأرست في الخليج مع قطع الأسطول البريطاني المحاصر . ويبدو أن الانجليز مهمكون الآن في قياس الزوايا ، والمرجح أنهم يتطرون وصول حملات اقبال ، وقد انقصب عن الأسطول سكونه صغيرة ، وأرست على مقربة من الميناء ، وفي هذا المساء أخرج الجزائريون أسطولهم الصغير للقيام بمسورة كالمعتاد ، وقد تراءى لهم أن ابرجه تقع في نطاق مرمى المدافع ، فاشتقوا اثار عيها ، على اساعة السادسة والربع ، وعندئذ بدأ تبادل اطلاق المدافع بصورة عامة بين الأسطول الصغير وبطاريات المدافع الجزائرية من جهة ، والأسطول ابريطاني ، من جهة أخرى ، وفي هذه الأثناء ، أرسل اجزائريون عددا من القنابل ، ثلاث منها انفجرت في الهواء ، استمر تبادل اطلاق المدافع ساعة من الزمن ، ولكن اقبال كانت تسقط قبل أن تصل الى الهدف من كلا الجانبين .

ويبدو أن الأميرال هو الذي استفر الجزائريين عددا لاطلاق مدافعهم حتى يرف بالضبط مرمى هذه المدافع .

وهكذا ، فقد بدأت الحرب الآن فعلا ، ولا يمكن لبريطانيا أن تراجع دون أن تخدش سمعتها .

قيل ن الذي قد وزع كثيرا من المال بين البحارة والجنود وأنه قد حدد المكافآت على مختلف الأعمال التي تدل على الشجاعة والبطولة .

13 يوليو :

شوهدت في الصباح المبكر لوم باخرة تجر سمينة للمسؤل أو انقابل ، خارج الخليج ، وعند الزوال حنما بدأ نسيم البحر يبرد قليلا ، أقلعت جميع قطع الأسطول البريطاني في اتجاه عرض البحر تاركة الناس في حيرة عن نيت هذا الأسطول فيما بعد ، ولكن المرحح هو أن الأميرال البريطاني قد قم بهذه الحركة في انتظار وصول التعزيزات التي وعد بها ، ويقال أن المعركة الصغيرة التي وقعت يوم أمس قد حلفت قتيلًا وجريحًا في صفوف المدفعية الجرائية ، وأن ثلاث رصاصات قد سقطت في المدينة ، وهذا يوحي بالاعتقاد بأن السفن الحربية كانت أقرب إلى المدينة من المتوقع .

كان لحر شديدًا في الومس الأخيرين بحيث أن درجة الحرارة ارتفعت من 82 إلى 88 درجة (ف) .

14 يوليو :

الجو لطيف ودرجة الحرارة لا تزيد عن 82 درجة ، وقد عدت قطع الأسطول ابريطاني في عرض البحر عدة مرات فوجد أنها تبلغ 14 قطعة ، ولكنه في المساء بلغ عددها 20 سفينة ، فيما يقال .

وفي هذا المساء ، وفي جو الحرب الداكن وما يساور الناس في هذا البلد من القلق من جرائها ، تمتعنا بمنظر من أجل ما تقع عليه العين ، فعند غروب الشمس بدأت أزهار التين الشوكي تتفتح في حديقة القنصلية ، وأخذت تنشر ألوانها الراهية وازائلة تحت أضواء القمر

الساطع ، وعبرها يذوع في الهواء العليل مسافات طويلة وتخلق بذلك جوا من السحر والجمال .

15 يوليو :

كان الجو في معظم النهار ملبدا بالغيوم والأفق تغطيه طبقة كثينه من الضباب ، ولكن درجة الحرارة لا تزيد عن 78 درجة (ف) ، وأما الرياح فتهب من الشمال ، وعند حوالي الساعة العاشرة بعد الزوال ، اختفى الضباب جزئيا ، فأمكن رؤية ست عشرة سمينة حريه من قطع الأسطول البريطاني . انفلت على نفسها الزهرات الجميله التي تفتحت ليلة أمس ، ولم يكد يصل المغرب حتى دببت تماما وماتت .

16 يوليو :

الجو تغطيه طبقة من الضباب ، ودرجة الحرارة 77 درجة ، واريح شرقية ، والأسطول الانجليزي يبدو في الأفق بين القينة وألمينة .

17 يوليو :

لجو حار وملبد بالغيوم ، ودرجة الحرارة ارتفعت من 77 درجة الى 85 درجة ، والرياح شرقية ، وصلت الى الخليج سفينة حربية هولندية وبارجة ، والسفينة الأولى تحمل علم ذئب الأميرال ، وهذان السفيتان أجريتا اتصالا مع فنصل هولندا ، وذلك دون أن تقع اتصال بينهما وبين الأسطول الانجليزي .

24 يوليو :

شوهدت قطع الأسطول البريطاني وكان عددها يتزايد باستمرار في الأيام الأخيرة بحيث بلغ 22 قطعة ، شوهدت في عرض البحر في مقابل الميناء ، وهي تبدو دائما على استعداد لشن هجوم . الجو جميل للغاية ، وقد سجل مقياس الحرارة 75 درجة ، والرياح شمالية شرقية ، وعلى

الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة ، تحركت بارجة الأميرال وتحركت وراءها جميع قطع الأسطول البريطاني يمكن الاعتقاد بأن أربع حاملات لمضاب وأربع سفن كبيرة لنقل المؤن والأشخاص نستعد لنصف مدية الجزائر ، وعلى الساعة الواحدة وعشرين دقيقة ، اتخذت حاملات للقنابل موقعا حربيا ، وعلى الساعة الواحدة والنصف ، بدأت المدفعية الجزائرية والأسطول الصغير في إطلاق الرصاص والقنابل بنشاط حد .

وعند ذلك ، نشر الأميرال علم المفاوضة وبعث بمركب تحت ذلك العلم ، ولكن إطلاق النار استمر بصع دقائق من الجانب الجزائري ، ولم يتوقف الا بعد اعطاء اشارة بذلك من القسبة (قصر الداى) .

وعلى الساعة الثانية ، ستضل الجزائريون عند الميناء المركب الذي يحمل علم المفاوضة .

وعلى الساعة الرابعة والربع أرسل الرد على رسالة الأميرال الانجليزي . وعلى الساعة السادسة ، وجه الأميرال رسولا ثانيا الى الجزائر ، وفي هذه الأثناء ، كان الانجليز ينظمون صفوفهم للهجوم ، وقد كانت سفينة منهمكة في جر السفن التي كانت في حاجة الى المساعدة ، لكي تتخذ موقعا للهجوم ، وكذلك كانت السفن البريطانية الراسية تشكل الآن ما يشبه قوسا في مقابل مدينه الجزائر ، يمتد نحو ميل ، ونحن سوف نذكر عدد السفن الحربية وقوة كل منها والمسافات التي تفصل بينها حينما تتمكن من معرفة ذلك بصفة أدق .

25 يوليو :

الجو حار والسماء صافية ودرجة الحرارة تتراوح بين 80 و 90 درجة ، والرياح شرقية ، ولكنها تتجه في بعض الأحيان الى الجنوب وقضت الأطراف في الحرب هذا النهار في المفاوضة وتبادل الرسائل .

على الساعة السادسة صباحا ، تلقى الفصل (الأمريكي) رساله من
 القبطان سنسر يطلب اليه اجراء مقابلة معه في المدييه ، وقد قصد
 القبطان الى دار الفصل ، وهناك أعلمه بأن الداي قد قبل جميع
 الشروط البريطانية ، ولكنه يرفض عودة الفصل البريطاني الأخير .
 السيد ماكدونالد ، وأضاف قائلا : ان الفصل قد أصبح مكروها من
 لشعب الى درجه أن الداي غير متأكد من أن يستطيع حمايته من غضب
 جماهير لو نزل الى البر . وقال ان هذه حجة زائفة ، ولكن الذي
 يستطيع أن يجعلها حقيقية بحيث يدفع بطرق ينحيل معرفتها المجموع
 الهائجة لتقف في وجه الفصل متى نزل الى البر . ونحن - كما قال -
 يجب أن ندرك أن هذه الحكومة هي اقوى حكومات العالم فيما
 يتعلق بكفاءة البوليس ، وبدلا من أن يحمل الحكومة الجزائرية
 مسؤولية سلامة الفصل الانجليزي . وهي مسأله سهله بالظر اي أهمية
 القوات الانجليزية التي تحت تصرف الأميران . فقد رأى ، لاعتبارات
 انسانية أن يرفض نزول الفصل الى البر وتعرض بسبه لخطر كبير ،
 وكذلك قرر تعيين قائم بأعمال القنصلية .

وهكذا شاهد أن هذه الحملة عبارة عن جبل نمحس على فار
 سيجد انقارىء في الملاحق وثائق أصيلة ثبت أن شروط هذا الصلح
 كانت هي نفس الشروط التي افترحت على الاميراء الانجليزي في شهر
 مارس الأخير .

وأما الأسطول الانجليزي الذي ضرب نطان الحصار على الجزائر .
 فهو يتكون من سفينة حربية كبيرة وخمس نوارج . وأربع حاملات
 للقبائل تحمل كل منهما مدفعين من مدافع الهاون ، وباحرة تبلغ قوتها
 مائة حصان ، وعدد من السكوانات والسفن الحربية ذات التراجع ،
 والسفن التي تنقل المؤن ، والمجموع 23 سفينة - وهي قوة كافية

لهدم مدينة الجزائر حتى الأساس ، ومنظر هذا الأسطول الراسي منظر
يذكر الى الإعجاب . انه عبارة عن هلال يمتد على ميل واحد وربع
ميل . والمسافة بين كل سفينة والقوار هي حوالي أربعة آلاف ياردة .

قام القنصل (الأمريكي) بزيارة الأميرال الانجليزي على متن تارجته
واستقبله بما عرف به من روح المجاملة ، وعرض عليه أن يساعد القائم
بأعمال القنصل الجديد (وهو شاب لا خبرة له) بنصائحه اذا اقتضى
الأمر ، وهناك اجتمع القنصل (الأمريكي) أيضا بصديقه القنصل
الانجليزي الأخير الذي هو في سن متقدمة وله أسرة تتكون خصوصاً ،
من عدد كبير من صغار الأطفال ، انه كيش لهذا لهذه المفاوضات
الترية ، وقد نزل القنصل من البارجة على الساعة الثانية بعد لروال
برفقة القائم بأعمال القنصلية البريطانية الجديد الذي قدم اليه الضيف
في منزله ، ريثما يتمكن من تنظيم مقر له ، وقد قبل هذا العرص .

وكذلك نرى أن الداى حسين ، بفضل تعنته وصموده في نهج
مياسة ضد كل نصيحة من مجلسه ، قد رفع نفسه الى درجة من القوة
والنفوذ الأدبي لم يصل اليها الا عدد قليل من الدايان في المصور
الحديثة ، ومنذ الآن ستعتبر آراء الداى تنبؤاً صادقاً بالغيب .

29 يوليو :

ان المساومات التي جرت بين الطرفين في الحرب في غضون الأيام
الأخيرة ، ليس لها سوى أهمية ضئيلة . فان الأسطول الانجليزي قد
تفرقت سفنه واتجهت كل منها في اتجاهها الخاص ، وبالأمر ، وجهت
نسخة من هذه المذكرات حتى يوم 27 الجاري عن طريق الأميرال
الانجليزي اى الوزير الأمريكي في لندن ، لكي يكون على اطلاع على
تطورات الحالة ، وفي هذا الصباح نزل الأميرال الى البر وقام بزيارة
القنصل (الأمريكي) ، وقد رافقه كل من اقبطان سبتسر والقبطان

بيرفونيد ، وشارل بوراه ، وغيرهم من الصبان ،
ومن القنصلية توجهوا الى قصر الداى ليدعوه . وبعد عودتهم
تأووا وجبة برودة من الطعام مع القنصل . ثم عادوا الى الأسطول على
الساعة الثالثة بعد الزوال . تلقى القنصل رسائل من القوائم بأعمال
القنصلية الأمريكية في تورين ، ورد عليها بواسطة الأسطول البريطاني .

31 يوليو :

شعر القنصل بكثير من الفضول لمعرفة ما اذا كان الأحداث
الأخيرة قد قلت بطريقة أو أخرى من نفوذه لدى أعضاء الحكومة
الجزائرية ، وكذلك طلب مقابلة وزير الحرية ووجه اليه على الساعة
الثامنة (وهي ساعة المقابلات) مصطحبا معه ابن رعنون المترجم ،
وقد استقبله هذا الوزير استقبالا وديا صريحا . وبعد المجاملات
التقليدية ، قال لوزير ان هدفه من هذه الزيارة هو شكر الحكومة
الجزائرية وهو شخصا من أجل المعاملة الحسنة التي تلقاها أثناء الحرب
الأخيرة مع الانجليز ، وقدره الوزير قائلا : ان الحكومة تعرف جيدا
القنصل الأمريكي وتقدر شخصيته كما ينبغي ، وهي تعقد آد الحوار
التي دفعت الى سلوكه كانت سليمة ومجردة من المصلحة الشخصية ،
وأنه أبدى روحا قوية من الحياد والصدقة ، وأنه هو شخصا لم يتردد
قط في أن يسمح كل ما يطلبه مما يتعلق بمصاحبه أو بالمصالح التي وكل
بها ، وأنه اذا كانت آراؤه التي تتصل بالحكومة لم تؤخذ بعين الاعتبار ،
فإن ذلك لا يقلل من ثقته في الشخص الذي قدمها .

وقد ذكر الوزير عدة حالات تثبت كرم ونبل وسلوك الجزائري في
غضون الحرب ، ولكنه تشكى لأن الانجليز لم يستجيبوا بالمثل ، وقد
أعرب الوزير عن سروره لأن يرى القوائم بأعمال القنصلية البريطانية
يقسم في منزل القنصل الأمريكي ، وقال انه لا يوجد في الجزائر من هو

أولى من القنصل ليزوده بالصالح ، وباختصار ، فقد كانت هذه المقابلة على أحسن ما يرام وقد جرت في الجو الودي المرغوب فيه .

اغتنم القنصل هذه المناسبة ليعرض على الوزير مسألة جرائيت ، نائب القنصل البريطاني الذي رفضت لسلطات الجزائرية طلب السلطات البريطانية بالسماح له بإقامة في الجزائر مدة أخرى ، فصرح بأنه هو الشخص الوحيد الذي يمكنه تسوية المشاكل المالية التي تركها القنصل ، السيد مكدونالد معتق بسبب سفره المفاجيء ، وقد طلب القنصل خدمة شخصية من الوزير بأن يسمح لهذا الشخص بالإقامة في البلد مرة أخرى حتى يمكن من تسوية شؤون هذه العائلة لعائره الحظ ، تردد الوزير قليلا ، ثم قال للقنصل انه اذا اطلع هو نفسه على التقارير التي وصلت الى الحكومة عن التصريحات العدائية التي صدرت عن هذا الشخص ، فانه سوف يوافق على طرده من البلد ، ولكنه اعتبر انه (لقنصل) فيسمح لسيد جرائيت بالبقاء تحت حمايته لفرض الذي ذكره ، وقد كرر الوزير قوله عدة مرات بأن هذه مزية لا يمكن أن تمنح لأي شخص آخر في الجزائر ، وقد شكر القنصل الوزير شكرا ملاما للدليل الذي قدمه على حسن بيته ، ودون أن يحاول الرد على الاتهامات الموجهة الى السيد جرائيت ، اكتفى بأن يلاحظ أنه رجل كبير السن محترم معروف بأمانته ، ولو أنه يميل كثيرا الى اثرة ، مما جعل البعض ، بدون شك ، يبالغون في تصوير خطورة أقواه ، وهو أمر لا يستحق ، في رأي القنصل ، اهتماما جديا ، ومرة ثانية ، ذكر القنصل أنه يسعى لمساعدة عائلة عائرة الحظ فيها كثير من النساء والأطفال الصغار ، وأنه يقدر هذه الخدمة حق قدرها .

2 أغسطس :

نزل الى البر اليوم للنزهة حوالي نصف ضباط البارجة البريطانية «نيادا» ، وعددهم ستة عشر ضابطا ، وقد استقبلهم القنصل في

القنصلية الأمريكية ، وقدم لهم وجبة غداء على الساعة الثانية بعد الزوال ، ثم عادوا الى مش السفينة بالمساء ، تناول القنصل طعام العشاء على متن البارجة «نيادا» .

3 اغسطس :

نزل صباح اليوم الى ابر القطار سبسر وتناول المظور مع القنصل ، وأما بقية ضباط البارجة ، فقد نزلوا للتجول في المدينة ، انهم شبان ممتازون من جميع النواحي .

وصلت الى الميناء وأرست فيه حرافه هولنديه قادمة من ميناء ماهون ، ثم اتصلت بالقنصل الهولندي .

5 اغسطس :

اليوم عيد الأضحى . قام القنصل بزيارته وريو البحريه في الصباح ، وبزيارة الداي على الساعة اواحدة لتهنئته بهذا العيد ، كما جرت العادة ، وقد أحسن الاثنان استقباله ، مند وصول الأسطول البريطاني والبلد يعاني من حرارة مفرطة بحيث أن مقياس الحرارة (فيرنهايت) يتأرجح بين درجة احراره 76 و 90 ، في دخل المازل المواجهة للبحر ، ولكن درجة الحرارة ارتفعت في عدد من منازل القناصل الأوروبيين التي لا يصل اليها نسيم البحر الى درجة 100 .

11 اغسطس :

أقلعت البارجة البريطانية « نيادا » في اتجاه مالطه ، وقلل سرعه ، وجه القبطان سبسر رسالة تنطوي على كثير من المحاملات الى القنصل (الأمريكي) يشكره فيها على ما أبداه من لاهتمام به وضباط البارجة أثناء قامتها في الجزائر ، ومعاملات وكيل انجلترا مع السلطات الجزائرية منذ عودة السلام لا تنطوي على ما يستحق ادخاله في هذه المذكرات .

13 أغسطس :
غادر السيد داهوند لفائف بأعمال القنصلية البريطانية القنصلية التي
كان يقم فيها ليستقر في منزل خاص في الريف . انه شاب حسن اسلواه
وذو شخصية ومواهب تدعو الى الاعجاب .

14 أغسطس :
سأل وزير البحرية القنصل عما اذا كان يستطيع أن يمنح تأشيرات (6)
مؤقته لملاحين الجزائريين بلباية عن قنصلية المصا وقنصلية توسكان
وقنصلية البرتغال . فأجاب القنصل بأن ذلك أمر ليس في استطاعته ،
حيث أن هذا لا يتفق مع واجباته ، وبعد ذلك قدم الوزير نفس الطلب الى
القنصلية البريطانية ، ونظرا لأن القنصلية البريطانية كانت ترمي مصالح
هذه القنصليات ، فقد نصح القنصل (الأمريكي) القائم بأعمال القنصلية
البريطانية بأن يجب هذا الطلب ، حيث أن ذلك يتفق مع مبادئ
المعاملة الدولية .

18 أغسطس :
أخبر الدروجمان القنصل صباح اليوم أن سفينة قد غرقت عند شواطئ
بجاية لشرقية ، وسيادة حكومة الجزائر لا تمتد الى هذه المنطقة ، وقال
أن سبعة من البيض ورحلا واحدا من السود قد وقعوا في قبضة
« القبائل » الذين يسكنون هذه المنطقة ، وأن الداي قد اتخذ في الحال
الاجراءات الضرورية لاطلاق سراحهم ، وقد طالب القنصل بالقيام بكل
ما من شأنه أن يسهل هذه العملية ، وصرح بأنه مستعد لدفع المبالغ
المقولة التي تترتب على تحرير هؤلاء الأسرى ، وجهت نسخة من هذه
المذكرات ، حتى تاريخ اليوم ، الى الوزير الأمريكي في لندن ، تحت
مظروف موجه الى كامبل ، ليفورن في جنوة .

19 أغسطس :

وصل إلى الجزائر وأرسي في مينائها واتصل بالقنصل الهولندي
اسطول هولندي بقيادة العميد البحري وهو يتكون من دارجة وسفينة
حربية ذات صارتين وسفينة ذات صارية واحدة ، وقد أبلغ قنصل
حربية ذات صارتين وسفينة ذات صارية واحدة ، وقد أبلغ قنصل
هولندا القنصل الأمريكي عقب عودته من مقابلة مع وزير البحرية أن
الآخر قد صرح له بطريق لاف فيها ولا دوران بأنه يجب على هولندا
أن تلغي المعاهدة التي عقدها مع إسبانيا للدفع ضد الجزائر ، وأن
توفق على دفع صرية سنوية ومدايا كما كانت تفعل من قبل ، والا فإن
الجزائر ستعلن الحرب عليها ، وقد بعث القنصل (الأمريكي) أخبار
أن السفينة ذات نصارتين التي سافرت اليوم إلى حوة تحمل بصريحا
مائلا إلى حكومة سردانية .

20 أغسطس :

نزل إلى البر نائب الأميرال الهولندي الذي جاء من مرسلنا وقد
سم للقنصل صحفا ورسائل من مرسيليا . حدد الذي موعدا لاستقبال
قنصل هولندا يوم الغد .

21 أغسطس :

تناول قنصل هولندا ونائب الأميرال طعام الفطور صباح اليوم مع
القنصل (الأمريكي) ، عقب عودتهما من زيارة قام بها إلى الدار
البيضاء ، وقد أخبر القنصل أنهما تلقيا رسالة من حكومتها بواسطة
سفينة ذات صارتين جاءت من مرسيليا ، تتضمن إعلان الحكومة إلغاء
معاهدة السلام التي ترتبط بها هولندا وإسبانيا ضد الجزائر ، وأنهما
قد أبغيا هذه المعلومات إلى الداي ، ولكن الداي طاب في مقابل معاهدة
السلام مع الجزائر أن تدفع هولندا ضريبة سنوية بمس المبالغ التي
تدفعها الدول الأوروبية الأخرى . وكمزة خاصة محهما مهلة ثلاثة أشهر
لاتخاذ قرار في الموضوع ، وعلى الساعة الحادية عشرة ، قصد القنصل

الهولندي ابي ابرجة ليتشور مع الأمير ل بسان الرد الذي يقدمه الى
الداي ، وفي هذا المساء عاد لفنصل الهولندي ابي فنصليه ، وقد
شاعت اخبار مؤداها أن الهادي ينوي الكتابة الى ملك هولندا ليطلب
اليه دفع مصرية سوية ويقدم هدايا مره في كل سنتين ، ويعلن اليه
أنه يسحه مهله 90 يوما ليخوض بين حرب والسلام على أساس هذه
الشروط .

22 أغسطس :

أقمت البارجة لهولندية والسفن الحربية الأخرى التي جاءت معها، فيما
عدا السفينة ذات الصاريتين التي تحفت لكي تنقل معها انفصل . وقد
صرح الهادي بكل لطف أنه اد وافق صديقه ، ملك هولندا ، على
مقترحاته ، فسيكون مطالباً بدفع الضريبة والهدايا المطلوبة ، ابتداءً
من هذا التاريخ فقط . ولكنه اذا دفعه في طريق الحرب ، فإنه لن يفقد
معه أي صلح دون أن تدفع هولندا مؤخر الصرائ ، أي منذ أن توقفت
هولندا عن دفع الضرائب بضم هذا البلد الى فرنسا . وبهذه المناسبة
تجرأ فنصل هولندا عن حق وأشر الى المهادنات التي عقدت بين
البلدين ، ولكن الهادي قاطعه قائلاً ان الماضي مضى وانقضى ولا يمكن
الحديث عنه ، لأن الجزائر اما تستعيد حقوقها القديمة . وقد أبلغ
الفنصل (الأمريكي) من مصدر ودي وموثوق به أن حالة الولايات
المتحدة قد أثبتت هي الأخرى في مجلس الوزراء . وادا نجح الجزائريون
في قضيتهم مع هولندا ، فإن الولايات المتحدة ستواجه نفس المشكلة .

25 أغسطس :

نزل الى البر صباح اليوم عدد من الضباط الهولنديين وتناولوا طعام
الطور عند الفنصل (الأمريكي) . وعلى الساعة الثانية عشرة أقلت
السفينة ذات الصاريتين . وقد اغتم الفنصل هذه المناسبة وبثت بها
رسائل الى الوزير الأمريكي في لندن والوزير الأمريكي في باريس .

وكذلك بحث بحسابات المصيدة استب . نسويه في مطرووف عن طريق
برسليا .

نقد سحل في هذه امذكرات بتاريخ ١ فبراير أن القنصل سقى معومون
تفيد أنه لو علم الادي بنيات القنصل الانجليسري لسابق واقبطان
سبنر (بالالتجاء الى البارجه والفرار) لأمر بدقاء القنصل عيها .
ان القنصل (الأمريكى) لا يوجد ما يحمله على الاعتقاد بأن حديث
ما ورد في هذا الشأن ولكن العدل والانصف يداي يضطر الى القول
الآن بأن شخصه الادي كما بررت خلال أحداث الحرب العربية التي
مر بها البلد ، تمنعه من الالتجاء الى مثل هذه الاحراءات .

يبدو أن اليوم الخامس من هذا الشهر قد كان آخر أيام الحر الشديد
في هذه السنة ، فمنذ ذلك اليوم لم يسجل مقياس الحرارة درجة أعلى
من 75 درجة (فهرنهايت) .

28 أغسطس :

وصلت الى الجزائر وأرسب في الخليج ابارجة البريطانية « فايطن »
تقيادة القبطان « ستورت » قادمة من جزيرة مالطة ، وعلى
متنها قنطان حراقة جزائرية كان قد أسر في شهر فبراير الماضي مع عدد
من البحارة الجزائريين اثناء الحرب الأخيرة مع بريطانيا . وفي غضون
الليل هبت عواصف شديدة اضطرت القبطان أن يمح الى عرض البحر .

31 أغسطس :

عدت البارجه البريطانية « فايطن » الى المرسى . قام بزيارة القنصل
(الأمريكى) قبطان السفينة « سنورت » ومعه زوجته وابنته ،
والجنرال ، سير باركوكارول وقسيس يدعى « رادكليف » وتناولوا وجبة
من الطعام البارد ، وقد عادوا الى البارجة في مساء اليوم

وصلت سفينة فرنسة ذات صاريّتين الى الجزائر قادمة من مرسيليا
وعد حملت على متنها رسائل وصحف للفصل من مراسليه في تلك المدينة .
وكذلك تقى محرائين صغيرين وبدور بحديه وكتبا من نيويورك .

1 سبتمبر :

قام الرئيس قدور ، القبطان الجزائري الذي أسره الانجليز على مرأى
من مدينة الجزائر في فبراير الماضي ، قام بزيارة للفصل (الأمريكي)
الذي عبر له عن ثنائه وتقديره لما أبداه من لبقه في الدفاع في تلك
المحاصرة ، وقدم له هدية وهي عبارة عن مبلغ عشرة سكوتلات ، رمزا
لتقديره واعتباره . أقيمت ابارجة ابريطانية « فايطن » في اتجاه جبل
طارق وتاجه

6 سبتمبر :

رحل عن الجزائر الفارس « انكارلو » متصل السويد
الذي أحيل على لمعاش متجها لى ليفورن .

7 سبتمبر :

قامت حكومة هذا البلد لأول مرة باطلاق أسماء على سفن أسطولها
الحربي ، ووجهت الى هذه ائقنصلية قائمة بهذه الأسماء وبعد المدافع
التي تحصنها كل سفينة .

19 سبتمبر :

سافر أسطول جزائري لغرض القرصنة يتكون من حراقة وسفينة
حرية ذات صاريّتين وسكوتتين . وقد رفعت علم هامبورج ومعنى
ذلك أن عمليات القرصنة سوف تستهدف سفن المملكة .

سبتمبر ضابط لميناء صباح اليوم رسالة لا تحمل من «ريخا من فبطان
يسمى» «باركر» يقول فيها أن السكينة «هاريت» من
فيلا ديفيا (بليمور) تتجه الى تريسته وقد وقعت في دوامة من
المواصف في الليلة الماضية وغرقت على مسافة 70 ميلا من شواطئ هذا
البلد ، وانه قد نجى هو ونائب القبطان وستة من البحارة في قارب ،
ووصلو يوم 6 أغسطس الى شواطئ البلد الشرقية حيث أسرهم
«القبائل» المستقلون بهذه المنطقة ، وهم الآن في حوزتهم وقد حردوا
من ثيابهم ولا يجدون سوى القليل من الطعام ، وأن اثنين من البحارة
قد وقعوا ضحية للمرض .

وفي نفس الوقت ، وصلت الى القنصل رسالة بالبرقية ، تبين بعد
ترجمتها أنها تتضمن طلبا الى القنصل من رئيس هؤلاء الفائل ، بدافع
أربعة آلاف «بطقة» (أي ما يساوي 200ر2 دولار) فدية لهؤلاء
البحارة . وفي هذه الحالة يبدو أنه لا يوجد بديل ينسق مع الاعتبارات
الانسانية أو حتى مع مقتضيات حن السياسة ، لهذه الفدية . وذلك
لأن الامناع عن دفعها معناه تعريض هؤلاء المواطنين الرؤساء لقتل
مرجح . ولذلك اتجه القنصل الى وزير البحرية لكي يدفع الفدية
المطلوبة لتحرير القبطان وبعارته في أقرب وقت ممكن . وقد أكد له
الوزير أن جميع الاجراءات الممكنة قد اتخذت لتحريرهم ، وأضاف أن
«القبائل» الذين أسروهم لا يخضعون لسلطة هذه الحكومة ، وأنه
حتى لو كان الأسرى من الأتراك ، فلا بد من دفع الفدية أو تركهم
ليواجهوا مصيرهم . وبناء على طلب القنصل ، وافق الوزير على توجيه
سفينة صغيرة الى تلك الشواطئ لنحمل الفدية المطلوبة ، بعندية ضابط
يتمتع بثقته . وقد أكد له الوزير أنه لن يهمل شيئا للوصول الى الغاية
المطلوبة . ويبدو أن الوكلاء الذين كفهم الحكومة بتحرير هؤلاء الرجال

في ميدا الأمر ، لم يجرءوا على دفع المبلغ الكبير الذي يطالب به هؤلاء القبائل في مقابل تحرير الأسرى .

22 سبتمبر :

انصح أن من المستحيل جمع المبلغ المطلوب كله للهدية بالعملة الجزائرية ، التي هي العملة لوحيدة المتبادلة في تلك الشواصي . ونلتغلب على هذه العقبة ، اتجه القنصل الى لداي يرجوه أن يقدمها اليه من الحزبه العمومية . وقد وافق الداي بكثير من الألم ، حيث انه شعر بحرج في كبريائه التركي ، ولم يستطع اخفاء شعوره للاهانة التي لحقت بسلطته ، نتيجة لسطوة القبائل ومطالبتهم بالهدية . انه هو وحده الذي يمكنه توفير الوسائل الضرورية لاطلاق سراح الأسرى . ومتى قام بتحويل العملة بالسعر الرسمي الذي حدده هو نفسه ، فانه يخسر عشرين بالمائة في المبلغ ، وهو على كل حال ، لا يستطيع رفض أحد الأمرين أو تغيير الآخر .

23 سبتمبر :

بعد توفير المبلغ بالعملة الجزائرية القديمة ، أقلعت سفينة صغيرة في اتجاه الشواطيء الشرفية ، ومعهما أوامر خاصة من الحكومة بأن تقوم بتحرير القبطان باركر من الأسر . وقد اغتسم القنصل هذه المناسبة ووجه رسالة الى القبطان باركر كما أرسل اليه كيسا يحتوي على خمر وقهوة وسكر الخ . للاستهلاك المباشر من طرف هؤلاء الموانين العائري الحظ .

25 سبتمبر :

قام القنصل بزيارة صديقه الآنغا لكي يمنه على نتائج الحملة الناجحة التي قام بها بقمع ثورة قام بها « القبائل » . وقد قدم اليه محراثا صغيرا حديث الصنع على سبيل الهدية ، وسر به كثيرا .

28 سبتمبر :

وصلت الى ميناء الجزائر وأرست فيه سفينة أميركية « اونطاريو » .
قادمة من مالقة ، بأسيافيا . وقد نزل القبطان « نيكلسون »
من السفينة على الساعة الثانية بعد الروا . وباء على طلب القنصل ،
فقد قرر القبطان أرجاء اقلاع سفينته حتى يعود السفينة الي سافرت
لتحرير الأسرى الأمريكيين على اشواطيه ، شرعية وبهذه المناسبة
قدمت تحيات ورد بمثلها بطلقات المدافع .

29 سبتمبر :

سافرت حراقة جزائرية في جولة للقرصنة .

30 سبتمبر :

وصلت سفينة هولندية ذاب صاريتين قادمة من ماهون ، بحمل حبر
موت لويس ثامن عشر (7) وتولى عرش فرنسا شارل العاشر (8) .
وفي اليوم التالي تقلع هذه السفينة في اتجاه تونس .

3 أكتوبر :

وصلت السفن الامريكيه « دي ساين » و « ايري » و « فونداش »
قادمة من تونس ، أرست في الخليج وتمت النخبة التقليدية .

4 أكتوبر :

رفض الكمودور « كرايتون » النزول الى البر ، حينما قام انقصل
بزيارة السفينة « ذي ساين » وعندما عرفه بحالة علاقاتنا بالجزائر . وقد

7 - ملك فرنسا (1757-1824) . هاجر الى إنجلترا بعد قيام الثورة الفرنسية في يونيو
1791 ، وبعد سقوط امبراطورية نابليون هيا له تاليران العرش وتفاوض مع الحلفاء
الذين هزموا فرنسا وفقد معاهدة باريس (1815) . وقد حكم عليه بالاعدام بتهمة
الصلح مع العدو .

8 - ملك فرنسا (1757-1836) هو الذي وضع الخطط لمرور الجزائر ، بعد ظهور هذا
الكتاب بأربع سنوات (4 يوليو 1830) . والحديث بالذكر ان مترجم شارل العاشر ،
وهو بلانشي قد قام بترجمة مذكرات شارل العاشر هذه الى الفرنسية
ونشر في باريس في سنة 1830 ، أي قبل نزول الحملة بثمانية أشهر فقط .

فرر السمر على اسوار . حث كان في حاحه الى شموين . وقد ترك
السميه « اونطاريو » لتقوم سبعة نقل القبطان باركر وبحارته .

5 أكتوبر :

أقلمت السمن الأمريكية « دي ساين » و « ايرى » و « نونشاش »
في اتجاه جبل طارق . وقد سافر مدشيمان بليزنتون بناء على أوامر
الكودور على متن اسميه « ايرى » ، حيث أن الخدمة المدنية
لا تسمح ببقائه مدة أطول ملحقا بالقنصلية .

تلقى القنصل هدية من الاغا ، وهي عبارة عن جواد جميل .

16 أكتوبر :

أبلغ وزير البحرية انقصل عن طريق لدروجمان أنه قد تلقى أخبارا
بشأن فدية الأسرى الأمريكيين ، وأن هؤلاء قد وصلوا الى بجاية حيث
معهم رياح غربية قوية لم تزل تهب على لشواطئ اشرفية منذ خمسة
عشر يوما ، الى الجزائر . وقد عرض ارسا أحد البحريين المدربين
يرشد السفينة الأمريكية « اونطاريو » الى هناك ، اذا رأى القنصل
ذلك ملائما . وبعد فترة من التأمل والتفكير ، قرر القنصل ارسال
« اونطاريو » الى بجاية ، اذا استمرت الرياح الغربية تهب بشدة
وعنف .

17 أكتوبر :

ان الرياح لا تزال تهب في الاتجاه الغربي ، وقد سافر القبطان نيكسون
عند الزوال الى بجاية ، أقلمت « اونطاريو » وعلى متنها مرشد جزائري .

وفي غضون الفترة الطويلة التي بقيت فيها « اونطاريو » في ميناء
الجزائر ، تجول ضباطها وبحارتها في الجزائر بنفس الحرية التي يجدها

في أي بلد متحضر ، وفي كل مكان كان الناس يعملونهم «حترام وأدب»
لم تصدر عنهم ولا عن أي جزائري أية شكوى

وقبل أن يتم لفصل رسائله ويحضرها ، وصلته رسالة من وزير
البحرية تقول ان المواطنين الأمريكيين قد وصلوا الى دس التي تبعد عن
الجزائر بعشر فراسخ ، ونظرا لأن هذا الماء يس له مرسى ، فقد بعث
القنصل برسالة الى القبطان ليكثفون ينصح به بالانتظار ، وفي نفس
الوقت ، طلب الى وزير البحرية ان يقدم تسهيلات سفر الأمريكيين
بطريق البر الى الجزائر ، في حالة ما اذا استمرت الرياح عوية تهب
بعف ، وقد قام الوزير بذلك في الحال .

19 أكتوبر :

في هذا الصباح كانت الرياح اشمالية انغرية عتيمة ، وقد وصلت
السفينة الجزائرية التي سافرت لنقل الأسرى الأمريكيين والتي انظرناها
طويلا ، وعلى متنها القبطان باركر وبحارته ، ويبيع عددهم جميع ثمانية
أشخاص . نزلوا الى البر واتجهوا فور وصولهم الى القنصية
(الأمريكية) .

يعاني القبطان باركر واثنان من رجاله ألما قويا من الحمى . وبعدما أخذ
كل منهم حماما وحلق وعير ملابسه وتناولوا الطعام ، نحا كل واحد الى
فرائشه ليسترخ . ان الرياح تهب في الاتجاه الشمالي الشرقي قوية ،
وقد حالت دون ترحيلهم اليوم . وقد شكى القبطان باركر من سوء
المعاملة التي لقيها في الأسر ، ومن رداءة نوع الطعام الذي قدم اليهم
على السفينة لجزائرية بعد اطلاق سراحهم ، وذلك على الرغم من أن
القنصية قد قدمت أفضل ما يمكن من المأكولات وأن السفينة قد
استؤجرت خصيصا لنقلهم .

ولما قدمت احتجاجا إلى وزير بحرية على هذه لمصيحة رد علي بأنه
صع كل ما في وسعه ليسجيب لرغبات القصل ، وقال ان مال القدية
بل وحياة الرجال الذين يحملونه أنفسهم كانت معرضة لخطر ، وأنه قد
تحتّم الرضوخ لجشع ملاحي اسمينه الدين يميلون إلى القبائل لأنهم
يشمون إلى نفس المنطقة ، وأضاف انه مادام الأمريكيون الآن في أمن
وعافية ، فهو ينصحه بأن يسي كل هذه الصفقات الصغيره . وقد فكر
القصل بأن هذا بالفعل هو الموقف الذي يفرضه الحذر والحصافة .

وصلت البارجة البريطانية « نايدا » وسكوة حربية فرنسية وسفينة
هولندية ذات صارتين فادمة من نابلي . جاء القبطان سبنسر لزيارة القنصل
(الأمريكي) وتناول طعام العشاء معه وقبل لزول في منزله خلال كل
المدة التي يقضيها في الجزائر .

سلم القبطان سبنسر نسخة من برقة وجهتها الحكومة البريطانية إلى
الداي والتي أوفد القبطان لحملها إلى الجزائر . وفي هذه الوثيقة تصرح
الحكومة البريطانية بأنها حليقة ممسكة سرديا وأنها الضامنة لهذه الدولة
في سلامها مع الجزائر . وكذلك تقترح بريطانيا أن تقوم باوساطة في
قضية مطالب الجرائر المالية لسردانية - تلك المطالب التي يقوم بتحديدتها
مندوبون عن الطرفين في حتماع يعقد في ماطة برئاسة المركز دوهاستينج
وتصرح الوثيقة بأن بريطانيا تحمي ، في جميع الظروف ،
مصالح حليفتها . ومع ذلك ، فإن الوثيقة تمنح الجزائر مدة ثمان ساعات
مهلة للتفكير في مقترحاتها والرد عليها .

20 أكتوبر :

الجو معتدل وجميل . قصد القنصل هذا الصباح إلى الميناء ومع
القبطان باركر وبحارته الذين سافروا على متن السفينة « أونطارمو » .
وقد أقلمت السفينة على الساعة العاشرة صباحا في اتجاه جبل طارق .

وجهت الى وزير الخارجية في داخل مطروح اني القائد الاعلى للأسطول
الأمريكي في البحر الأبيض نسخة من هذه المذكرات ، من شهر مايو
الآخر حتى السابع عشر من الجاري ، وتحمل الرسالة رقم 82 .

تناول قائد السفينة الحربية الفرنسية الراسية في ميناء طام العشاء
القبطان سينمر في هذه القنصلية

28 أكتوبر :

لازم القنصل فراضه نتيجة لاصابته بالحمى خلال الفترة بين 23 و 27
من الشهر الجاري ، تسلم القبطان سيسر ردامس الداي يوفى فيه بدور
تخفظ على مطالب الحكومة البريطانية ، وقد سافر يوم 23 أكتوبر ، وبعد
اصبح سلام سردايه مصمود مع اجرائر ، على الأقل في الوقت الحاضر .
وفي نفس اليوم ، وصلت سفيه تحمل علم روما ، قادمة من أنكونه (9)
عنهما الأسطول الجزائري . ولما وجد أنها ذات قيمة صئيلة سلمت الى
اقائم بأعمال القنصلية البريطانية ، وأقلمت يوم الرابع والعشرين . وفي
نفس اليوم وصلت أخبار ثورة جديدة في منطقة بجاية ضد الحكومة .
وقد قام « القبائل » من سكان المنطقة بهجوم على القائد ونهبوه وسلبوه
وقتلوه . ونظرا لرغبة القنصل (الأمريكي) في عدم ادخول في مناقش
جديدة مع الحكومة في الموضوع ، ولسخطه على القبائل بصفة عامة ،
بسبب معاملتهم القاسية لمواطنيه الذين عرفت سفينتهم ، فقد أمر الخادمين
الذين لا يزالان في خدمته (وهما من القبائل) بترك الخدمة والعودة
الى بلادهم .

وفي يوم 26 من الشهر ، وصلت سفيه فرنسية قادمة من مرسيليا
وبهذه المناسبة ، تلقى القنصل رسائل من مرسيليا وأعدادا من الصحف

9 - ميناء ايطالي يقع على بحر الاندلس ذات تاريخ حافل احتلها الفرنسيون له قصور
الفترة بين 1832 - 1838 لمواجهة النمسا ، وهي الآن مدينة صغيرة لا يزيد عدد
سكانها عن 106100 نسمة .

الفرنسية والأمريكية . وكذلك تلقى رسائل من الوزير الأمريكي المموض
في لندن تعيد بوصول الرسائل التي وجهت اليه في 18 مايو ، وفي 26
يوسو ، وفي 20 و 22 أغسطس الأخير .

تقوم هذه الحكومة باعتقال أبناء القبائل الذين تحاربهم وتسخرهم
للأشغال الشاقة . عاد الحادمان اللذان استغنى عنهم القنصل يوم 24 من
الشهر الجاري ، وادعى أنهما لم يتمكن من الفرار ، حيث أن جميع
الطرق تراقبها قوات عسكرية من « اسبائس » . وفي هذه الظروف رأى
القنصل أنه مما لا يتفق مع الكرامة الأمريكية أن يرغمهم على الرحيل .

9 نوفمبر :

وصلت سبعة حربية ذات صارتين قادمة من ميناء ماهون .

10 نوفمبر :

أبلغ القنصل الهولندي القنصل (الأمريكي) نص رد ملك هولندا
إلى الداي . فإن الملك يوصي الداي بمزيد من التفكير السلمي ، وهو
يرفض المقترحات الجزائية التي تقضي بدفع ضريبة في مقابل الحصول
على اسلام ، قائلا ان ذلك يتناقض وشرف عرشه ويتعارض مع مصالح
بلده . وقد اترم الداي بأن يرد على هذه الرسالة يوم الغد .

11 نوفمبر :

ان ست قطع من الأسطول الجزائري تقوم الآن بجولة في عرض البحر ،
ولذلك ، فهم يحاولون كسب الوقت . وقد وردت أخبار تقول ان الداي
مريض وأنه مقعد عن العمل وقد اقترح وزيره أن يرد على ملك هولندا
بالنيابة عنه ، وهو يلح عسى أن يجري مقابلة مع الأميرال الهولندي قبل
اتخاذ قرار في موضوع خطير مثل هذا . وقد رد قنصل هولندا قائلا ان
أوامره قاطعة في هذا الموضوع ، وأنه اذا لم توافق الحكومة الجزائرية
على تجديد معاهدة السلام القديمة ، فعليه أن يبحر ليعود الى بلده قوفاً ،

وأن هذه الخطوة متتبع عنها الحرب حتما . وقد أجل القرار النهائي في هذه القضية المهمة حتى يوم الغد على الساعة العاشرة صباحا .

12 نوفمبر :

جاء السيد فريسن قنصل هولندا صاح اليوم الى القنصلية الأمريكية برفقه أسرته ومعه امنعته ، وهو يستعد للرحيل ، لأنه يعتقد أن الداي سوف يصر على وجهة نظره العدائية . ولكن الجميع فوجيء مفاجأة سارة حينما اقترب منه المترجم لرسمي ، وهو في طريقه ، قاده الى القنصلية ، حيث توصل الطرفان الى حل وسط يقضي باستمرار معاهدة السلام بنفس الشروط التي تنص عليها المعاهدة ، ووفقا لاقترحات جلالة ملك هولندا

أن هذه المفاوضات تشرف الحكومة الهولندية ووكلاءها الذين قاموا بها . فان أسلوب رسالة ملك هولندا وما أبداه من الحزم يذكر كثيرا بالموقف الذي اتخذه رئيس الولايات المتحدة في سنة 1816 في ظروف مشابهة . وقد كان للموقف نفس النتيجة . ولكنه يجب أن نذكر أن أخبار الكارثة التي لحقت بالجيش العثماني في الشرق ، كان لها أثر كبير على المفاوضات مع مردانيا وهولندا . سمرت السفينة الحرة الهولندية مساء اليوم ، وهي تحمل أخبار سارة بأن المفاوضات انتهت بصورة مشرفة لبلدها .

الملاحق

الملحق ١

الوازن والاكبال والنقود

يكون الرطل الجزائري من أونس (1) (أوقية) ، وكل أوقية تنقسم الى ثمانية أقسام متساوية ، وكل قسم من الأقسام الثمانية يقسم بدوره الى عشرين قسماً . وبهذا الوزن تسع المعادن لثمية ويحري تبادلها ، وبه تباع أيضا التؤلؤ ، والأحجار الكريمة ، والمسك ، والمرجان والشاي ، والأفيون ، ومختلف أنواع العطور .

توجد ثلاثة أنواع من المنطار في الجزائر : فالأول ، عبارة عن مائة رطل جزائري ، وهو ما يساوي 112 رطل انجليزي = 51 كيلو جرام .
وجميع الأشياء التي توزن ، إنما توزن بهذا المنطار ، باستثناء ما يلي :
والمنطار الثاني ، يزن 150 رطلا = 50 كيلو جرام . وبهذا المنطار يوزن القطن الخام .

والعسل ، والتين ، والعنب ، والتمر ، ولزبدة ، واصابون تباع برطل يزن 27 أوقية ، أو 745 جرام . والحرير الخام يوزن برطل يتكون من 16 أوقية ، ولكنه يوجد وزن اضافي في مقداره نصف أوقية لكل رطل . وهذه هي المادة الوحيدة المعروفة الخاضعة لهذه الاضافة .

١ - وحدة وزنية مساوي 28,30 جراما .

يوجد مقياسان لملول في الجزائر . أحدهما يسمى « بيك » ويقسم
إلى ثمانية أقسام متساوية

و « البيك » التركي الكبير يستعمل لبيع جميع الأصناف المصنوعة
من الصوف ، والقطر ، والكتن ، وداث فيما عدا الأصناف المصنوعة
من الحرير والأقمشة المطرزة بالذهب والنخس و « الب » و 16 و 7
البيك يساوي ياردة انجليزية . أو متر 31 مستر

وأما « البيك » الصغير ، العربي ، فيستعمل لبيع المسلمين ، والأشرطة
الحريرية وأشرطة العطن والحبال المقتولة وخيوط الذهب والفضة .
و « البيك » العربي و 10/1 يساوي ياردة انجليزية واحدة .

وأما مكيل القمح ، والشمير ، والملح الخ . فيسمى « الصاع » .
وثلاثة أرباع هذا المكيل تساوي « البوشل » الانجليزي أو 36 لترا 1/3 .

ومكيل السوائل بالنسبة للزيت يسمى « القله » . والقلة تساوي
أربع جالونات انجليزية أو 18 لتر 1/6 .

وأما لم أعرف قط ما إذا كان لدى الجزائريين مقياس لمساحة
الزراعية ، ولكنني أعتقد أنه لا يوجد عندهم مثل هذا المقياس .

وأساس لعمود المعدنية الجزائرية هو « المصون » وهو عبارة عن
قطعة صغيرة من الفضة تساوي ستون قطعة منها دولارا واحدا أسباب (2) .
و « المصون » يقسم إلى 29 « أسبيروس » ، وهو عبارة عن قطعة
صغيرة من المعدن تشبه قطعة من الصفيح . والنقود المتداولة من الفضة
هي « البيزيطه » التي تساوي 8 « مصون » ، « والبيزيطه » التي

2 - كان الدولار الإسباني يساوي 543 مارك فرنسي

تساوي 6 « مصون » ، و « البشكة » التي تساوي 24 « مصون »
و « البوجو » الذي يساوي 28 « مصون » . وعملة الذهب الجزائرية
هي « السكوين » الذي يساوي 108 « مصون » . ونصف « السكوين »
و « المحبوب » الذي يساوي 72 « مصون » و « الدبلون » و « الدولار »
لاسباني كلاهما عملة متداولة هنا ، ولكن بسعر غير ثابت

والجزائريون يمسكون الدفتر ويحسبون بالبيزطة التي تساوي 8
« مصون » . والقهوة تباع بسعر مقداره دولار وهمي يساوي 40
« مصون » للفنطار الواحد . وأما بيع المنازل وتأجيرها ، فيجري على
أساس « سكوين » يساوي 72 « مصون » .

* * *

الملحق بـ

المفاوضات بشأن تحرير الرق

مترجمة عن شول ، مختصر تاريخ معاهدات السلام

الجزء الحادي عشر - مؤتمر فينا

تعود بداية التجارة في العبيد الى أوئل القرن السادس عشر ويعود عار اكتشاف هذه التجارة الى البرتغاليين . ففي سنة 1513 ، أدخلوا العبيد الأوائل الذين اشترؤهم أو سبؤهم من افريقية الى المستعمرات الاسبانية في أمريكا . فان بارثولمي لاس كاراس (Barthelemy las Casas) كان يرى في هذه التجارة وسيلة لمحافظة على سكان الانتيل الأصليين من الانقراض ، فاقترح على الكوردينل خيميس (Xemes) مباركة هذه التجارة وجعلها قانونية ، ولكن هذا الفيس رفض المشروع الذي صرح به شارل كينت في سنة 1517 ، وسمح بريسا (Bressa) الذي كان يتنعم بالخطوة لديه ، احتكار هذه التجارة وسمح له بادخال 4000 عبد من الزنوج سنويا . وفي وقت لاحق تنازل عن هذا الاحتكار لجنوه .

وكذلك سمحت الملكة اليزابيت الأولى بالتجارة في العبيد في أنطيرا .

وأما في فرنسا ، فإن لتجارة في العبيد لم يسمح بها الا في عهد لويس
الثالث عشر (1) .

والسود يعيشون في افريقية في القسم الذي يمتد في جنوب وشرق
لصحراء الكبرى ، حتى درجة 22 عرض جوي . وقد بدأ الأوروبيون
بممارسة هذه التجارة في عدة نقاط في هذه المنطقة الغربية ، وفي مزينق ،
في المنطقة الشرقية أيضا . والدول التي يتردد مواطنوها على هذه المناطق
للاشتراك في هذه التجارة ، تفضل أماكن معينة فيها تقيم فيها منشآت
لهذه الغاية . وهذه المنشآت هي التي تتلقى الآلاف من العبيد الذين
يحملون من الداخل — العبيد الذين يجبري تبادلهم بالحمر والحديد
والأسحة النية الرديئة ، وغير ذلك من البضائع الزهيدة القيمة .

ويقال ان الأوروبيين قد أخذوا في عضون ثلاثة قرون نحو ثلاثين مليوناً
من سكان افريقية

كانت «كواكر» أول حركة تخلي أتباع عن العبيد الذين
في حوزتهم وحرروهم . ومنذ منتصف القرن الثامن عشر ، وهم يبذلون
الجهود تحرير الاسترقاق ومع التجارة في العبيد السود .

وفي سنة 1772 ، اعتدت أنجلترا بمبادرة من جرافيل شارب
(Grandville Shaepppe) اجراء كان معمولاً به في فرنسا منذ القرن
السابع عشر يقضي بأنه متى وضع عبد رجله في القارة الأوروبية ، أصبح
حراً بحكم الأمر الواقع .

ومنذ سنة 1780 ومسألة تحريم الرق كانت موضوعاً رئيسياً للفلاسفة
والمهتمين بالشؤون الاجتماعية ممن لهم الفضل في قيام الثورة الفرنسية .
وقد قام أحد أنصار حقوق الزوجات المتحمسون بإنشاء جمعية تسمى

1 - ملوك فرنسا (1601-1643) د بعد سنوات من الحروب والاضطرابات ، منح لويس الثالث
عشر اسلطة لارشلير الذي نظم دولته ، وقد أدخل فرنسا في حرب الثلاثين سنة .

« المؤسسة الأفريقية » وهدفها هو تحرير هذه الطبقة البائسة من آسء
البشر .

وأغلبية الدول الأمريكية قد حرمت التجارة في العبيد . ولكن ولايات
ماريلاند ، وفرجينيا وكارولينا ، ولكنها تقع في ماسخ حار ، ترى أنها
لا تستطيع الاستغناء عن العبيد ، في رداعه الطباق والارر .

ومصير العبيد في المستعمرات البريطانية قد حسن بفضل اقدنون
الذي يعرف باسم « قانون العبيد المدعم »

الذي اعتمد في سنة 1784 ، الذي يسمح للعبد لكسب صغير مستقل .

ومنذ ذلك التاريخ ، دافع ويلبرفورس (Wilberforce) دفاعا حارا
في البرلمان الانجليزي عن قضية العبيد . وفي سنة 1788 ، تحدث جوم
بنت (G. Pitt) كثيرا في صالح العبيد في مجلس العموم البريطاني .
ولكنه وجد معارضة قوية من نحر يمبرون ومن نحر بريسطن بدين
ذهب مشوهم الى أنه لكي يمكن لاحتفاظ بـ 410000 عبدا في
المستعمرات ابريطانية يقتضي الأمر ادخال 10 000 عبد جديد سنويا
اليها ، وأن الانجليز يهومون بشراء 30 000 عبد من افريق سنويا
وينازلون على 20 000 منهم لبدان أروسة أخرى ، وأن شراء 30 000
عبد سنويا معناه تصدير ما قيمته 800 000 جنيه سترليني من المنتجات
الانجليزية المصنوعة (التي تدفع في مقابل العبيد) ، وأن هذه التجارة
تتيح لبريطانيا ربحا سنويا قدره 1400 000 جنيه سترليني ، وأخيرا ،
فإن الضرائب على العبيد تضمن دخلا لخزينة قدره 256 000 جنيه
سنويا .

وعى الرغم من أن هذه المحاولات لم تكن مجدية ، فإن أعداء
الاسترقاق لهم يهنوا ، ولم يشبط العشل عزائمهم . فان ويلبرفورس استمر
يثير قضية العبيد الأفارقة في كل دورة لبرلمان . وقد أدى حماسه وبلاغة
فوكس (الى اعتماد مجلس العموم في سنة 1792 مشروع قانون

ينص بحريم التجارة في الرقيق السود بأغلبية 19 صوتا ، ولكن مجلس اللوردات رفض مشروع القانون . وهذا ما حدث أيضا لمشروع القانون الذي تقدم به ويلبرفورس واعتمده مجلس العموم في سنة 1794 ، والذي يحرم التجارة في العبيد السود . وقد أيده بيت نايدا ضعيفا ولكن مجلس اللوردات رفضه .

لقد أصبح من السهل الآن أن ينوه المرء أن تنتصر قضية العبيد في نهاية الأمر . فان المناقشات التي دامت 18 سنة في البرلمان قد هيأت نفوس الجمهور لهذا التطور ، ولكن لدى ملاك الصياع من الوقت ما يكفي لاتخاذ احتياطاتهم .

وفي سنة 1806 ، ساد الاعتقاد بأن الوفاء قد حان لارتفاع كلمة لدعاء لتحريم التجارة في الرقيق ، وذلك بدون كثير من المضايقات .

وفي 10 يونيو من نفس السنة أصدر مجلس العموم قانونا يقوم على مبدأ إلغاء العبودية ، ولكن الاحراء النهائي لم يتخذ الا في 6 فبراير 1807 .

وقد حدد أول يناير 1808 لدخول القانون في حيز التنفيذ ومع التجارة في الرقيق قانونيا . وقد تعزز هذا القانون في شهر مايو 1811 بانزال عقوبات بالأشخاص الذين خالفوه .

وانه لما لا يخلو من مغزى كبير ، أن نرى أنه عقب تحريم لبرلمان تجارة الرقيق مباشرة ، ترجى الملك بأن يدخل في مفاوضات مع الدول الأخرى لكي تتخذ اجراءات مماثلة . ومثل هذا المسعى يدعو الى الدهشة من دولة عيورة على استقلالها ، وبالتالي ، لابد وأن تجد أن من واجبها احترام استقلال غيرها من الدول ، ولا سيما اذا تذكرنا قلة اكترائها بما يجري في بلدان أخرى .

وهذا المسعى تكرر بعد ذلك ، وفي أول مايو 1814 . حين أصدر مجلس الوزراء البريطاني نداء إلى الدول الأخرى يطالبها بالعداء التجارة في الرقيق الأسود .

وقد وردت إشارة فيه إلى حقول الآسية المقدسة وإلى العاليم المسيحية ، ولم يسأل أن ينوه بين بريطانيا .

وفحن يريد أن يعتقد أن الأجيال القادمة سوف تردد هذا الشاء ، حينما يلعب نظام البحرية الإجبارية ، وحينما يروص لبحريون الانحيز القرصه التي تمارسه بلاد لبربر ، وحينما نجد صدها الأصوات إلى يرتفع في البرلمان البريطاني ضد مصطهدي الهنود الحمر .

ومع ذلك ، فإن الشرف الأول في بحريم التجارة في الرقيق لا يعود إلى بريطانيا . ون اندامارك قد سبقته باتخاذ اجراء لهذه العاية في سنة 1794 . فان هذه الحكومة ، على الرغم مما تتسم به من الاستبداد . قد حددت مهلة عشر سنوات لاصحاب اصياع ممن يحملون جنسيتها لكي يستعدوا لتحريم الرق . وفي سنة 1804 . حرم ارق في جميع الممتلكات الانماركية .

ولكن الصحف لم تشر إلى هذا الاجراء الذي يصوي على كثير من الحكمة والسداد الا بكلمات قليلة . والملك كرسين السابع لم يقدم اعلاما رسميا بهذا الاجراء لأية حكومة .

وقد كانت النتيجة الأولى التي حققتها المساعي البريطانية من أجل تحريم التجارة في الرقيق ، هي معاهدة ريو دوجنيرو التي تتضمن عشرة بنود ، والتي التزمت البرتغال بموجبها بأن تساعد بريطانيا في دفاعها عن قضية الانسانية ولعدالة بأن تتخذ اجراءات أكثر فعالية بأن تحرم تدريجيا التجارة في الرقيق في جميع مستعمراتها على النواطيء الافريقية

ولكنه يجب أن نلاحظ أن هذا التعهد لا يكلف ملك البرتغال الا قليلا ،
حيث أن المستعمرات البرتغالية في افريقية السود ، تشكل أهم أسواق
النخاسة .

وبعد البرتغال ، كانت لسويد الدولة الأولى التي ، وقعتها بريطانيا
بالالتزام بإخلاء احرء التحريم « الذي توصي به الاخلاق والانجيل » .

وكذلك وعد بلاط السويد بموجب مادة خاصة في معاهدة التحالف
التي عقدتها مع إنجلترا في 3 مارس 1813 ، بأن تمنع ادخال العبيد
الى مستعمرة « جوادلوب » ، التي تنازلت لها عنها بريطانيا بموجب مادة
في هذه المعاهدة ، والى مستعمراتها الأخرى ، وأن يحرم على الرعايا
السويديين الاشتغال من قريب أو من بعيد بتجارة الرقيق الأسود .

وبموجب المادة 8 من معاهدة السلام التي عقدت في كييل ، تعهد ملك
الدانمارك ، الذي كان والده قد حرم في سنة 1894 التجارة في الرقيق
في جميع الممتلكات الدانماركية ، بأن يحرم على رعاياه الاشتغال بتجارة
الرقيق بأية صورة كانت .

والمعروف أن فرنسا لم تكن قد رحصت بالتجارة في الرقيق الا بعد
اسبانيا وأنجلترا بوقت طويل . ولكن هذا ابد ظل دائما متمسكا بمبدأ ،
وهو أن أي عبد يدخل الى البلاد الأوروبية ، يصبح حرا بحكم الواقع .
وهذا المبدأ لم تعتمد إنجلترا ، كما اثرتنا ، الا في سنة 1772 ، بفضل
جهود جرانديفيل شارب .

كانت حرية العبيد الموضوع المفضل للخطب والتأليف لكتاب الثورة
الفرنسية . والميثاق الوطني (La Convention Nationale) الذي سقطت بموجب
أحكامه رؤوس عديدة وداس على الأخلاق والدين ، هو الذي نص على

تحرير التجارة في الرقيق . ولكن هذا الاحراء جمعت عنه كوارث ومصائب ،
سنخرج عن موضوعنا لو تعرضنا للحدث عنها .

وبمجرد عودة لويس الثالث عشر الى عرش اجداده ، قامت بريطانيا
تسعى لديه من اجل تحرير التجارة في الرقيق الأسود . وكذلك اقتضت
رعاية هذا الملك شعبه ومبادئ الانسانية . موافقة على مع الأجاب
من بيع العبيد في المستعمرات الفرنسية ، ولا يسمح به بفرنسيين . لا
مؤقتا ولمدة أقصاها سنة 1819 ، وذلك حتى يتبحر الوقت لاصحاب
الضياع لاعداد أنفسهم للعهد الجديد .

بين ان ملك فرنسا وعد في المؤتمر بأن يوحد فيما بعد جهوده بجهود
بريطانيا للوصول الى تحرير عام للتجارة في الرقيق الأسود . ذلك هو
العهد الذي قطعه على نفسه ملك فرنسا بموجب المادة الأولى من المواد
الاضافية في الاتفاقية التي وقعتها في 30 مايو 1814 .

وقبل أن يغادر اللورد كاستريو (Castlereagh) باريس بعث بمص
هذه المادة الى وزير خارجية النمسا وبروسيا وروسيا ، والى الدول التي
ليس لها مستعمرات ، كما طلب اليهم جميعا التعاون من أجل تحرير
التجارة في الرقيق الأسود (وهي تجارة مصادرة للطبيعة وللانسانية) .
وهؤلاء جميعا وعدوا بتأييد المقترحات التي تتعلق بتحرير التجارة في
الرقيق ، في المؤتمر القادم .

وأما ملك الأراضي الواطئة ، فقد ذهب الى أبعد من ذلك ، فان المرسوم
الذي أصدره في 15 يونيو 1815 ، يأمر بمنع خروج أية سفينة حربية
من أي ميناء هولندي لحماية سفينة تجارية تعمل في التجارة في العبيد
الذين تقلهم من شواطئ افريقية أو من جزيرة في مقابل هذه الشواطئ ،
سواء أكانت تتجه الى القارة الأوروبية أو الى أمريكا . وكذلك يصح
المرسوم على أنه لا يمكن لسفينة مجهزة أو معدة للتجارة في الرقيق أن

ترسو في موانيء عينيا الجديدة ، كما يحرم تصدير أي واحد من سكان هذه المنطقة بوصفه عبدا . وهذا لمرسوم لا يحرم دخول العبيد إلى المستعمرات الهولندية ، لأن هذه الجزر كانت حينما شر ، تحت السلطة البريطانية .

ولما تمهدت بريطانيا بموجب اتفاقية 30 أغسطس بإعادة هذه المستعمرات إلى هولندا ، حرم الملك على رعاياه الاشتغال بأيه صفة من الصفات بالنجارة في الرقيق .

وبعد معاهدة الصلح التي وقعت في باريس ، تقدم اللورد كاستلريق بمقترحات جديدة إلى الحكومة الفرنسية ، تستهدف الحصول على أكثر مما وعدت به الأخيرة بموجب المادة عدد العبيد المسموح به إلى مستعمراتها لا يتجاوز الضروري للضياع الموجودة حاليا دون أن يؤذن للفرنسيين باستخدام العبيد في ضياع جديدة .

كان الوزير البريطاني يرغب ، خصوصا ، في منع انتعاش تجارة الرقيق على شواطئ افريقية الغربية الواقعة شمال خط الاستواء . وكذلك طالب بمنح ترخيص للأسطول البريطاني الذي يعمل في المنطقة بأن يستولي على أية سميئة فرنسية تنقل على متنها عبيدا في نطاق الحدود التي يتفق الطرفان على تحريم التجارة في الرقيق فيها .

وفي 5 من أغسطس ، كتب الوصي على عرش إنجلترا رساله بخط يده إلى ملك فرنسا ، يقترح فيها أن يتخذ الطرفان إجراءات مشتركة لتحريم التجارة في الرقيق - تلك التجارة المتناقضة مع الانسانية - تحريما شاملا .

وقد رد الملك لويس الثامن عشر على هذه الرسالة برسالة أخرى بتاريخ 2 سبتمبر ، يطالب فيها بإباحة التجارة في الرقيق لمدة خمس سنوات فقط ، مع وضع قيود تدريجية على هذه التجارة .

كان اللورد ولينجرتون ، سفير أحمرا في باريس آنذ ، قد سعى بعمليات بأن يقترح على الحكومة الفرنسية (بالإضافة إلى اقتراحات الوصي على العرش ، مقاطعة منتجات المستعمرات النبعة بلدون اسي ترفض تحريم التجارة في الرقيق . وكذبت قدمت اقتراحات جديدة إلى فرنسا في شهر سبتمبر ، تعرض بريطانيا بمصاها تقديم مبلغ من المال بذلك أبدا لكي يستخدمه للسعوص للأفراد من رعاياه الذين ينصرون من إجراءات تحريم اتجارة في الرقيق والغاء العبودية . أو ان شاء . تنازل به بريطانيا عن جزيرة من جزر الهند العربية .

ولكن الحكومة الفرنسية رفضت الاقتراحين ، وأرجأت مفاوضاته القصية لتحول إلى مؤتمر فينا .

ومع ذلك ، فإن هذه الحكومة أصدرت منشورا بتاريخ 8 أكتوبر ، يقضي بوصع قيود على التجارة في الرقيق في المناطق الواقعة جنوب رأس فورموز ، على ساحل افريقية الغربية .

وفي 5 يونيو 1814 عقدت في مدريد معاهدة بين اسبانيا وبريطانيا . بذل مندوب بريطانيا في المفاوضات التي أسفرت عنها ، وهو سير هنري ويلسلي (H. Wollesley) جهدا كبيرا لكي تضمن بدا تعهد ملك اسبانيا بموجبه بأن يحرم استيراد العبيد إلى المستعمرات الاسبانية ، ويتحدد اجراءات تمنع رعاياه الأسبان من الاشتراك بأنة طريقة في التجارة في الرقيق الأسود .

وبهذه المناسبة ، لاحظ الدوق سان كارلوس (San Carlos) وزير خارجية فرديناند السابع للسير هنري ، أنه حينما حرمت إنجلترا التجارة في الرقيق ، كانت نسبة العبيد بالقياس إلى السكان البيض في المستعمرات الانجليزية هي نسبة 20 إلى 1 - وأن البرلمان البريطاني ظل يبحث موضوع تحريم التجارة في الرقيق مدة نحو عشرين سنة . وقال انه على

عكس ما كانت عليه الحال في المستعمرات الانجليزية ، فان نسبة العبيد الى البشر من سكان المستعمرات الاسبانية متساوية . وقد استنح الوزير الاسباني مما تقدم ، أنه لا يمكن مطالبة اسبانيا باتخاذ قرار فجأة قد يؤدي الى تعرض المستعمرات الاسبانية للخطر .

وهكذا ، فان كل ما أمكن بريطانيا الحصول عليه من اسبانيا ، هو مادة مستقلة يتعهد ملك اسبانيا بموجبها بتحريم التجارة في الرقيق على رعاياه ، متى كان هدف هذه التجارة تزويد مستعمرات أخرى غير المستعمرات الاسبانية بالعبيد ، وبمنع الأجانب من استخدام الملمم الاساني للتجارة في لرقيق نهريا من العقاب .

وبعد توقيع المعاهدة ، واصل سير هري ولسي المفاوضات مع بلاط مدريد ، على أمل الحصول على ترضيات جديدة من ملك اسبانيا . ولهذه الغاية عرض مساعدة مالية بريطانية ، كانت حالة اسبانيا المالية في أشد الحاجة اليها .

وفي 22 أكتوبر 1814 ، عرض بلاط مدريد استعداداه لوضع قيود على التجارة في الرقيق تمتد معمولها لمدة ثمان سنوات في البلدان التي تقع بين خط الاستواء ودرجة 10 عرض شمالي ، وبعد هذه الفترة تحرم التجارة في الرقيق تحريما شاملا .

وهذا الاقتراح رفضته الحكومة البريطانية ، لأن المنطقة المقترحة تشمل منطقة توقعت تجارة الرقيق فيها منذ وقت طويل . وهكذا ، ون مفاوضات مدريد لم تسفر على نتيجة أخرى .

وأما المفاوضات التي دخل فيها اللورد كاستلريك مع البرتغال في فينا ، فانها لم تسفر على نتيجة أفضل . وقد كان من نتائجها توقيع اتفاقيتين بين هذه الدولة وبريطانيا ، وقعت احدهما بتاريخ 21 ، والأخرى بتاريخ 28

يناير 1815 . وبموجب الاتفاقية الأولى ، قدمت بريطانيا الترضيات التي طالبت بها البرتغال فيما يتعلق بالسفن البرتغالية التي استولت عليها الأسطول البريطاني ، بينما كانت تشتغل في تجارة الرقيق التي أدعى الطرف البريطاني أنها محرمة بموجب اتفاقية ريودجانيرو المعقودة بتاريخ 9 فبراير 1810 . وقد دفعت بريطانيا لموصي على عرش البرتغال مبيع 300 000 جنيه استرليني للتعويض به عن الحائز التي تعرضت لها مصالحه من جراء الاستيلاء على سمه بطريقة تكاد تكون فهرية .

وأما الاتفاقية الثانية التي عقدت في ليون التالي ، فهي تتضمن خصوصاً البنود التالية :

المادة الأولى : منع كل مواطن بريطاني مصادرة من مصادره لتجارة في الرقيق في أية منطقة من مناطق أفريقية العريية الواقعة في شاطئ الاستواء .

المادة الثانية : لا تتعرض للعقاب السفن البرتغالية التي تعمل في التجارة في الرقيق في جنوب خط الاستواء بشرط أن تحصل على إذن سوجب القوانين البرتغالية وتحترم بنصوص المعاهدة التي يرتبط بها التجار

المادة الرابعة : بالنظر الى أن معاهدة ريودجانيرو التي عقدت في 9 فبراير 1810 ، قد تم التوقيع عليها في ظروف وقتية لم تعد قائمة ، فهي أصبحت لاعية ، وذلك بدون مساس بالمعاهدات السابقة بها والتي جددت وأكدت . والأطراف المتعاقدة تحتفظ بنفسها بحق تحديد الوفاء الذي تحرم فيه التجارة في الرقيق بحرياً ما في جميع الأراضي البرتغالية ، وذلك بمعاهدة خاصة .

وكذلك تنازلت بريطانيا عن الحق الذي تخولها اياه المادة 8 من معاهدة ريودجانيرو ، بأن يدخل أسطولها الحربي ، بأي عدد من السفن ،

الى امواني البرتغالية ، وأخضعت نفسها من جديد لأحكام المعاهدة
القديمة التي تحدد عدد السفن بست فقط .

وبموجب المدة الخامسة ، تنازلت بريطانيا عن اقراض المستحق لها
على البرتغال والذي تبلغ قيمته 600 000 جنيه سترليني ، والذي تم
التعاقد بشأنه في لندن ، في 60 أبريل 1809 .

وفي مؤتمر اشتركت فيه 8 دول أوروبية عقد ابتداء من 16 يناير 1815
اقتراح اللورد كاستريق ، تشكيل لجنة خاصة تكون مهمتها توفير
اوسائل الضرورية لتحريم التجارة في الرقيق ، .

وقد عارضت اسبانيا والبرتغال هذا المشروع بحجة أن جميع الدول
متفقة على مبدأ تحريم الرق وان تتميز هذا المبدأ انما يعني الدول التي
تملك المستعمرات ولكن النمسا ، وبروسيا ، وروسيا ، والسويد
لاحظت أن تدخل الدول التي لا يهمها الموضوع بصفة مباشرة في أمر
من شأنه أن يكون مفيدا لتوفيق بين الآراء . على أن الأمر انتهى برفض
مشروع اللجنة ، ولو أن مندوبي الدول الثمانية ، خصصت أربع جلسات
لبحث هذا الموضوع وحده .

وفي هذه المباحثات ، تقدم المفاوض البريطاني بثلاث مقترحات : أولا ،
أن ينبغي على جميع الدول أن تعلق موافقتها على مبدأ تحريم التجارة
في الرقيق ، وتبين بوضوح رغبته بتحقيق هذه الغاية في أقرب وقت
ممكن . وثانيا . ينبغي النظر في امكان تحريم التجارة في الرقيق في
الحال ، أو على الأقل ، في امكان اعلان كل دولة أحلا قريبا لتحريم
الرق نهيا . وثانيا : النظر في الوسائل التي تسمح بتحريم التجارة في
الرقيق جزئيا وفي الحال .

فاما الاقتراح الأول ، فلم يواجه أية صعوبة ، وقد وافق مندوبو
الدول ، بناء على اقتراح مندوبي اسبانيا والبرتغال ، على ادراجة في

تصریح بشأن تحریم التجارة فی الرقیق . ولكن مندوبی فرنسا رفضوا تخفیص مدہ خمس سنوات التي وافق علیها لويس الثامن عشر . الى ثلاث سنوات . وقد اکتفوا بالوعد بأن تتخذ اجراءات فی غضون مدہ الفترة لتقیيد التجاره فی الرقیق . وللتعجل لحظة تحریمه نهائیا بقدر الامکان .

وقد صرح مندوبو اسبانيا والبرتغال بأن التعليمات التي يحملونها معهم صراحة من التنازل عن أي شيء بشأن مدّة ثمان سنوات . وأضاف مندوب البرتغال أن حکومتہ تطالب ، بوصفه شرطا لحريم تجاره الرقيق نهائيا ، بأن توافق بريطانيا من جهة على ادخال بعض التعديلات في نظام التبادل التجاري بين البلدين . والتعديلات المقترحة تتعلق بصور المعاهدة التجارية التي عقدت في 9 فبراير 1810 .

والاقتراح الثالث الذي تقدم به المورد كاستريق تسنيد تحریم تجاره فی الرقيق فی الحال، فی المنطقة التي تقع فی شمال خط الاستواء . وقد صرح فی هذا السياق بأن اجلّترا كانت سلك فی غضون الحرب الأخير جميع المؤسسات الأوروبية التي تقع على شواطئ افريقية العربية التي تمتد فی شمال خط الاستواء ، وأنه كان من نتائج تحریمها التجارة فی الرقيق ، أن سجلت الزراعة والصناعة تقدما كبيرا بحيث أن قيمة المنتجات المصدرة التي كانت لا تتجاوز 80 000 جنيه سترليني قد ارتفعت لتبلغ مليون جنيه سترليني .

وقد جرت مناقشة هذه المنطقة فی الجلسة التي عقدت فی 28 فبراير ، حينما وافقت عليها البرتغال رسميا . وأما وزیرا فرنسا واسبانيا ، فقد كان كل منهما وفيا للالتزامات التي قطعها بلاط بلده ، بشأن تحریم التجارة فی الرقيق جزئيا . وقد صرح كل منهما بأن التعليمات التي يحملها لا تسمح له بأن يتجاوز هذا الحد .

وبعد مناقشة هذه المقترحات مناقشة وافية ، اقترح البورد كاستلر
بأن يعالج وزراء الدول الثمانية المأدبون لهم في باريس وفي لندن ، هم
وعيرهم من وزراء الدول التي تريد الانضمام اليهم ، مجتمعين المسائل
التي تتعلق بتحريم في الرقيق تحريماً باتاً .

ولكن وزير اسبانيا عارض هذا الاقتراح رسمياً ، وصرح بأنه يرى أنه
غير ملائم وغير مفيد . وأما وزيراً فرنسا واسبانيا ، فقد اقترح كل منهما
تأجيل النظر فيه الى فترة أخرى .

وكذلك توقف الأمر عند هذا الحد . ولكن افراحا آخر تقدم به
مدوب بريطانيا تلقى اسماً لا أسوأ . فقد افترح ان تصرح الدول
المساهمة في المؤتمر بأنه اذا استمرت بعض الدول تمارس التجارة في
الرقيق بعد مدة معينة ببررها اعتبارات الضرورة ، فانها ستتخذ اجراءات
لمنع اسيرد منتجات مستعمرات تلك الدول الى بلادها ، ولا تسمح
بلاسيرد الا من مستعمرات بلدان التي لا تحمل هذه التجارة ، أو
من مناطق أخرى في العالم يقوم سكانها بانتاج تلك المنتجات بأنفسهم .
والمعروف أن الماسك المشر اليها تتكون حصوص ، من الممتلكات
البريطانية في الهند الشرقية . ومن ثم فان مصالح بريطانيا ، تتفق وتتطابق
جيد مع مبادئ الانسانية والتعاليم الانسانية ، ولكنه امتنع عن ذكرها
باسمها في هذه المفاوضات . وستصبح أوروبا في مركز التبعة لهذه
للنطوي ، حينما تصبح مستعمراتها في امريكا غير منتجة تماماً ، بسبب
القص في البلد العامية . وقد صرح وزير اسبانيا ووزير البرتغال بأن
اعتماد مثل هذا النظام سوف يبرر اتخاذ اجراءات انتقامية من طرف
الدول التي يطبق ضدها ، وأن الدولة المتضررة ستكون مضطرة لاصدار
قوانين ضد أفيد فروع تجارة الدولة التي تطبق ذلك النظام .

وأما المتفاوضون الآخرون ، فقد اعتبروا مثل هذا الاجراء لا ينطوي
على أي صل عدائي ، ويمكن اعتماده .

وقد اسمرت هذه المفاوضات عن التصريح الذي وقعته الدول الثمانية
تدريج 8 فبراير 1815 . وبهذه الوثيقة التي تسم بالحكمة والاعتدال ،
صادقت هذه الدول على المبدأ الذي نصصته المادة الأولى من معاهدة
باريس التي عقدت بين فرنسا وبريطانيا . وقد أهدت رغبة صداقة في
التعاون لاتخاذ اجراءات سريعة وفعالة تستهدف بحريم التجارة في الرقيق
الأسود . ومع ذلك ، فإن الدول الأطراف في الاتفاق تعترف بأنها
لا تستطيع تحديد الأحل الملازم الذي يترك الحق فيه لكل دولة لتحريم
التجارة في الرقيق نهائيا . وتبعاً لذلك ، فإن تحديد المدة التي تحرم
فيها هذه التجارة نهائيا سيكون موضوعا لمفاوضات أخرى بين هذه
الدول .

مناقشة المؤتمر لحقوق نظام فرسان مالطة الديني

نارت مسأله في المؤتمر نتيجة لدعوى نظام مالطة الديني (1) وهي تتعلق بالاجراءات التي ينبغي اتخاذها لوضع حد لمقرصة الي تمارسها الدول البربرية ووزراء بريطانيا الدين كانوا يحون في مؤتمر الملوك على حقوق الانسانية في ساق الدفاع عن بحريسم التجارة في العبيد السود على شواطئ افريقية الغربية ، لم يبدو أي اكرات بهذا النوع من الاسترقاق الذي يمارسه سكان شواطئ افريقية الشمالية في البحر الأبيض ، بل وفي المحيط الأطلسي ، ونزولون بذلك الشقاء بالانسانية بفكر ما يلطخون أوروبا بوصمة العار . صحيح أن بريطانيا تملك الوسائل الضرورية لعقابهم على اعتداءاتهم . وامانتهم لعلمها ، وانه ليس من مصلحة بريطانيا اتخاذ اجراءات لضمان سلامة البحارة التي تقوم بها دول أخرى في البحر الأبيض المتوسط .

١ - نظام ديني عسكري انشق من ممالك القديس يوحنا واسس في القدس في سنة 1099 . وبعد هزيمة الصليبيين ، التجأ الى جزيرة رودس في سنة 1308 م ، ثم الى جزيرة مالطة ، في سنة 1518 وظل فيها حتى سنة 1798 م ، حين انتقل الى روما واستقر فيها ، وقد وضع له دستور جديد في سنة 1961 ، ونظام فرسان مالطة له فروع كثيرة .

الملحق ج

من المفاوضين الأمريكيين الى داي الجزائر

يتشرف الموقعون أدناه أن يبلغوا سمو داي الجزائر أن رئيس الولايات المتحدة قد عينهم للتفاوض معه في شؤون اسلم ، وأنهم ، طبقا للتعليمات التي يحملونها ، فهم مستعدون للدخول في مفاوضات على أسس عادله ومشرفه لاستعادة السلام والنفاهم والوثام بين ابدين وهم يعتقدون أن من واجبهم أن يقرروا صراحة لسموه بأنهم لا يملكون صلاحيات للتفاوض معه الا على أساس من المساواه اتمه ، وينص اشروط التي تعاقدت بها اندول الأكثر رعاية ، وأنهم لن يوافقوا على أية مادة تخص على دفع ضريبة للجزائر بأي شكل من الأشكال .

يتشرف الموقعون أدناه أن يرفقوا بهذه المذكرة ، رسالة من رئيس الولايات المتحدة ، وأن يفتنموا هذه الفرصة لتجديد تقديرهم الطاق واحترامهم لسمو الداي .

التوقيع : شالر ستيفان ديكاتور

على متن البارجة « لاجيرير »

29 يونيو 1815

من جيمس ماديسون رئيس الولايات المتحدة الى سمو داي الجزائر

لقد أعلن سموكم الحرب على الولايات المتحدة واستعد عدد من
رعايا هذا البلد ، كما ألحق به عدة أهاليات لغير سب موجب لذلك .
ان الكونجرس الأمريكي قد أذن في دورته الأخيرة بقرار خطير الشأن
بالقيام بأعمال العدوان ضد حكومتكم ، وقد وجه أسطولاً يسكن من
سفن الحربية الى البحر الأبيض المتوسط لكي يقوم بتدمير هذا
التصميم وهذا الأسطول سيحمل معه بديلاً عن الحرب ، وهو السلام :
والخيار في يدكم . ونحن نود أن نعتقد أن سموه سيقرر ويعلن الحرب
بفوائد السلام والتفاهم مع دولة ترداد قوتها يوماً بعد يوم ، ويعود الى
ميوله نحو العلاقات الودية التي كانت قائمة مدة طويلة بين شعبين .
وبذلك يتفق مع وجهة نظر هذه الحكومة التي لا تريد سوى السلام
والصداقة مع جميع الأمم . ولكن لسلام ، لكي يكون دائماً . يجب
أن يقوم على أساس نصوص مفيدة لكل من الطرفين ، بحيث لا يطلب
أحدهما بأكثر مما هو مستعد لمجته للآخر . وهذا وحده هو الأساس
الذي يمكننا أن نرغب عليه في السلام .

لقد فوضت وليام شالر ، أحد مواطنينا الممتازين ، والكمودور
ينبريدج والكمودور ديكتور ، لعقد الصلح مع سموكم ، وسيسلمون
اليكم هذه الرسالة .

انني أبعث إليكم بهذه الرسالة مدفوعا برغبة صادقة في أن يفتنم
سموكم هذه الفرصة المشرفة لتفضيل السلام على الحرب .

حرر في واشنطن في 12 أبريل 1815

التوقيع جيمس ماديسون

الرئيس

جيمس مونرو

وزير الخارجية

الملحق د

رسالة داي الجزائر الى رئيس الولايات المتحدة

باسم الله وعونه وتحت حكم سيدنا ملجأ العالم ، السلطان القوي العظيم والذي يفصل في جميع القضايا ، أعظم الرجال قاصبة وطل الله في الأرض المسير للنظام ، ملك الملوك ، سيد ابر ومنافس الاسكندر الكبير ، ملك قوة لا تقهر ، خافان العالمين والبحار ، ملك العرب والعجم . امبراطور وابن امبراطور الغازي محمود خان (ليكن ملكه رخاء ومجده أبديا عندما ينتقل الى جوار الله) ، (من) حادته المتواضع المطمع حاكم الجزائر ومدينة الجزائر الذي يخضع الى الأبد لأوامر عرش جلالة الامبراطور ، عمر باشا (ليكن عهده عهد رخاء وسعادة) .

الى جلالة امبراطور أمريكا ، سيد الشواطيء والولايات المجاورة وجميع المناطق التي يمارس عليها سلطانه ، صديقا البيل ، سيد ملوك شعوب المسيح وعنده جميع ملوك المسيحية ، أمجد الأمراء الذي اختير من بين الأقبال الأمجاد السعيد العظيم ، جيمس ماديسون ، امبراطور أمريكا (ليكن عهده سعيدا مجيدا . وعمره طويلا ورحيا) يسمى له الاحتفاظ مدة طويلة باختام الحكم وعرشه المقدس . وحياته طويلة وصحة جيدة ، آمين .

انني آمل في أن تكون صحتكم على أحسن ما يرام ، وأفيدكم بأن صحتي جيدة بفضل العالي التقدير . انني أقدم سلاماتي المتواضعة دائما لله القوي من أجل سعادتكم .

خادمكم المتواضع جدا ، يقصد التفاوض لعقد الصبح معا . لقد تلقيت
خادمكم المتواضع جدا ، يقصد استفاوض بعد الصبح معا . لقد سفت
ارسالة التي حسب وفهمت مضمونها . ونظرا لأن صداقه التي كانت
قائمة بيننا قد انقطعت ، فاقتم يريدون الآن تجديد معاهدة السلام على
نفس الشروط التي يعوم عليها السلام مع فرنسا وانجلترا . بعد وصول
امطوبكم ابي ميثا ميسره بعثت بجوابي الى خادمكم ، الاميرال .
بواسطة قنصل السويد . لقد كنت مستعدا لقبول شروطكم ، شرط أن
نعاد لينا بارجنا وحراقتنا احريه التي اسوليم عليها . وبهذه الشروط
يود توقيع معاهدة الصلح طبقا لرغبتكم وطلبكم . ولما أوضح قنصل
السويد جوابنا هذا لخادمكم ، الاميرال ، وقد وافق على التفاوض
معا على أساس الشروط المذكورة أعلاه . ولما ألح بعد ذلك على ضرورة
إطلاق سراح عدد من الأسرى الأمريكيين الموجودين في حوزتنا وعلى
المطالبة بمبلغ من المال لتعويض على السفن التجارية الأمريكية التي
استولوا عليها وغير ذلك من ممتلكات الأمريكيين . لم تتردد لحظة
واحدة في الاستجابة لمطالبه . ونتيجة لذلك ، فقد أعدنا الى خادمكم ،
الاميرال ، كل ما صبه اينا . وفي هذه الأثناء ، وبعدما أعطا خادمكم
المذكور ، كلمته ووعد بأن يعيد اليه سفينيا لحريتين . وطرأ لاه
لم بعد وعده ، فقد خرب بذلك مادة من مواد معاهدة السلام التي وقعت
بيننا . ولهذا الاعتبار ، يتحتم عقد معاهدة جديدة .

انني أبلغكم ، بناء على ذلك ، أن معاهدة للسلام قد عقدت بيننا وبين
أمريكا في عهد حسن باشا ، منذ عشرين سنة ، وأنا أقترح تجديد تلك
المعاهدة على نفس الشروط التي تنص عليها . وإذا وافقتم على ذلك ،
فستكون علاقات الصداقة بين بلدينا متينة ودائمة .

انني أنوي أن تكون صداقتي مع أصدقائنا الأمريكيين أقوى مما
كانت عليه في أي وقت مضى ، حيث أن أمريكا كانت أول أمة عقدت
السلام معها .

على أنه نظرا لأن الأمريكيين لم يتمكنوا من تنفيذ شروط المعاهدة الحالية ، فإنه يبدو من الضروري بالسبب اليها ألا تتعاقد إلا على أساس الشروط المذكورة أعلاه . ونحن نأمل أن تتمكنوا ، بمسرة الله ، من الإجابة عن رسالتنا الحالية في الحال وبمجرد معرفه مصيبتها . وإذا وافقتم على طلبنا ، وعلى الشروط المحددة أعلاه والمخصوص عنها في المعاهدة المذكورة ، يرجى إفادتنا بجواب سريع ، ولكنه إذا كنتم . على عكس ذلك ، غير قابلين لشروط ومفرداتنا ، فسوف يكون صرفكم مافضا لواجب الانسان المقدس وضد القوانين الدولية .

انتي لا أطلب منكم الا التلطف باستدعاء فصلكم في أسرع وقت ممكن ، ، مؤكدا لكم أن ذلك سيكون مبعثا لاعتباطنا . وهذه كلمتنا الأخيرة اليكم ، وندعو الله أن يحفظكم بمسيرته .

حرر في 20 جمادي الثاني سنة 1231 هجرية ، الموافق 23 أبريل 1815 م وقع في مدينة الجزائر المحبوبة .

عمر بن محمد

القائم العظيم

الملحق هـ

معركة الجزائر (حملة اكسموث)

تفاصيل حرت في القنصلية (الأمريكية)

كان الجو في صباح يوم 27 أغسطس سنة 1816 ، جميلا لطيفا والهواء ساكنا لا يكاد يعكر هدوءه الانسيم عليل . وقد كان من الممكن رؤية الأفق البحري كله من هذا المنزل ، وهو مغطى بالسمن الحربية ذات الأشكال المختلفة ، من البارجة العظيمة ذات ثلاث طبقات حتى مركب المدفعية الصغير . وكان مدفع الانذار قد أعلن وصول هذا الأسطول يوم أمس ، ويبدو أنه يقترب بفعل التيارات البحرية .

وعلى الساعة الحادية عشرة كان النسيم يميل الى الرطوبة والبرد الخفيف ، وقد انفصلت بارجة عن بقية الأسطول وتوقفت عند مرمى المدفعية الجزائرية ، وذلك بعد أن رفعت علم المفاوضة ، ووجهت مركبا الى الرصيف . وقد احتفظت هذه البارجة بموقعها حتى الساعة الواحدة بعد الزوال ، وهي دائما تحمل علم المفاوضة ، وفي نفس الوقت ، تجمعت بقية قطع الأسطول في الخليج وبدأت تستعد للهجوم .

وعقب انزال علم المفاوضة على البارجة ، شوهدت عدة اشارات من الأسطول ، كما شوهدت ست بوارج تحمل العلم الهولندي تتقدم الى الأمام ، لتشكّل خطا متراصا للمقاتل . وقد تحركت حراقة فرنسية كانت ترسو في الخليج عند ظهور الأسطول المشترك وغادرت مرساها واتجهت اليه .

وعلى الساعة الواحدة و 40 دقيقة ، اتجهت خمس قاذفات للقنابل
مواقعها الحربية في مقابل المدينة ، وحدث على مسافة ميل واحد من مواقع
بطاريات المدافع . وعلى الساعة الثانية والربع يلاحظ نشاط مكثف
لتبادل الاشارات بين قطع الأسطول ، وتبدل المناورات التي يقوم بها على
نية اتخاذ مواقع حربية للهجوم .

وعلى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ، تقدم الأميرال الانجليزي
على متن البارجة « كوين شارلوت » المسلحة بمائة مدفع ولتي تدفعها
رياح شمالية بارد - تقدمت بحيلة ، وفي أثرها سفينتان حربيان .
احدهما مسلحة بثمانية وتسعين مدفعا والاخرى بأربعة وسبعين مدفعا .
وقد بدت البوارج الثلاث في نظم مشوش وكأنها تحاول كل منها
احتلال الذي عين لها . وأما قطع الأسطول الهولندي ، فقد كانت في
الأثر وفي خط منتظم للمعركة .

وفي الساعة الثالثة بعبيل . تقدم الأميرال الانجليزي الى الأمام
خارج موقعه السابق ، ويبدو انها تجنب بعبيل صفوف المدفعية البحرية
الجزائرية الهائلة . وعند هذه اللحظة تقدمت سفينتان كتتهما مسلحة
بأربع وسبعين مدفعا . واتخذت كتتهما موقعا على مسافة لا تتجاوز
مدى طلقة مسدس . وفي نفس الوقت ، تقدمت البارجة « العاتية » (1)
التي تحمل علم نائب الأميرال والمسلحة بثمانية وتسعين مدفعا ، ولكنها
اتخذت موقعا أبعد من السفن السابقة ، وهذا بدون شك مرجعه الى
خطأ . وفي هذه اللحظة - انحجب الأسطول عما ، وذلك فيما عدا السفن
الثلاث التي سبق الحديث عنها ، وعدد من المراكب الشرعية ذات
الصارية الواحدة ولسفن الصغيرة التي استمرت على المناورة تحت
الأشرعة ، ولا يوحد ما يدل على نيتها في الرسو .

وعلى الساعة الثالثة تماما ، أطلقت المدفع الجزائرية قذيفة في اتجاه
سفينة الأميرال - واثار ذلك مباشرة ، أصبحت المعركة شاملة .

1 - ترجمة لاسمها الانجليزي : The impregnable

وعلى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة ، توقفت نيران المدفعية الجزائرية الموجهة للبحر ، وقد شاهدنا مئات من المهاريين على طول الشاطئ . وتم نحت أسوار هذه القنصلية ، وكثير منهم قد وقع تحت القنابل أو اشتظا ، من بارجة الأميرال .

وفي هذه الأثناء استمر فصف الأسطول الانجيزي بعف وكان المدفعية الجزائرية ترد عليه بكل شجاعة .

وعلى الساعة الخامسة ، تجددت نيران المدفعية الجزائرية واستمر بصورة متقطعة .

وعلى الساعة السابعة والنصف ، كانت السفن الراسية في المياء طعمة لنيران .

وعلى الساعة الثامنة ، بلغت القنصل الأمريكي أحبار بأن أوردطة من الجيش قد قبضت على القنصل الانجليزي في مزله ووضعته في القيد وزجت به في السجن العمومي .

وعلى الساعة الثامنة والنصف ، كانت المدافع لاتزال تطلق نيرانها ، وقد أصبح القسم الأعلى من مبنى القنصلية حرابا بعدما أصيبت أسواره بخمس قنابل .

وعلى الساعة التاسعة أخذت نيران الجانبين تخف . وعلى الساعة الحادية ، كانت المدافع تطلق نيرانها على فترات متباعدة .

وعند منتصف الليل ، كان المظر الذي نشاهده من شرفة انقصيه في المينا عبارة عن شعلة هائلة من النار ، وبدت بقايا سفينين وقد دعت بها الأمواج خارج المرسى . كان المنظر في هذه اللحظة هائلا وعظيما .

وفي هذه الأثناء بدأت عاصفة يرافقتها رعد من السحب السود .
الكثيفة المتجمعة ، بدون شك ، نتيجة لدخان المعركة ، وقد كانت أصو .
البرق اللامعة تكشف الستار عن أسطول العدو الذي يسحب مسيحا
بالمسيح الذي يهب من اليابسة ، وتبدو في حلقة الأفق الأداكر . ولا ي
أشباح هائلة . وفي نفس الوقت لاتزال القابل والقذائف نحرو السماء
بين الحين والحين ، وطلقات المدافع الآتية من البوارج واتي لاتزال
على المرمى تدل على عدو متعب منهاك اقوى ولكن غير مهزم . لقد
كانت بطاريات لمدافع الجزائرية التي تشمل ثلاثة لآلاف قطعه . تمارع
الأسطول شرق المعركة .

وعند الفجر ، يوم 28 أغسطس ، اعترف الجزائريون بمجزهم عر
المزيد من المقاومة ، في الوقت الذي كان فيه الأسطول المشترك يبدو
على استعداد لاستئناف الهجوم . وفي غضون النهار ، اعترف الجزائريون
بهمزمتهم وقبلوا الشروط المهمة التي قدمها اليهم المنتصرون

لقد قاست البحرية والمدفعية وتحصياتها من تدمير واسع النطاق
ولكن المرجح أن الجزائريين لم يهقدوا عددا من الرجال يوازي الد
الذي خسره العدو . وتقول تقديرات (تسحق ما تستحقه مثل هـ
التقديرات من الثقة) أن عدد القتلى والجرحى من الجزائريين في هـ
المعركة بلغ 600 قتيل . واماواقع أنه لا يوجد ما يدل بعد المعركة ، هـ
أن خسارتهم كانت كبيرة في الأرواح .

الملحق و رسالة رسمية من اللورد اكسموث عدد خاص من لندن « جزيت »

يوم الأحد 15 سبتمبر 1815

وزارة البحرية ، 15 سبتمبر 1815

وصل القبطان بريسبان (Brisbane) قبطان سفينة جلالة الملك « كوين شارلوت » ، وصل في الليلة الماضية وهو يحمل البرقية التالية من الأميرال اكسموث ، موجهة الى جون ويبسن كروكر (John Wilson Croker) المحرم خليج الجزائر ، في 28 أغسطس 1815

سيدي ،

لم يصادفني في حياتي اطويله هي خدمة الدولة حداث ملا نفسي بأحدث الانطباعات وبالسرور والاعتراف بالجميل ، مثل نجاح الأمم . فان الانسان الذي كان أداة متواضعة في يد العناية الالهية ، لكي يعيد الى رشدها حكومة قاسية ويدمر ، الى الأبد ، نظاما فظيما لا يطاق لاستعباد المسيحين ، أمر سيكون دائما مصدر للسرور والشرف . وكل شخص ساهم في هذه العملية المجيدة من حقه أن يشعر بالسعادة تفمر نفسه .

اسمحوا لي بأن أقدم تهانتي الى اللوردات على النصر الكامل الذي أحرزه أسطول جلالة الملك في الهجوم على مدينة الجزائر ، وعلى النتيجة السعيدة التي أدت الى توقيع معاهدة الصلح اليوم .

وهكذا ، فإن حرب استمرت يومين قد نجم عنها نصر شامل ومعهده
صلح في صالح إنجلترا وحليفاتها ممسكة هولندا ، وبشروط أملاها جزم
وحكمة حكومة جلالة الملك وقرضتها شدة أسلحة .

يجب أن أضيف شكري الى الوزراء الذين اتصلوا وكسرو حماسي
بهذه المهمة الخطيرة الشأن . فإن الاجراءات التي اتخذوها تتفق مع
رغباتي ، والسرعة التي تحققت بها النصر ، يؤكد حكمته .

انه لم يمض بعد أكثر من مائة يوم منذ عاصف اجزائر على رأس
الأسطول البريطاني ، وأنا أعود ما أكون عن تخيل المصائب التي ارتكبت
في عابدة . ولما وصل هذا الأسطول الى اجنتر ، اقتصب انطون
تشتيت قطعه ، ولكن أسطولا آخر زود بالموارد الضرورية التي هي
في مستوى مهمته لمضيفة (حملة اجزائر) جمع بعد ذلك . وهذه
الحملة على الرغم من توقف حركتها بسبب هدوء البحر وازدحام
الماكس ، قد تمكنت ، مع ذلك ، من الانتقام للاهانة التي وجهت الى
الأمه ، وعاقبت حكومة عاصمة وبسرعة لا مثيل لها . لقد رفعت شرى
الأمة البريطانية عاليا - بريطانيا التي لا تتوانى عن معاقبة القسوة
والظلم الذي يتعرض له أولئك الذين يعيشون تحت حمايتها .

لو شاء الله لثم نصره دون خسائر كبيرة في الضباط والجنود ! ولكن
الدماء سالت غزيرة في هذه المعركة التي تميزت بصفات من الشجاعة
والبطولة النادرة ، وهي خليفة بأن تشير أقوى شعور الحماس والبل .
وليتني أستطيع أن أنقل اليكم ذلك كله !

لاشك في أن اللوردات قد تلقوا الآن بواسطة السفينة الحربية ذات
الصدرة الواحدة « جبار » أخبار العمليات التي قمت بها حتى تاريخ
14 ، وهو اليوم الذي أقفل فيه الأسطول من جبل طارق حيث ظل مقب
مدة أربعة أيام دون أن يستطيع الحركة بسبب العواصف الشديدة .

كان الأسطول كاملا من جميع ابوابي ، وقد زادت قوته بحسن زورق حربية جهزت اليه في جبل طارق ، وأقلعت بروح عالية مع أمل قوي في أن يمكن من الوصول الى الميناء الذي تنجه اليه في طرف ثلاثة أيام . ولكن ريحا معاكسة قصت على آمالي . ومما راد من سخطي لهذا التأخير أن أخبارا وصلتني عند الرحيل عن جبل طارق تقول ان الجزائريين يجمعون جيشا كبيرا ، وأنهم يقيمون تحصينات جديدة ، لا بجانب المدينة فحسب ، ولكن أيضا عند مدخل المرسى . وبما لذلك ، فقد خشيت أن تكون نيتي في أن أسدد هجومي الى هذه اسقطه الأخيرة قد اكتشفت وعرفها الداي بنفس الطرق أتاحت له معرفة اتجاه هذه الحمله .

وهذه الأخبار تأكدت عندي في الليلة التالية بأمر كب الذي وجهته قبل ذلك بوقت قصير لكي يحاور حفظ الفصل البريطاني في الجزائر . فذ القبطان داشورد الذي كلف بهذه العملية ، لم ينجح الا بصعوبة كبيرة في تهريب شقيقة القصل وزوجته بعد أن أسرتا في زي بحارين ، وقد ترك مركبا ليقل طفلا رصيعا لفصل ، حمله الطبيب الى الميناء في قفة وكان يعتقد أنه قد وضعه في حالة نوم ، ولكن الطفل ، مع الأسف ، صاح عند الباب الرئيسي واقتصح الأمر ، فكانت النتيجة أن أعقل الطبيب وثلاثة من البحارة وغيرهم ، بحيث بلغ مجموع الأشخاص المعتقلين ثمانية ، وأحضروا للعبودية ووضعوا في السجن لعادي . وفي اليوم التالي أرسل الداي الطفل الى أمه ، وطرا لأن هذا هو العمل الاساني الوحيد الذي قام به ، فأنا أعتقد أنه يستحق ايراده في هذا التقرير .

وكذلك أكد انقبطان داشورد أخبارا أخرى تقول ان نحو أربعين ألفا مقاتلا قد أحضروا من داخل البلد الى العاصمة وأن جميع الانكشارية قد استدعوا من مختلف المدن التي يشكلون حامياتها ، وأنهم يستخدمون

يدون توقف في المدفعية وفي الروار الحربية في أعمال الحصصات في كل مكان على الشواطئ .

والسفن الحربية (الجزائرية) كانت كلها راسية في الميناء ، وهي تكون ما يتراوح بين 40 و 50 زورق حربي وقاذفات القنابل ، وذلك بالإضافة الى وجود عدد آخر من السفن الحربية التي هي في حالة التصليح . وقد زج الداي بالفصل الانجليزي في السجن ورفض اطلاق سراحه ، أو ضمان سلامة شخصه . وكذلك رفض كل معاوضة بشأن الصباط والجنود الذين اعتقلوا في المركب الذي أعد لنقل اطفال الرضيع .

وتيجة لهدوء البحر وللرياح المعاكسة ، فان الأسطول لم يصل الى شاطئ الجزائر الغربي الا يوم 16 وفي ايوم التالي عند بزوع المجر ، تقدم الأسطول حتى أصبح مواجهاً للمدينة ، ولكنه لم يقترب منها بالقدر الذي كنت أنويه .

ونظرا لأن البحر كان هادئا ، فقد اغتنمت الفرصة لارسال مركب تحت علم الهدنة وتحت حماية « سيفرن » . وقد كلف لضابط الذي يقود المركب بأن يبلغ السلطات الجزائرية أنني أود الاتصال بالداي باسم الوصي على عرش انجلترا ، وتسقى أمرا بأن ينتظر الجواب ساعتين أو ثلاثا . واذا لم يتلق أي رد في غضون هذه الفترة ، فعليه أن يعود الى المركب الرئيسي وينضوي تحت حكم الهدنة .

وقد استقبل هذا الضابط عند حاجز الأمواج قبطان الميناء ، الذي صرح ، عندما قيل له انه ينتظر وصول الرد في طرف ساعة من الزمن ، بأن ذلك أمر مستحيل . وعندئذ ، أعين الضابط البريطاني انه سينتظر ساعتين أو ثلاثا ، ولاحظ أن ساعتين وقت كاف للغاية .

وعند هذه المرحلة ، كانت الريح التي هبت من البحر قد دفعت الأسطول حتى وصل إلى الخليج ، وشرع في أعداد القوارب ومراكب الخدمة ، واستمرت هذه العملية حتى ما يقرب من الساعة الثانية بعد الزوال .

وفي ذلك الحين أبصرت الضابط ورأيت الإشارة التي بعث بها والتي تقول بأنه لم يتلق أي رد بعد مرور ثلاث ساعات ، أمرت بإعطاء إشارة لمعرفة ما إذا كانت جميع السفن على استعداد . ولما تنقبت ودا بالاجاب ، تقدمت بارجة الأميرال « كوين شارلوت » إلى الأمام ، وفي أثرها بقية قطع الأسطول ، واتخذت كل منها الموضع المحدد لها . وقد أدرست السفينة التي تقود العملية على مسافة خمسين ياردة من مدخل المرسى ، وحتى هذه اللحظة لم تطلق رصاصة واحدة . وقد ساورني الأمل في أن الجزائريين سيقبلون شروطنا في نهاية الأمر .

على أن اصمت العميق الذي يسود الموقف انقطع فجاء بطلقة مدفع في اتجاهنا من حاجر الأمواج ، وقد تلب هذه الطلقة صلتان أخريتان في اتجاه السفن الراسية في الشمال . وقد ردت على البار بمثلها البارجة « كوين شارلوت » على الفور . وعدة ارتبعت البارجة بجبال بسفينة كبيرة كانت ترسو قريبا من الشاطئ عند مدخل ميناء ، وكانت بمثابة دليل لمواقعنا الأمامية .

وعند ذلك بدأ إطلاق أعف نيران شاهدها في حياتي . وقد استمرت منذ الساعة الثالثة إلا ربعا حتى الساعة التاسعة مساء بدون انقطاع ، ولم تتوقف كلية من الجانبين تماما ، إلا على الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا .

اتخذت السفن التي كانت خلفي مواقعها بنظام وهدوء يسحق الإعجاب ، وكانت تسدد نيران مدافعها بدقة فاقت كل ما كنت آمله . إن العلم البريطاني لم يشاهد قط مثل ما شاهدته في هذه المعركة من

الحماس وإبراعه . وأنا لم أكن استطع أن أرى من الموقع الذي كنت فيه . سوى ما كان يحيط بي مباشرة . ولكن ثقتي كانت عارمة في اصباط الذين كان لي شرف قيادتهم ، بحيث أنني كنت هاديء البال مطمئن النفس ، وكنت أحدث بمواضع النصر بأثر يراها المدمرة في تحصينات المدينة وفي بطاريات المدفعية الجزائرية المواجهة لهم . وفي نفس الوقت ، كانت غيظتي عظيمة حينما شاهدت بارجة نائب الأميرال اليهودية ، فإن كابلان في الموقع الذي حددته لهما . وكذلك رأيت بقية بوجه تستمر في إطلاق نيرانها الشديدة المتفول على البطاريات الجزائرية ، من جانب ، حيث أنه لم يكن في وسعي أن أصطحب نائب الأميرال في المقدمة .

وعند غروب الشمس ، نقيت إشارة من نائب الأميرال ميسن يعني فيها بأ الخطائر الهائلة التي أصيبت بها البارجة « العتية » (وقد بلغ عدد القتلى والجرحى على متنها حينئذ مائة وخمسين قتيلا وجريحا) ، ورجى مني أن أوجه إليه أن أمكن بارجتين حتى توزع قوة اليران الهائلة المسطرة على بارجه . وعلى الفور ، أقلعت البارجة « جلاسجو » التي كانت ترسو غير بعيد مني ، ولكن وسط معاكة حرقها واضطرتها إلى الرسو من جديد ، ولو أنها اتخذت في هذه المرة موقعا أفضل من ذي قبل . وفي هذه الأثناء أعطيت أوامر إلى سفينة المتفجرات التي كانت تحت قيادة الملازم فلامينج واسد باركر بواسطة القبطان ريد من سلاح المهندسين ليأتي بها إلى المرسى . ولكن نائب الأميرال كان يعتقد أن هذه السفينة ستقدم له خدمة كبيرة إذا تم تفجيرها تحت بطاريات المدفعية الجزائرية المقاتلة له . وقد أعطيت أوامر جديده لهذه الغاية وتفتت . وكذلك أبلغت نائب الأميرال أنني ، وأنا أشاهد عددا كبيرا من سفن العدو تلتهما النيران ، وأنه بن تجو واحدة منها أرى أنني قمت بتنفيذ الجزء الأهم من

التعليقات التي أحملها ، وأنتي ه تبعا لذلك ، سوف استعد لاستعداد الأسطول ، وأنتي أرغب مه أن يقوم بنفس العملية مع فيله . وذلك في أسرع وقت ممكن .

فقد واجهنا أثناء المعركة لحظات مرعبة لا أستطيع أن أتعرض لها ، ولوصف الآن ، وقد كانت نتيجة لاندلاع النيران في سفن قريبة من سمنا . ولقد قاومت طويلا تصرعات البدين كانوا يقفون حولي والذين أرادوا أن أشعل النار في بارجة تقع في داخل المرسى على مسافة نحو مائة قدم ما ، ولكسي في نهاية الأمر رضخت لهذا الالاحاح فن الرائد جوسي الذي كان يقف بجابسي وابدي كد شديد الرغبة في أن ينزل قواه من الاحصائيين في الألغام ، طلب مي بالاحاح الادن بأن يرافق الملازم رينشارد في غارب نابع لهذه البارجة . ولم يلبثوا أن اقتربوا من البارجة . ولم تمض سوى فترة أقل من عشر دقائق ، حتى تحولت البارجة الى شعلة هائلة . وبعد دمع حماسه المناجح أحد ضباط صف البحريين السابعين سميعة الصوارخ رقم 8 للسيد ، على الرغم من منعي له ، لأبيد القارب ، فأصيب بجروح خطيرة ، وكذلك قتل ضابط ونسعة من بحارته في العملية . وأما القارب الذي كان يجذب بسرعة فانه لم يتكبد سوى خسائر ثانوية ولم يحسر سوى اثنين من رجاله .

وأما بطاريات مدفعية العدو التي كانت تواجه فيلتي ، فقد توقفت عن اطلاق النار على الساعة العاشرة ليلا ، بعد ما دمرت كلية .

وعلمنا على أن تكون ييران الأسطول معدة بقدر الامكان للاقتصاد في البارود ، حتى تمكن من الرد على بعض الطلقات المدفعية التي كانت لاتزال تسدد اليها بين الحين والحين ، على أن برجنا يقع على الزاوية بمدينة لم نستطع قذائف مدافعنا الوصول اليه ، قد استمر على تسديد رصاصه وقنابله الى سفننا طول الوقت .

وفي هذا الوقت ، انصب العناية لتحقيق رغباتي بأن هبت رياح من
البر على الخييج ، وسحب بنا باقيد مناوراتنا بسهولة وامتلات أشرعتنا
ولم تلبث سب أن أصبحت خارج مرمى لفتابل على الساعة الثانية
صباحا ، وذلك بعد اثنتي عشرة ساعة من العمل المتواصل

لقد ساهمت مراكب المدفعية المسلحة بالمدافع والصواريخ ، بقيادة
ضباط المدفعية بحظ كبير في الأعمال الجليله التي أنجزت في هذا النهار
وقدمت خدمات عظيمة . فبفضل البيران التي كانت تطلقها ، أمكن
احراق جميع قطع الأسطول الجزائري (فيما عدا البورج التي كانت
خارج المرسى) . وهذا الحريق امتد بسرعة ليشمل دار الصناعة والمخازن
والزوارق الحربية . لقد كان مظهرا فظيحا ولكنه يستحق الاعجاب في
نفس الوقت ، ولا يمكن لريشة أن تصوره .

والسفن الحربية الصغيرة التي كانت مهمتها مساعدة السفن الكبيرة
وتهيئة انسحابها ، لم تكف بالقيام بمهامها على أفضل وجه ، بل نها
استغلت كل فرصة لاطلاق نيرانها في فترات متقطعة ، وكانت في حركة
دائبة .

وكانت القنابل تطلق ببراعة فائقة من مدافع البحرية الملكية ، وعلى
الرغم من أنها كانت تطلق نيرانها ييسا وفوق رؤوسنا ، فانه لم يبنغ
علمي أنها أحدثت أية اصابة في سفننا .

وقد قام الأسطول بمناوراته في هدوء وصمت كامل بحيث أنني لم
أسمع صبحة واحدة في غضون هذه العملية .

وكذلك كانت خدمة المدفعية ممتاز ، وسوف يمر وقت طويل قبل
أن يشهد الناس نيرانا أشد وأعنف ، وسيذكرها الجزائريون الى الأبد .

والطريقة التي قاد بها الريان بآرجه الأمير وداد بها الرئاسة بقية سمر
الأسطول ، كانت محل تقدير واعجاب الجميع . والاول . كان زميلي في
لسلاح فيما وعشرين سنة

وهذه التفاصيل (على الرغم من كونها غير وافية) حول معركة سم دم
الا وقتا قصيرا ، تسمح بأن أمل بأن تكون خدمات الفائد الأعلى
وولائه ، وخدمات الصباط والبحريين الذين أشرف بقيادتهم ، ستكون
محل رضى سمو الوصي على العرش ويستقبلها بما عرف عنه من كرم
النفس .

وعاية أمانيا جميعا ، هي أن ترى خدماتنا محل الموافقة من جانب
الملك والتصفيق من الشعب . أن ذلك من شأنه أن يبعث شعور لاغنياء
والرضى في نفوسنا .

ولو حاولت أن أذكر للوزارة العدد الكبير من الضباط الذين أبدوا
في ظروف مختلفة شجاعة أكثر من غيرهم في هذه المعركة ، لكان في ذلك
عدم انصاف للكثيرين .

وأنا آمل في أنه لا يوجد في هذا الأسطول الذي أشرف بقيادته ضابط
يشك في اعترافي له بالجميل لخدماته العديدة . فان الصباط والجنود
جميعهم قد قاموا بأكثر من واجبهم . وقد كنت أجد صعوبة في كبح جماح
حماسهم أكثر مما كنت أشعر بالحاجة الى تحريضهم على القتال . وأنا لم
أر قط من مظاهر الشجاعة أكثر مما رأيته من قبطن بارجني ومن الصباط
المحيطين بي مباشرة . وأنا مدين بالاعتراف والشكر لجميع من خدموا
تحت أوامري ، وكذلك لنائب الأميرال فان كابلان وضباط أسطول جلالة
ملك هولندا . فان ذكرى خدمتهم لن تزول من ذاكرتي الا حينما تقارني
الحياة . انني لم أر قط في حياتي شجاعة وحماسا يفوق ما رأيته في هذه
المعركة . وابتداء من ضباط الصف البحريين حتى كبار ضباط الأسطول ،

كانت تسري في الجميع روح واحدة . وسوف يكون من دواعي غبضي
وسروري أن أقدم لهم أمم لورارة كلما حاح واحد منهم اليها .

سلمت هذه البرقية الى نائب الاميرال ميلن ، فائدي الذي يأتي بعدي في
القيادة ، والذي شاهدت منه خلال هذه الحملة خدمات مشرفة الى اقصى
حد . فان هذا لصابط يتمتع بخبرة ممتازة في قيادة الأسطول . وهو
يسطيع أن يقدم جميع التوضيحات التي ستكون مرضية للوزارة بشأن
المسائل التي سم أتعرض لها في هذا لتقرير . انني آمل في أن أكون قد
حصلت على تقديره . وادا كن لدي أسف أعبر عنه بشأنه ، فهو لأنني
لم أكن قد عرفته من قبل .

تجدون مرفقة مع هذه البرقية تقدير الأضرار التي لحقت بـسفن
الأسطول ووثمة بأساء القتلى والجرحى الذين سقطوا في المعركة . واذ
سعيد بأن أفيد بأن القبطان « ايكينز » والقبطان « كود »
كلاهما يستعيد صحته بسرعة . والأمر كذلك بالنسبة الى
معظم الجرحى .

ان الأخبار الواردة من ابر تفيد بأن خسائر الأعداء تتراوح بين ستة
وسبعة آلاف رجل .

انني أوصي بصياطي وأسطولي وأرجو حمايتكم لهم .

أتشرف بأن الخ .

الامضاء : اكسون

تفاصيل عن تدمير قطع الأسطول الراسي في ميناء الجزائر

في غضون الهجوم الذي وقع على الجزائر يوم 27 أغسطس 1816 ،
تم تدمير أربع بوارح كبيرة ذات أربعين مدفعا (للواحدة) وحس حراقات
حربية كبيرة ذات ثلاثين مدفعا (للواحدة) وجميع الزوارق الحربية التي
يبلغ عددها ثلاثين زورقا . وهذه السفن دمرت تدميرا تاما فيما عدا سبع
منها . وكذلك دمر عدد من السفن التجارية ذات الصاريتين وعدد من
اسكوانات وعدد من السفن الصغيرة من مختلف الأشكال والأحجام ،
وكذلك دمرت جزئيا جميع الجسور لعائمة والأرصنة والمسطحات والفار
الذي يهتدى به الملاحون ودر الصناعة بما يحتوي عليه من الخشب
(البناء وتصليح السفن) والأجهزة البحرية المحتلة . وكذلك دمرت
حاملات المدافع والبراميل ومخازن السفن من مختلف الأنواع والأوصاف

الامضاء : اكسموث

متن البارجة « كوين شارلوت » خليج الجزائر ، 28 أغسطس 1816

الى سمو داي الجزائر ،

نظرا لأعمال القسوة التي قستم بها في عناية صد مديين عزول من
المسيحيين ، ونظرا لاهمالهم غير اللائق للمطالب التي قدمتها اليكم باسم
الوصي على عرش إنجلترا ، فان الأسطول الذي تحت قيادتي قد فام
بمعاقبكم بتدمير أسطولكم البحري تدميرا تاما وتحرب دار الصناعة ،
ونصف المدفعية .

« وحيث أن إنجلترا لم تعين الحرب لتدمير المدن ، ولا تحاول تحميل
تبعة قسوتكم اشخصية السكان الأبرياء ، فاني أقدم اليكم نفس الشروط
التي قدمتها يوم أمس باسم ملكي . وادا لم تقبوها ، فوجب ألا تأملوا في
السلام مع بريطانيا .

« وادا قبتم هذه الشروط ، كما يجب عليكم ، فستطلقون ثلاث طلقات
بالمدافع . وساعتبر صمتكم رفضا لهذه الشروط ، واتخذ الاجراءات
الملائمة لاستئناف الهجوم .

« أعرض عليكم هذه الشروط ، بشرط أن لا يكون فصل إنجلترا
والضباط والجنود الدين اعتقلوا بندانة في مركب تابع للأسطول البريطاني،
قد عوملوا معاملة سيئة ، وكذلك جميع العميد المسيحيين الذين يوجدون
حاليا تحت سلطانكم . وأنا أطلب بأن يعاد الي لقنصل وجميع ضباطي
وجنودي ، وذلك طبقا لنصوص المعاهدات القديمة .

اتوقيع : كسموث

مذكرة عامة (البارجة « كوين شارلوت » خليج الجزائر في 30 أغسطس)

يسعد القائد الأعلى أن يخبر الأسطول ، بأن نتيجة المعركة كانت توقيع الصلح لدى ستطلق المدافع 21 طلقة احتفالا به ، وذلك بالشروط التالية التي أملاها الوصي على عرش إنجلترا :

- 1 - ألقي استرقاق المسيحيين الى الأبد .
 - 2 - سيتم تسليم جميع العبيد الذين يوجدون في ملكة انداي ، مهما تكن جنسيتهم ، في بارجتي عند الزوال يوم العدد .
 - 3 - وفي نفس الوقت يعيد الداي جميع أموال القدية التي أخذها على لأسرى منذ بداية هذه السنة .
 - 4 - قدمت تمويزات الى فنصل إنجلترا على جميع الحسائر التي تحملها عقب القبض عليه وسجنه .
 - 5 - قدم الداي اعتذرا علانيا بمحضر وزرائه وصباطه وطلب انفو الى الفنصل بـلعبارات التي طالب بها قائد البارجة « كوين شارلوت » .
- يفتتم القائد العام هذه الفرصة ليشكر علانية الأميرالات ، والقباطات ، والضباط ، والبحارة ، والمدفعية ابخرية الملكية وفريق الصوارخ ، للخدمات التي تتم بالولاء والاخلاص التي قدموها في غضون الحملة ، ويعلم ان صلاة عامة مستقام يوم الأحد القادم شكر الله على تأييد العناية الالهية في غضون معركة 27 أغسطس للأسطول البريطاني ضد أعداء الانسانية .

المطلوب قراءة هذه المذكرة على بحارة جميع السفن .

الى جون ويلسن كروكر خليج الجزائر ، 1 سبتمبر 1816

سيدي ، أتشرف بأن أبلغ الوزارة عن طريقكم بأنني أرسلت القبطان
بريسان ليحمل نسخة من برقيتي ، وذلك خشية تأخر نائب الأميرال مين
الذي يحمل الأصل . نتيجة للرياح المعاكسة التي بدأت تهب بعد بضع
ساعات من رحيله . والقبطان بريسان الذي أدين له بخدمات ممتازة طيلة
مدة المعركة ، يمكنه أن يقدم جميع التفاصيل التي ربما أهمتها .

لقد وصل الأميرال شارلز بن روز (Ch Penrose) متأخرا ولم
يمكنه للمساهمة في المعركة عند الهجوم على الجزائر . اسي مناسف لذلك
من أجله ومن أجلي أيضا .

انني أشعر بالاعتباط بأن أفيد بأن جميع العبيد الذين كانوا يوجدون
في مدينة الجزائر وفي جوارها قد أبحروا ، كما اسعيد مبلغ 357,000
دولار لحساب ملك نابلي . واسترجع مبلغ 25,500 دولار لحساب ملك
سردانية . ستوقع للمعاهدات يوم الغد ، وأنا آمل أن أتمكن من الاقلاع في
طرف يوم أو يومين .

سافرت السفينة « ميتدن » اى جبل طارق . ومن هناك ستقلع في
الاتجاه الذي يعين لها .

ستفصل عن الأسطول في جبل طارق السفينة « البيول » لكي تستقبل
بارجة الأميرال ، مير شارلز بن روز . سأضطر الى أن أصطحب معي
البارجة « جلاسجو » الى إنجلترا .

الامضاء : اكسموث

قائمة

السفن الحربية التي تشكل الاسطول المشترك الانجليزي

الجرحي	القلبي	عدد المدافع	
		100	Queen Charlot
131	8	98	Impregnable
160	60	74	Superb
84	8	74	Niden
37	7	74	Albion
20	3	50	Lander
118		40	Severn
34		40	Glasgow
37	60	36	Granicus
42	16	36	Hebrus
15	4		

			Heron
			Mutine
			Prometheus
			Cordelia
			Brilomary
17	2	(قاذبة قنابل)	Infernal

			Belzbub
		(قاذفات قنابل) لا قتيل ولا جرح .	Hede
			Fury

اسطول صغير يتكون من اربع زوارق حربية ، عشرة قوارب مدفعية
 خمس قاذفات الصواريخ ، مراكب صغيرة من مختلف الاسواع .
 اجمع - 55 .

مجموع القتلى البريطانيين 138 - والجرحي 695 (1) .

1 - وبقي الحساب من الهولنديين

الإسطسول الهولندي

الجرحي	القتلى	عدد المدافع	
15	3	40	Melanpus
5	0	44	Fsederica
4	0	36	Dagaraad
22	6	40	Diana
6	4		Amstel
		24	Andracht

واجرحى 695	القتلى من البريطانيين 138
والجرحي 52	الهولنديين 13
<hr/> مجموع الجرحى 747	<hr/> مجموع القتلى 151

الملحق ز من رئيس الولايات المتحدة الى داي الجزائر

تلقيت رسالتكم المؤرخة في 24 أبريل الأخير. انكم تقولون بالمضيتين
الجزئيتين اللتين استولى عليهما الأسطول الأمريكي لم تعادا الى الجزائر،
طبقا لوعده الكمودور ديكاتور ، وأنه نتيجة لخرق هذه المادة ، أصبحت
المعاهدة ملغاة . وتقرحون بديلا عنها تجديد المعاهدة الأولى التي وقعت
منذ عهد بعيد ، أو سحب قسما . ونظرا لأن الولايات المتحدة تريد أن
تعيش في سلام ووئام مع جميع الأمم ، فاني آسف لأنكم تنظرون نظرة
خاطئة الى ما حدث في الماضي . وهذا الخطأ هو الذي أوحى ايكم
بمضمون رسالتكم .

فان سلفكم أعلن الحرب ، بدون مبرر ، على الولايات المتحدة ، بعد ما
طرد قسما ، ووضع في قيد العبودية قبطان سفينة أمريكية وبجارتها -
سفينة كانت تحمل علم دولة ترتبط بمعاهدة مع الجزائر .

وبعد ما انتهينا من حرب مظفرة مع أكبر دولة حربية في أوروبا ، وجهنا
أسطولا الى البحر الأبيض المتوسط بغية الحصول على ترضية لسلوك
الجزائر الظالم تجاهنا . واثّر ذلك التقى أسطولنا بأسطولكم وهزمه
واستولى على أكبر سفنكم الحربية ، مع سفينة أخرى صغيرة ، وعقب
ذلك مباشرة ، اتجه أسطولنا الى الجزائر . لقد عرضتم علينا الصلح ،
وبقبولنا له أنقذتم بقية أسطولكم الذي لم يكن (ونحن نعرف ذلك)
قد دخل الى الميناء ، وكان سيقع في يدينا حتما . وقد وعد قائدنا الذي

كان كرمه لا يقل عن شجاعته ، بأن يعيد اليكم السفينتين اللتين أسرهما .
ومع ذلك ، فهو لم يكن يريد أن يحدد من هذا الوعد مدة من مواد
لمعاملة . وكذلك أعيدت السفينتان . فما البارجة فقد وصلت الي
لجزائر بعد ذلك بقليل . وأما سميه الصغير ، فقد ادعت الحكومة
لإسبانية انها أسرت في مياهها الإقليمية ، وانها لا يمكن أن تكون غيصة
بنا ، وبذلك ، فقد احتجزتها في ميناء قرطاجنة ، وذلك بعد أن سلمتها
نحن الي صديقتكم .

وبن نحن لم نكتف بالوعد بوعدها ، بل مارسنا ضغطا على الحكومة
الإسبانية وطالبناها بإطلاق سراح السفينة التي لا حق لها في احتجازها ،
سواء أكان أسرها ينفي أم لا يتفق مع القوانين الدولية . وقد وعدت
الحكومة لإسبانية بمادة السميه ، وعلى الرغم من طول المدة التي
استغرقتها العملية ، التي كانت أطول مما كان يعتقد ، فإن اسميه فيما
يبدو والبارجة ، كلاهما في حوزتكم الآن .

ولذلك ، نحن ندهش لأن براكم في الظروف الحاصره تبالغون في
اهمية حادث صغير لا تحمل اللوم عليه ، وتدعون على تطور حصيل للتقوه
بتلك التهديدات والافراحات التي وردت في رسالتكم . انني أود الاعتقاد
بأنكم منى امعتم التفكير واتروى ، فسوف نشارككم سلمكم ميوه
الطيه نحو الولايات المتحدة ، بعد الحرب التي أعلنها عدونا وعلف
عليها . والولايات المتحدة التي لا ترغب في الدخول في حرب مع أية أمة ،
سوف لا تشترى السلام ، مع ذلك أبدا . ان هذا مبدأ أساسي من مبادئنا
السياسية . والسلام أفضل من الحرب ، ولكننا نفضل الحرب على دفع
ضريبة .

لقد خولت الصلاحيات الضرورية لقنصنا وللكمودور تشوسي ، قائد
أسطولنا ، لكي يتفاوض معكم لتسوية الخلافات القائمة بين الأمتين ،
وذلك بالاعتراف وتنفيذ المعاهدة الأخيرة التي عقدت بيننا .

انني أدعو الله أن يلهمكم حبا بالمثل للسلام والعدل الذي نشعر به من
أعناق هوسنا ، وأن يرفعكم بعنايته .

حرر في واشنطن في 21 أغسطس 1816

الترقيع : جيمس ماديسون

الرئيس

التوقيع : جيمس مونرو

وزير الخارجية

المفاوضون الأمريكيون في الجزائر

إن الموقعين أدناه يشرفون بأن سلموا إلى سمو الداى رسالة من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن يجبروه بأنهم عيوا بتفاوض من أجل اعاده اقرار السلام بين الولايات المتحدة وبيالة لجزائر . وطبقا لتعليمات إلى بلقود ، فقد سارعا لتوصون إلى خلع الجزائر لانهاء الخلاف القائم بين البلدين وذلك بالتصديق على معاهدة السلام التي عرضت على رئيس الولايات المتحدة ، وذلك بعد ما أبدى مجلس الشيوخ رأيه بشأنها وصدق عليها .

ونظرا لأن وعد الكمودور ديكانور بأن يعيد إلى الأيالة لسمو الحرية التي استولى عليها الأسطول الذي كان تحت أوامره ، قبل يونيو 1815 ، قد انجز بتسليم السفيتين إلى يد ضباط جزائريين أرسلوا خصيصا لهذه لهذه لعاية إلى قرطاجنة ، وبعوده السفيتين فعلا ، إلى الجزائر ، وإن الموقعين أدناه لا يمكنهم الاعتراف بشرعية هذه المطالب التي لا تقوم على أي أساس ، وطرحها على بساط المفاوضات . ولكي يثبت المفاوضات لسمو الداى أن الحكومة الأمريكية لم يوان في الوفاء بالعهد الذي قطعه على نفسها بأمانة ، فهم يرفضون طيه المراسلات التي ببودلت بين وزير الخارجية الأمريكية ووزير صاحب الجلالة ، ملك اسبانيا في أمريكا

وبعد الاتفاق على هذه الأمور التمهيدية ، يعين المفاوضون أنهم منحوا السلطة لأن يقترحوا على سمو الداى تجديد معاهدة السلام التي عقدت بين الجزائر والولايات المتحدة على الأسس التالية :

1 - تجديد معاهدة السلام التي عقدت في يونيو 1815 بنفس الصيغة والمضمون والتي اتفق عليها مع سطات الايالة القنصل العام والكمودور

ديكتاتور . ولكنه لاثبات روح الوفاق والنصالح التي تدفع رئيس الولايات المتحدة ، فقد كتبوا بالاقترح على سمو الداي تعديل المادة 18 في المعاهدة بدون مقابل ، وذلك بضمه المدة الدالية التي توضحها .

« رغبة في اولايات امحده في ان يقدم بداي لدليل على تعلمهم بالسلام والمحافظة عيه ، وبالعلاقات الودية اليي تربط بين ابلدين روح من التحرر الدم ، ورغبة منها في ازاله جميع العراقيل اسي قد يقوم في طريق الايالة في علاقتها مع الدول الأخرى .

توافق الولايات المتحدة على الغاء المادة 18 من المعاهدة التي نصح الولايات المتحدة في موانيء الجزئر امتيازات تفوق امتيازات الدول الأكثر رعاية التي ترتبط بمعاهدات مع الايالة .

2 - نظرا لأن لأايالة قد أسأت فهم المبدئيء التي عقدت على أساسها معاهدة يونيو ، ونظرا لأن مادة صيغت بطريقة تتعارض مع الاتفاق الذي تم بينها وبين المفاوضين ، بورود نص في ترجمة هذه المعاهدة بترم الولايات المتحدة بأن يدفع للأايالة اهداي القصصيه ، فان الموقعين أدناه يصرحون بكل وضوح وبصورة رسمية لا غبار عليها ، بأن اولايات المتحدة من توافق على أية مادة تنص على أنها ستدفع للأاياله أو لأعوانها هدايا في أية مناسبة كانت .

« ان الموقعين أدناه يعتقدون انهم يستطيعون أن يؤكدوا لسمو الداي أنهم لن يجيدوا عن لشروط المذكورة أعلاه ، وهم يركون للأايالة الاختيار بين السلام والحرب . والولايات المتحدة التي نرغب في أحد الأمرين مستعدة للقيام بالأمر الآخر .

« ولكي يسهل الموقعون أدناه على حكومة الجزائر فهم محتوى هذه المذكرة ، يرفقون طيه ترجمة دقيقة لها باللغة العربية . وهم يأملون في أن يرد سمو الداي على هذه المذكرة كتابة ، باللغة الانجليزية أو الفرنسية

أو الأسبانية أو الإيطالية ، أو بواسطة قنصل أجنبي يصرح له بضمان
الدقة في الترجمة .

« يعتنمون هذه الفرصة ليقدموا الى سمو الداي تحياتهم وتقديرهم
الدائم .

التوقيع : وليام شالر

ج . تشونسي

على متن البارجة واشنطن

خليج الجزائر

9 ديسمبر 1816

مذكرة القنصل الأمريكي

« يتشرف الموقع أدناه ، القنصل العام للولايات المتحدة في بلاد البربر ،
والمفاوض لتجديد معاهدة السلام مع الجزائر ، بأن يصرح لسمو الدي ،
بأن الاقتراح الذي تقدم به واندې يقضي بتأجيل لمفاوضة لمدة ثمانية
أشهر ويوم واحد ، قد رفض من حديد ، والموقع أدناه يكرر القول بأنه
لا يمكنه أن يعيد عن مضمون المذكرة انى وجهها الى سموه بالاشتراك
مع رميله بتاريخ 9 من اشهر الحاربي . وأنه اذا كانت هذه المقترحات قد
رفضت ، فسوف يعتقد ان من وجهه ان يرحل في الحال ويترك اياه
الجزائر في حالة اعلان الحرب .

« يغتنم الموقع أدناه هذه لفرصة ليجدد لسمو الدي تأكيد تقدير
الفائق واحترامه العميق .

الامضاء : شارل

حرر في قنصلية الولايات المتحدة

الجزائر في 20 ديسمبر 1816

* * *

الملحق ح

بروتوكول مؤتمر « ايكس لاشبيل » رقم 39
بتاريخ 20 نوفمبر 1818

اتفق المتفاوضون طبقا لنص برتوكول - على أن يواصلوا في المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في لندن النظر في مختلف المشروعات المقترحة لالغاء القرصنة التي تسببها الدون البربرية بطريقة فعلة . فقد طالب الكونت دو كايو ديسريا مرة أخرى ولقت أنظار المؤتمر الى هذه المسألة . ولما اعترف بأهمية وضع أية حواجز في أقرب وقت ممكن للأصرار التي تلحقها القرصنة بأسجاره الأروية ، وباقتراح قرارات تتخذ بهذه الغاية وبإلقيام بمسعى مباشر وفعلي لمواجهة ايلات الشواطئ البربرية في افريقيه . فقد طلبوا الى مدوبي بريطانيا وفرنسا ، بوصفهما ممثلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لنمودهما ، بطبيعة الحال ، ثقل أكبر لدى هذه الايلات ، أن يوجها اليها اندارات جدية بأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يضايق التجارة السلمية ستكون له آثار تحسن الايلات صعا في أن تفكر عاجلا في نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه وقد تعهد الدوق دوريشوليو واللورد كاستلريك بأن يعطوا التعليمات الضرورية للقيام بمثل هذا المسعى . وبأن يبلغوا الحكومات الأخرى بالنتيجة التي قد يسفر عنه . وكذلك تحتفظ البلاطات الخمس بحقها في تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الايلات البربرية نتيجة

الملحق ح

بروتوكول مؤتمر « ايكس لاشبيل » رقم 39
بتاريخ 20 نوفمبر 1818

اتفق المتفاوضون طبقا لنص برتوكول - على أن يواصلوا في المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في لندن النظر في مختلف المشروعات المقترحة لالغاء القرصنة التي تسببها الدون البربرية بطريقة فعلة . فقد طالب الكونت دو كايو ديسريا مرة أخرى ولقت أنظار المؤتمر الى هذه المسألة . ولما اعترف بأهمية وضع أية حواجز في أقرب وقت ممكن للأصرار التي تلحقها القرصنة بأسجاره الأروية ، وباقتراح قرارات تتخذ بهذه الغاية وبإلقيام بمسعى مباشر وفعلي لمواجهة إيلات الشواطئ البربرية في أفريقيه . فقد طلبوا الى مدوبي بريطانيا وفرنسا ، بوصفهما ممثلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لنمودهما ، بطبيعة الحال ، ثقل أكبر لدى هذه الإيلات ، أن يوجها اليها اندارات جدية بأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يضايق التجارة السلمية ستكون له آثار تحسن الإيلات صعا في أن تفكر عاجلا في نتائجها التي قد تمس وجودها نفسه وقد تعهد الدوق دوريشوليو واللورد كاستلريك بأن يعطوا التعليمات الضرورية للقيام بمثل هذا المسعى . وبأن يبلغوا الحكومات الأخرى بالنتيجة التي قد يسفر عنه . وكذلك تحتفظ البلاطات الخمس بحقها في تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الإيلات البربرية نتيجة

لاستمرارها على ممارسة القرصنة ، من حيث انها ستكون سببا في اتخاذ
الدول الأوروبية اجراءات حاسمة .

التوقيع :

ميترنيخ ، ريشوليو ، كاستريق
ريلينجتون ، هاردنبرج ، بيرنستورف
يسلرود ، كابو ديستريا

* * *

مذكرة وجهت الى ايالة الجزائر تطييفا لما تقدم من طرف الأميرال فريمانتل وجورين دولاجرافير

لقد كلفت الدول الأوروبية التي اجتمعت في « إيكس لاشايل » في السنة الماضية فرنسا وبريطانيا بمهمة التقييم بمسعى جدي باسم جميع هذه الدول لدى الايالات البربرية شأن ضرورة وضع حد لأمعال القرصة والعنف التي تمارسها سفنها المسحقة في البحر .

وبن قد حضرنا باسم أصحاب الجلالة ملك فرنسا وأمحلترا بوصفا ممثلين لهما نبلفكم نيات الدول الأوروبية . فإن هذه الدول قد صنت بطريقة لا تراجع فيها على وقف نظام القرصة الذي يتناقض مع المصالح العامة لجميع الدول ، بالإضافة الى كونه نقصي على جميع الآمان في قيام حالة الرخاء في البلدان التي تمارسه . ودا استمر هذه الايالات على هذا النظام المعادي للتجارة السلمية ، فإنها ستثير صدها ، حما ، الاتحاد العام لجميع الدول الأوروبية ، ويجب عليها أن تفكر قبل فوات الاوان ، ان مثل هذا الاتحاد سيكون من نتائجته تعريض وجود لاياتالات نفسها للخطر .

ولكنه قبل أن نشير الى العواقب الوخيمة التي ستترتب على استمرار نظام القرصة الذي يثير امتعاص أوروبا ، نسارع لنؤكد لكم أنه اذا تخلت الايالات عن هذا النظام الذي يعجز الويلات ، فإن الدول الأوروبية ، سوف لا تنكفي بالاحتفاظ بعلاقات طيبة معها وبتماهم وصداقة ، بل هي ستشجع

أيضا جميع أنواع العلاقات التجارية التي ستكون فيها فائدة لرعايها
والدول التي تتشرف بالتحدث باسمها ، متحدة اتحادا تاما ، فيما يتعلق
بهدف المسعى الهام الذي كلفا بالقيام به ، ونحن نترجم باخلاص
نياتهم .

ونحن نأمل في أن ادراككم لمصالحكم يجمعكم لا ترددون في الرد
بطريقة مرضية على المطالب التي قدمناها اليكم منذ حين ، والدور
الاروبيه تقتصر على مطالبة الايالات بأن نحترم الحقوق التقليدية اسي
نعتبرها الدول المتحضرة مقدسة . وادا ادعت الايالات البربرية ان من
حقها مضايقة تجارة الدول الأخرى ، حسبما يمليه عليها هواها . فانها
سوف تجر على نفسها الاسحة الاروبيه حتما . فالتلطعوا دا بسحا
هذه التأكيدات اسي يتوقعها ملوكنا منكم ، واسي ينتظرونها بفارغ الصبر
لكي يتفلولها الى حلمائهم بشأن موضوع يهمهم كثيرا . ولكنه في مثل
هذه الحالة ، لا تكفي الوعود اشباهية . فان هذه العملية تتطلب نمهدا
جديا ودا اهمية فائقة بالنسبة للملاحين وللتجارة بين جميع الدول . ونظر
لأننا نسجل تصريحنا مكتوبا بشأن بيات الحلفاء ، فنحن في حل من أن
نعتقد في أنكم ستردون على هذا المسعى بنفس الطريقة ونحن سنسارع
بإبلاغ حكوماتنا التعهد الايجابي الذي تسمونه الينا ، لأننا نكرر اقول
نأنا لا نسمح لكم برفض اقتراحات من شأنها أن تجعلكم تجنون سريه
لفوائد التجارة التي سيضمنها احترام حقوق الدول .

التوقيع : توماس فريمان

جورين دوجرافير

سبتمبر 1819

تصريح

لقد أعرب لنا جلاله ملك المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلند عن رغبته في أن تفسر تفسيراً واسعاً المادة 7، من المعاهدة التي عقدت بين بريطانيا والجزائر في 5 أبريل 1686، التي تضمن أمن وسلامه فصل جلالته الذي يقيم في مدينته، الجزائر، ونحن على استعداد للاستجابة لرغبات جلالته لكي تثبت له رغبتنا القوية في أن نقيم ونعزز علاقات لسلام والوثام بصفة أكثر دواما بيننا، تلك العلاقات التي لا تزال، لحسن الحظ قائمة بين البلدين. ولذلك فنحن نعهد بذلك بكل سرور، ونصرح بما يلي :

- 1 - في المستقبل وإلى الأبد، سيعامل الفصل الإنجليزي الذي يقيم في مدينة ومملكة الجزائر، في جميع الاوقات، بالاحترام والتقدير المستحق لشخصه.
- 2 - أن شخصه ومنزله، أو منازله، تتمتع بالحصانة، وكل من يهين الفصل بكلامه أو بأعماله، سيتعرض لعقاب صارم.
- 3 - سيتمتع بالحرية في اختيار مترجمة وخدمه المسلمين، أو غير المسلمين الذين لا يجبرون على دفع ضريبة من أي نوع كان.
- 4 - سيكون حراً في أي وقت في أن يرفع علم جلالته الملك على منزله في المدينة أو في الريف وعلى مركبه حينما يكون في البحر.
- 5 - يعفى من الضريبة الجمركية على أثاثه وملابسه وأمتعته وغير ذلك من الأشياء الضرورية التي يستوردها إلى مدينة الجزائر أو إلى

الأراضي الجزائرية لاستعماله الشخصي ولا استعمال عائته . واد
اقتضت خدمه جلالة الملك أو غير ذلك من الأسباب تعييه عن ملكة
الجزائر ، يمنع عن الاستيلاء على شخصه أو خدمه أو معته به
يكن اسبب ، وبه الحق في الذهاب والاياب كلما رأى ذلك
ضروريا ، وأخيرا ، فان جميع الامتيازات وعلامات التشريف التي
يتمتع بها الآن أو سيتمتع بها في المستقبل الوكلاء وقناصل وبواب
القنصل التابعين لدول أخرى ستمنع أيضا لوكلاء وقناصل وبواب
قناصل جلالة ملك بريطانيا .

أكد وختم عليه في مدينة الجزائر المحاربة بشهادة الله العظيم في 26
يوليو 1824 م الموافق ليوم 29 ذو القعدة سنة 183 هجرية .

ختم الداي

ر . س . سينسر
قبطان سفينة جلالة الملك

توقيع الشاهد :

« فايندا »

الوكيل القنصلي :

ه . ماكدونال

تصريح لصاحب السمو داي الجزائر

لقد وقع تصريح في شهر أغسطس 1816 من طرف سفير صاحب السمو
عمر باشا ، للنبييل ، السارون اكسموث ، يصح على أن سموه يلتزم ، في
حالة حرب مع دول أوروبية ، بأن لا يحضض بعد الآن أي مسيحي لقيود
العبودية ، بل يعامل الأسرى المسيحيين بكل انسانية بوصفهم أسرى
حرب ، وذلك حتى يتم تبادلهم بطريقة عاديه على أساس المعمول به بين
الدول الأوروبية . ونحن نصرح هنا بكل وضوح بأننا نرغب في احرم
روح هذا التصريح ونصه بكل أمانة .

أكد وختم عليه في مدينة الجزائر المحاربة ، عاصمة مملكة الجزائر ،
سهادة الله اعظم في 26 يوليو 1824 . الموافق ذو القعدة ، سنة 1239
هجريه .

ختم الداي

ر . م س سببر

ماكدونيل

* * *

تصريح لصاحب السمو داي الجزائر

لما بلغ علمنا أن السكونة الانجليزية المسماة « داندي » كانت راسية في ميناء الجزائر ، يوم 10 يناير لماضي ، اقرب منها بعض رعايانا وعاملوا رباب السفينة المذكورة معاملة سيئة ، فدنا نؤكد روسيا لجلالة ملك بريطانيا اننا سنتخذ في المستقبل اجراءات فعالة لتجنب تعدد مثل هذا الاعتداء .

أكد في مدينة الجزائر بشهادة الله العظيم في يوم 26 يوليو 1824 م الموافق 29 ذي القعدة 1239 هجرية .

ختم الداي

ر . م من مبنسر

ه . م ماكدوقال

* * *

نصريح لصاحب السمو داي الجزائر

ان سمو الداي ، رغبة منه في أن يثبت احترامه الصادق ومحافظته على حرمة شخص القنصل البريطاني ومنزله ، يوافق على توقيع نصريح الذي قدم اليه ، ولكن الداي قد أبدى استنوازه من الماده التي نص في النصريح على حق القنصل في أن يرفع علم جلالة الملك على منزله في المدينة ، ولذلك فهو يرجو من ملك بريطانيا وايرلندا ان لا يلح على المطالبة بتطبيق هذه المادة تطبيقا دقيقا .

ومع ذلك ، فان الداي يؤكد لجلالته بأقوى العبارات وأوضحها بأنه لا يعتبر عدم رفع القنصل البريطاني العلم على منزله سبب في حرمان هذا المنزل من الحقوق والامتيازات التي تترتب على رفع العلم البريطاني على منزل القنصل الرسمي .

أكد وختم في مدينة الجزائر الحرية بشهادة الله العظيم في 26 يوليو 1824 م الموافق 29 ذي القعدة 1239 هجرية

ختم الداي

ر . س . سبتمبر

ه . م . مكدونال

انتهى

* * *

كشاف عام

- ١ -

الانص (البحر 6/7/28/31/32/128/134\252 .
حمد (باشا) 78/79/162 .

أوريو 35 .

أزمير 52/73

أبانيا 6/30/64/66/68/120/121/128/128/133/133/139/
145 / 152/180/181/187 / 201/249/260/270/271/273/274
275 .

أسيا 124/192 .

أعطس (الامبراطور) 84 .

الأطلسي (المحيط) 6/7/10/28/113/117/128/129/137/277 .
أفريقيا 17/23/30/103/109/110/111 / 113 / 118 / 119/120 /
189/263/264/268 .

أكسمووث (اللورد) 12 / 15 / 150 / 153 / 154 / 154 / 155 /
156 / 157 / 165 / 178 / 182 / 181 / 220 / 226 / 291 / 300 /
301 / 307 / 325 .

أمريكا 180 / 189 / 268 .

أنجلترا 5/6/119/137/142/150/154/157/158/165/
175 / 179 / 178 / 194 / 199 / 203 / 205 / 210 / 212 / 213

284 / 270 / 269 / 267 / 263 / 261 / 229 / 225 / 224 / 222 /
 • 321 / 305 / 294 /
 انكارو (فصل السويد) 246 •
 اوترخت (مدينه) 183 •
 اولمپيا (الكويت) 133 •
 ايطاليا 30 / 87 / 102 / 145 •
 ايلكترا (قطار) 300 •
 ياكس لاسايل 155 / 177 / 178 / 179 / 183 / 321 •
 ايكسوم 34 / 72 •
 ايرلندا 189 / 372 •

— ب —

باريس 148 / 165 / 244 / 262 / 269 / 276 •
 باتريس (خليج) 182 •
 باثهورت (الكويت) 213 / 214 /
 باركر (امبيطان) 247 / 248 / 251 / 296 •
 بارنولومي لاس كاوس 262 •
 باركوكار (الجنرال) 245 •
 باماربا 194 •
 بارلو (جول) 130 •
 بالكارو (العارس) 228 •
 بجاية 30 / 32 / 37 / 40 / 193 / 266 •
 بروسييا 6 / 268 / 273 •

اسبرتفال 60 / 64 / 128 / 125 / 137 / 145 / 267 / 271 / 272 /
 273 / 275 •

بريطانيا 5 / 6 / 12 / 24 / 41 / 63 / 68 / 102 / 127 / 134 /
 142 / 143 / 146 / 149 / 150 / 151 / 152 / 155 / 158 / 164

165 / 178 / 182 / 187 / 188 / 189 / 190 / 193 / 204 / 233 /
245 / 264 / 266 / 268 / 270 / 271 / 272 / 273 / 275 / 276 /
277 / 323 / 326 / 327 / .
بروكوف 121 .

سكرة 103 / 1/9 / 110 .

المليدة 36 .

بواردة (شارل) 239 .

بولندا 145 .

بورت سموت (ميناء) 155 .

بوبرك 34 .

برمطن (المدينة) 21/18 .

بريسا 260 / 267 .

- ت -

تابلالت (مدينة) 111

تشارلز (بن روز) 307

تشونسي (كمودور) 11 / 12 / 13 / 159 / 166 / 167 / 312 / 317

توكيا 41 / 57 / 85 / 107 / 116 / 130 .

تلمسان 27 / 35 / 40 .

التوارق (شعب) 23 / 24 / 25 .

توسكان (دوقية) 64 / 242 .

التومي (سليم) 40 .

تونس 10 / 84 / 104 / 109 / 130 / 141 / 148 / 152 / 154 / 162

231 / 249 .

التبظري 34 / 36 / 60 .

- ج -

جالون 121

جان (راس) 7 .

حسن مارب ٥ / 169 / 180 / 221 / 226 / 245 / 246

حراييل (شارب) 263 / 267

حربينش 27

الجريد (بلاد) 28

الحرائر 6 / 7 / 8 / 10 / 11 / 12 / 13 / 14 / 15 / 16 / 17 /
39 / 38 / 37 / 34 / 33 / 32 / 31 / 30 / 28 / 27 / 24 / 23 /
57 / 53 / 52 / 51 / 50 / 49 / 47 / 44 / 34 / 42 41 / 40 /
75 / 74 / 73 / 72 / 71 / 70 / 67 / 64 / 62 / 61 / 60 / 58 /
96 / 95 / 94 / 92 / 83 / 82 / 81 / 80 / 79 / 78 / 77 / 76 /
106 / 105 / 104 / 103 / 102 / 1.1 / 1.0 / 99 / 98 / 97 /
127 / 117 / 116 / 115 / 114 / 113 / 112 / 111 / 110 / 107 /
138 / 137 / 136 / 134 / 133 / 132 / 131 / 130 / 129 / 128 /
194 / 148 / 147 / 146 / 145 / 144 / 143 / 142 / 141 / 139 /
162 / 159 / 158 / 157 / 156 / 155 / 154 / 153 / 152 / 150 /
174 / 173 / 172 / 171 / 170 / 169 / 168 / 166 / 165 / 164 /
189 / 186 / 185 / 183 / 182 / 180 / 179 / 177 / 176 / 175 /
214 / 212 / 208 / 206 / 203 / 201 / 200 / 199 / 192 / 190 /
231 / 229 / 227 / 225 / 223 / 222 / 221 / 218 / 217 / 215 /
259 / 252 / 250 / 249 / 246 / 244 / 243 / 240 / 239 / 237 /
317 / 314 / 311 / 305 / 303 / 301 / 292 / 291 / 283 / 281 /
327 / 326 / 335 / 327 / 318

حنو 243/151/103

حودوين (الاجرايير) 321

حوسي (الرائد) 273

جوادلرب 267

حورج الثالث 140

- ح -

الحراش (نهر) 75

حسن باشا (الدای) 284/140

الحسن الوزان 122

حسين باشا (الداي) 238/176

حميدان (سبدي) 219

حميدر (الرايس) 52/8/7

- خ -

خير الدين (نازاروس) 40

خامنه (اوحينت) 146

خميس (الكردينال) 260

- د -

الدامارك 6 / 60 / 64 / 199 / 211 / 267

دارتموث 165

دانفوند (قائم بأعمال قنصلية) 242

داشود (القبطان) 292

دوبالد صون (المعتمد الامريكي) 130

ديكاتور (الكمودور قائد الاسطول) 6/7/8/10 / 52 / 145 / 148 / 152 / 164 / 281 .

ديكون (القبطان) 231 / 230 / 229

- ر -

رادكليف (قسيس) 245

رابثون (كمودور) 228

روسيا 273/268/6

روما 119/84

رومال (مصور) 110

ريودو جيرو 272/266

ريشوليو (الدوق دو) 320/319

ريتشارد (الملازم) 297

- ز -

انيس رعيون 196 / 207 / 211 /
239/231/230/229 / 224 / 222 / 216 / 214

- س -

سان كارلوس 270

سبسر (القبطان) 203 / 204 / 208 / 214 / 227 / 238 / 241 /
327 / 326 / 324 / 252

ستوارت 177

سوره 32

سردايا 64 / 150 / 174 / 208 / 211 / 213 / 252 / 255

سرت 36

السويده 8 / 9 / 60 / 64 / 144 / 174 / 199 / 246 / 273 /
سيوه 95 / 123 / 124 / 284

سييان (الامبراطور) 118

- ش -

شارل كيسط 260

شارل (العائس) 249

شار (القنصل) 5 / 6 / 8 / 9 / 10 / 11 / 12 / 13 / 14 / 15 /
318 / 317 / 181 / 177 / 130 / 21 / 19 / 16

شاو (القبطان) 12/11

شاو (الدكتور) 23 / 27 / 31 / 34 / 35 / 36 / 37 / 38 / 72 /
117 / 83 / 74

- ص -

صالوست (الكاتب الروماني) 120/ 58

- ط -

طبرقة 27

طرابس (الغرب) 10 / 104 / 130 / 148 / 157 / 231

- ع -

عماس (بنو) 116/113

عبد الله (وزير البحرية) 172

عروج (بابروس) 40

عزون (باب) 97

(الحاج) علي (الدائي) 162 / 163 / 164

هي خوجة (الدائي) 172/175/176

عناية 32 / 37 / 60 / 109/116/137 / 154 / 210 / 224

عمر باشا (الدائي) 7 / 56 / 159/160 / 161 / 163 / 163 / 164

165 / 166 / 169 / 170 / 171/172 / 173 / 174 / 175 / 180

325 / 244

- غ -

عدامس 103 / 110

- ف -

فاندكاييلان (الاميرال) 156 / 157/295

فرج (سيدي) 76

فرديناد (السابع) 270

فرنسا 30 / 33 / 37 / 63 / 66/68 / 102 / 127 / 131 / 132

133 / 135 / 145 / 179 / 196/198 / 201 / 220 / 225 / 249

263 / 267 / 268 / 269 / 2/273 / 276 / 284 / 321

فريمان (توماس) 322

فران 123

فولنير 127

فلامينج (الملازم) 296

فوكس (سياسي بريطاني) 264

ميتريج (وزير الخارجية) 326
ميورقة 134

- ن -

نالبي 60 / 64 / 84 / 150 / 151 / 157 / 200 / 223 / 227 / 307
ناليون ، بوابير (133 / 143 / 144 / 250
نابليون (جوزيف) 180
النمسا 64 / 268
نيكسول (انقبطان) 249 / 250
نيسلرود 320
النمسا 64 / 268
نيويورك 10 / 146 / 246
نوميديا 189

- ه -

هاردنبرج 320
هاسينج (الرقيب) 252
هامبورج 246
هانسال 118
هانوفر (الملكة) 154
هامفري (الكونيل) 129
هرنل 120
الهند 102
هورنمان 123 / 124
هنري ويلسلي 270 / 271
هنري (نيل) 214

هولندا 6 / 64 / 133 / 143 / 149 / 157 / 164 / 181 / 193
292 / 266 / 255244 / 243 / 232 / 200 / 199 /

هيب (الدكتور) 210

هيرودوت 120

- و -

وادي ميزب 103 / 110 / 111

واترلو 148

واشنطن (المدينة) 282

واشنطن (الرئيس) 17

ورحلة 25 / 110

الولايات المتحدة (الامريكية) 5 / 6 / 7 / 9 / 10 / 18 / 56 / 60 /
64 / 68 / 78 / 80 / 93 / 129 / 130 / 131 / 139 / 141 / 142 /
144 / 147 / 148 / 150 / 152 / 161 / 162 / 164 / 170 / 171 /
177 / 183 / 186 / 187 / 913 / 194 / 206 / 207 / 209 /
210 / 211 / 213 / 214 / 227 / 231 / 255 / 279 / 283 /
311 / 312 / 316 / 318

وهران 31 / 34 / 35 / 40 / 46 / 52 / 59 / 154 / 162 / 180

ولينجطون 207 / 320

ويلسن كروكر 291

انتهى

فهرست الكتاب

صفحة

5	مقدمة المترجم
23	مقدمة المؤلف
27	العصل الأول
39	الفصل الثاني
71	الفصل الثالث
107	الفصل الرابع
127	الفصل الخامس
185	العصل السادس
193	العصل السابع (يوميات شالي)
259	الملحق (أ)
263	الملحق (ب)
281	الملحق (ج)
283	رسالة الرئيس ماديسون الى الداي
285	الملحق (د)
289	الملحق (هـ)
293	الملحق (و)
303	تفاصيل تدمير الاسطول الجزائري في الشتاء
305	رسالة الأمير ايسكموث الى الداي
311	قائمة السفن الحربية التي تشكل الاسطول البريطاني الهولندي المهاجم لمدينة الجزائر

313	الملحق (ز)
317	المفاوضون الأمريكيون في الجزائر
321	مذكرة القنصل شالر المفاوض الى الداي
323	الملحق (ح)
327	تصريح من الداي موجه الى ملك بريطانيا
329	تصريح للداي بالغاء اسرقات المسيحيين في الجزائر
333	تصريح للداي موجه الى ملك بريطانيا
335	كتشاف عام

كتب أخرى للمترجم

الشؤون الدولية :

- التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المغرب (طبعة ثانية)
- التنمية الاقتصادية في الدول العربية في الشرق (طبعة ثسة)
- التكتل والاندماح الاقتصادي بين الدول المطورة (طبعة ثالثة)
- التعاون الاقتصادي للتنمية في نطاق المنظمات الدولية (طبعة ثسة)
- هيئة الامم المتحدة والتنمية الاقتصادية في البلدان المتطورة (الطبعة ثالثة)
- فصول في العلاقات الدولية
- نماذج من روائع الادب العالمي (اربعة اجزاء)

التاريخ :

- دولة بني زيري ملوك غرناطة
- دراسات في تاريخ الجزائر الحديث
- المقاومة الجزائرية تحت لواء الامير عبد القادر
- العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الامير عبد القادر
- دولة الادارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة
- المدح المغربي في الادب الجغرافي العربي
- جدول المطابقة بين التقويم الهجري والتقويم الميلادي (بالاشتراك مع الدكتور عبد القوي) .
- الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية
- الصحراء الكبرى وشواطئها
- سمعهم الفرق والمجاهدين الاسلامية
- مواصم بني زيري ملوك اشير والقلعة وغرناطة وبجاية والمهدية .

- دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية
- فردريك نيشه - حياته وفلسفته (بالانجليزية)

تحقيق التراث :

- كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي (الطبعة الثانية بصدد الاجاز)
- سير ابي زكرياء
- سير مشائخ المغرب لابي الربيع الوسياني
- كشف النعمة الجامع لاحبار الامة (في تاريخ المذهب الاباضي) مؤلف مماني مجهول .
- التقاره الافريقية وجزيرة الاندلس (مفتبس من كتاب نزهة المشتاق الشريف الادريسي) .
- نتيجة الاجتهاد (او سفارة احمد بن الفرال ورحلته الى الاندلس)
- تحت الاعداد : تفويم البلدان للملك الصالح اسماعيل ابي الفداء (مقارنة نسخ باريس ولندن) .

الترجمة :

- الفتوحات الاسلامية في فرنسا واطاليا وسويسرا لجوريف رينو
- كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي (من العربية الى الفرنسية)
- مذكرات الكونيل سكوت الانجليزي عن اقامته في رمالة الامير عبد القادر
- الاسلام في مجده الاو لوريس لومبار .
- العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1876 - 1816) لراي ايروين .
- مذكرات اسير الداي ، كائكاتر قصص الولايات المتحدة في المغرب .
- الدراسات العربية في الجزائر خلال قرن من الاحتلال الفرنسي لماسي وآخرين .
- قصر الحمراء في الادب والتاريخ لواشستون ايرفينج .
- سقوط غرناطة آخر معانل الاسلام لواشستون ايرفينج .
- الناشرون : وزارة الثقافة السورية - المطبعة التجارية (بيروت) دار الافاق الجديدة (بيروت) - دار الغرب الاسلامي (بيروت) دار الرائد العربي (بيروت) اشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (ديوان المطبوعات الجمعية) - مطبعة البحث .

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
مديرية الانتاج
مطبعة احمد زبالة

خريطتان لمدينة الجزائر في الربع الاول من القرن التاسع عشر وقد
فضلنا نشرهما كما وردتا في الاصل لقيمتها التاريخية ، ولا سيما فيما
يتعلق باسماء الاماكن .

الطبعة الاولى : ١٨٤٠
والطبعة الثانية : ١٨٤١
قالب : محمد بن عبد الله

M E R M E D I T E R R A N E E

R. d. P. 0. 1. 2. 3. 4.

Cap et Port de la Méditerranée

P L A I N E D E M E D I T E R R A N E E

ayant de 10 à 20 lieues de longueur sur 3 à 4 de largeur

DES RIVIÈRES

CARTE



MEMOIRS OF WILLIAM SHALER
AMERICAN CONSUL GENERAL AT ALGIERS
1816 - 1824

TRANSLATED FROM ENGLISH
WITH NOTES AND AN INTRODUCTION
by
ISMAIL EL-ARABI

المسرح في الجزائر : 48 ج ٥